

قصة الرمز الديني

دراسة حول الرموز الدينية
ودلالاتها في الشرق الأدنى القديم
والمسيحية و الإسلام وما قبله

بـــلال موسى بــلال العلي

قصة الرمز الديني

دراسة حول الرموز الدينية
ودلالاتها في الشرق الأدنى القديم
والمسيحية و الإسلام وما قبله.

بــلال موسى بــلال العلي

2011 - 2012

إهـــداء

إلـــــــى أولادى

فلذة كبدي

وجميع من أحبني وساندني

أهدي كتابــي هذا......

فهـــــرس المحتـــــويات

الصفحة

المقدمـــــة

(ليســت الأشياء في ذاتها ما تثـير قلق الإنسان وذعـره ، وإنمــا هــي رؤاه وخيالاتــه عــن هــذه الأشياء)

إبيكتيوس Epictetus

استطاع الإنسان أن يحيط نفسه دائما منذ القدم بهالة من الرموز ، يتبادل من خلالها العلاقات والمعــاني المختلفة ، فالإنسان يصنع رموزه ضمن ثقافته ليتعايش مــع بعضــه البعض، وتأتــي مقولــه (جودليــير **M. Godelier**) والتي تقــول إن البشر (ينتجــون علاقاتهــم « أو بنصــ كلامه ينتجــون مجتمعاتهم» لكــي يعيشوا) [1] ، فالرموز هي نتاج ثقافة واستعدادات ذهنية والذي تأخذ طابعها الرمزي باتصالنا بالآخريــن لتشــكل معنـــي، فدلالة الرمزيــة ليست ذا قيمــة إن لم تمارس عن طرق تبادلنا للعلاقات بعضنا ببعض.

لقــد استطاع الإنســان، بإنشائه عالمه الرمزي أن يلقــي على هذا المحيط المادي أبعاداً أكثر عمقا جعلت من الواقع القريب شكلاً فريداً يُعرف بانتسابه إلى الجنس

(1) مايكل كاريذرس - لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة- علم المعرفة-عدد-229 - ترجمة شوقي جلال - ص 52

البشــري[1]، فنجد بأن الإنسان يختص دون غيره مــن الكائنات بكونه ينتج رموزه ممــا يجعله كائن مرمــز يبحث عن لإيجاد معــاني لأي شيء[2]، فــنرى بأننا نقوم بتبادل الــدلالات الرمزية التي نشاهدها في صفحات الحيــاة اليومية، ولكن برغم ذلــك قد نتبادلهــا دون أن ندرك أو نعى خلفيتها والصلات والحيثيات التي سمحت بانتقالهــا تباعا إلينا، لقد طور الإنسان أفكارا حــول الأشياء، وغلَّف حياته بالكثير مــن الأشكال اللغويــة، في الصور الفنية والرموز الأسطوريــة والطقوس اللاهوتية، حتــى انه لا يستطيع المعرفــة والرؤيا إلا من خلال منظومة رمــوزه [3]، حتى أصبح الرمز هو مفتاح مشاهدته ومعارفه.

لقد ابتكر الإنسان خلال تاريخه الطويل العديد من الرموز للتواصل سواء كانت رمــوز دينية أو رمــوز دنيوية (الإشــارات والعلامات) للتعايش كنتــاج ثقافي وظهر الرمــز كأمــر مرتبــط بوجود الإنســان، إلى إن ما يفــرق الإنسان عــن الحيوان هو قدرتــه على التواصل باستخدام الرمــوز، فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتفاعل مــع بيئته المادية الحقيقية، بــل يتجاوزه إلى بيئته الرمزية التــي صنعها [4]، تكمن أهميــة الرمزية في الحياة الاجتماعية بما تكشف عنــه إلى أي مدى تكون الظواهر الاجتماعية حمالة معان، وتلعب دور وسائط بين الكون والمجتمع الإنساني[5] .

إن الرمــوز هي نتاج ثقافي استطاع به الإنسان أن يبني من خلاله عالمه الخاص، إن الرمز نشاط ثقافي متأصل في أعماق النفس البشرية يساعد على تبادل الثقافي

....

(1) Theodore Peterson and others(Jay W. Jensen ,William L .Rivers - Holt ,Rinehart and Winston) -The Mass Media And Modern Society -, Inc 1966 -USA - p15

(2) ميشيل مسلان - علم الأديان – مساهمة في التأسيس –ترجمة عز الدين عناية -هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة)/ المركز الثقافي العربي -ط1 2009- ص246

(3) Theodore Peterson ,op.cit.p15

(4) Ibid. P15

(5) ميشيل مسلان -مرجع سابق - ص79

وتحـدد موقعنـا الآنا بالطـرف الأخر ، فنحـن لا نستطيع أن نعـرف أنفسنا إلا إذا عرفنـا أنفسنـا في علاقاتنا بالآخرين[1]، إن انتماء الرمـز للثقافة جعل كلود ليفي ستراوس Claude Levi Strauss يعرف الثقافة "بأنها جملة من الأنساق الرمزية"[2]، وأدركا لأهمية الرمزية ظهـرت اتجاهات معرفية بيداغوجية أدركت أهمية الرموز كنسـق ثقافي معـرفي كامن وغائر في النفس البشرية، باستطاعتهـا أن تساعد في منهجيات وأساليب التعلم النشط.

يؤلف العالم البشري كتلـة واحدة ذات جزيئات متنوعة ترتبط ببعضها بسلسلة معقده مـن العمليات والعلاقـات المترابطة بحيث أن أي تأثـير في احدى جزيئاتها تؤثـر بالأخرى بنحو مختلف، وكذلك هـي الثقافة كما يشبهها (وولف E.WOLF) " سلسلة عمليات تبني وتعيد بناء وتفكك مواد الثقافة"[3]، وهنا يأتي الرمز ليضفي معنـى للثقافة بصورة غـير منطوقة، وتحدد الدراسـات الرمـز باعتباره صورة أو اشـارة مرئية لتمثيل فكرة معينة[4]، ولكننا هنا يجب أن نميز بين العلامة (Sign) التـي تهـدف بشكل أساسـي إلى صياغة مرجعية لوظائف خدميـة وذلك لأغراض بشرية عامة لتسير أمـورهم مثـل العلامات الرياضيـة، وإشـارات السلم الموسيقي والمـرور، والعلامات التجاريـة، والتي ازدادت نتيجة تعقد شبكـة العلاقات العالمية وانتشارها بفعل العولمة وسائل النقل وثورة الاتصالات والإعلام مما زاد الرغبة في صناعـة المزيد من الرموز التفاعليه لتنظيم العلاقـات وتمثيل الأفكار والتوجهات، وبـين الرمـز (Symbol) الذي يحمـل دلالات وشحنات ثقافيـة واجتماعية ودينية. والشـيء الرابـط بين العلامة والرمز هـو المعنى المشحون بخلفيـات وأفكار ثقافية

....

(1) مايكل كاريذرس — مرجع سابق - ص 18

(2) جان فرنسوا دورتيه Jean Francois Dortier – معجم العلوم الإنسانية - ترجمة د.جورج كتوره -كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع -ط1 - 2009 - ص 446

(3) Eric.Wolf, Europe and the People without History USA -UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS, pp. ix -x

(4) Miranda Bruce -Signs & Symbols -Mitford - DK Publishing -2008 -p.10

اجتماعيــة. مما يجعــل الرمز كما يقول كارل جوانــغ (Carl G.Jung): "من المسائل المثيرة لجدل التكهنات والمضاربة (controversial speculation)"[1] .

كمــا يجب أن نوضح بأن العلامة أبسط وأقل تعقيدا من الرمز من حيث الفكرة والمعنــي والتأثــير، حيث تلعــب العوامل النفسيــة والأيدلوجيــة دور مهما في تحديد دلالتــه كالصليب بالنسبة للمسيحيــين أو الحجاب في الإسلام، ولكن ذلك الصدى والــدلالات والمعنــي لا نجدها عند أخر متشبع بديانة أخــري، فيختلف معني الرمز بإختلاف الدلالات والتخصصات والكتاب، ولقد ميز الفيلسوف واللساني شارل س. بيروس 1914- 1839 (Charles S. Peirce) بين ثلاثة انماط من الأشارة (العلامة)، (والايقونــة) (والرمــز). فالعلامــة هي الدخان الــذي يشير إلى النــار أو هي اثر اقــدام تشير إلى مرور حيــوان. والايقونة هي الصورة المتشكلة التي تمثل موضوعا، ثــم أخــيراً الرمز الذي يقيم مع ما يمثل علاقــة اصطلاحية محضة، ويشير الرمز عادة إلى صورة أو موضوع له قيمة مقدسة أو مجازية[2].

فالرمــوز نســق ثقــافي تأخذ مدلولهــا حسب النظــام والمجال الــذي وضعت فيه، فالوضوء والطهارة فعل صحي ومفيد ولكن في اطار الطقس الديني فعلا رمزيا يشير إلى الطهــارة الروحية والانتقال من مرحلة دنيوية إلى مرحلة أخرى قداسية، واللون والمــكان نماذج محايد ولكنه قــد يصطبغ بدلالات رمزيــة إذا وضع في اطار ودلالات ثقافية دينية خاصة ضمن المجال المتحكم فيه، ويوضح الإستاذ عادل مختار الهواري أهمية الافعــال التعبدية والشعائر بالنسبة للجماعات، حيث تقوم بدور إعادة تشريع تلك الجماعة بعلاقتها بالاشياء المقدسة ثم من خلالها بما وراء الأشياء"[3].

(1) Carl G.Jung - And Others – Man And His Symbols - A WINDFALL BOOK -DOUBLEDAY & Company Inc -1976 -GARDEN CITY -NEW YORK - p.20

(2) جان فرنسوا دورتيه — مرجع سابق - ص 446

(3) عادل مختار الهواري —«الأصول الاجتماعية التاريخية للظاهرة الدينية: نموذج المسيحية في أوروبا»، الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث - مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت -ط2 2000- ص 69

بالتالي فالرمز أكثر تداخل وتعقيدا من الإشارة التي لا تقبل سوى دلالة واحدة، ولا تقبـل التضارب والاختلاف بـين شخص وآخر مادام المجتمـع اتفق على صيغة معينة واحدة في دلالاته لتلك الإشارة كإشارات المرور على سبيل المثال، فالإنسان هو الذي يعطي القيمة والمعني للرمز، فاللباس الأبيض يعتبر في بلاد المغرب الإسلامي على سبيل المثال رمـزا للحداد وكذلك الحال لدى الصينين التقليديين[1]، في حين إننـا نجد بأن في بعض المجتمعات يكتسي اللـون الأسود الرمزيـة والمعني الأشمل والأعم للحداد والحزن والكآبة.

إن الرمـز في اللغة الإغريقية(Symbolon) تعني قطعـة أو لويحة مفتتة الأجزاء، حيـث الأطراف المبرمة للميثـاق تحفظها لديهـا بعناية،[2] وكانـت علامة تعارف بالنسبة لاشخاص متباعدين منذ زمن طويل، حيث كانت قطعة مقطوعة إلى قسمين بحيـث يحفظ كل واحد من الضيفين بنصفـه، فكان هذان الجزءان بتقريبهما من بعضهما فيما بعـد يستخدمان لتعارف حامليهما ولاثبات الضيافة المتبادلة سابقا، وبواسطـة مثل هذه الاشياء كان الآبـاء يتعرفون على الأبناء الذين سبق لآبائهم أن تخلوا عنهم عند ولادتهم.[3] فكان مصطلح رمز (symbol) يكتسب معنى يدل على شيء اخر[4]، وجاء في القرآن الكريم عن قصة زكريا ﴿ أَلا تكلِّمَ النـاسَ ثلاثةَ أَيام إِلا رَمْـزاً﴾[5] ، والرمـز في اللغة العربية هي الإشارة أو الإيماء بالشفتين أو العَيْنَيْنِ

(1) عبدالغني عماد – سيوسيولوجيا الثقافة- مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-ط-2008-2 ص171-

(2) ميشيل مسلان – مرجع سابق ، كذلك انظر:

Monsignor Di Falco And Others: Symbols of Catholicism-Assouline Publishing –New York-2000-p9

(3) فيليب سيرنج – الرموز في (الفن –الأديان-الحياة) – ترجمة عبدالهادي عباس- دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع – ط2009-2 – ص 41

(4) جون هينليس Jone R.Hinnells – معجم الأديانDictionary of Religions- مراجعة وتقديم: عبدالرحمن عبدالله الشيخ- المركز القومي للترجمة- القاهرة -ص 717

(5) سورة آل عمران : 41

أو الحـاجبَـيّنِ أو الفَم أو اليَـدِ أو اللِّسانِ، يَرْمُزُ ويَرْمِـزُ،[1] ويشـير الرمـز عـادة إلى صورة أو إلــى موضـوع له قيمة مقدسة أو مجازية[2] ، ويحددها (كينيث بورك Kenneth Burke) بإستراتيجية لفهم المواقف[3].

إلا انه من الصعوبة إيجاد تعريف محدد ودقيق للرمز كما هو الحال مع المفاهيم الإنسانيـة الأخرى كالثقافـة والإيديولوجية والعولمة وغيرهـا والتي تخضع لمفاهيم التغـير وتبـادل وتنوع التجربـة الإنسانية، مما دعـا (مالـرو Malraux) بأن يصف الرمـز "بأنـه يعـبر عما لا يمكن التعبير عنـه إلا بـه"[4] ، إلا أن أهم ما يمكن أن يميـز الرمز هو العلاقة ، فالرمز هو المعني الخفـي الذي يرتبط بطرفين للتفاهم والتقـارب بينهمـا وإقامة علاقة بـين الناس فهي لغة غير منطوقـة وعلامة مرئية فاعلة كما يقول (ميشيل مسلان)[5]، وبالتالي فهي فعل ثقافي اجتماعي، فلا قيمة فعليه للرمز إلا إذا كان مفهوما لدي مجموعة من الناس، كما يحدد ارنست كاسير Ernst Cassirer الحقل الرمزي بضم كلا من اللغة والفن والعالم الأسطوري– الديني والتـي تشـترك في إحالتها إلى تمثلات (متخيلة أو فعليه) لهـا دلالاتها المتعددة في ذهن الإنسان، كما يعتبر أن قوة الإيحاء في الرمز هي التي تتيح للكائن البشري أن يتخيل ويبدع ويبتكر ويفكـر[6]، فالرمز بالتالي ليس فقط عـلاقة تبـادلية لإقامة تفاهـم معـين بين الناس بحسب بل هـو أعمق من ذلك، حيث انـه محاولة إنسانية لفهم للعالم المحيط به يتيح والتبادل الثقافي والدلالات والمعاني بين أفراده، وأحدى

(1) مجد الدين الفيروزابادي - قاموس المحيط - مراجعة وإشـراف الدكتور/محمد الاسكندراني- دار الكتاب العربي – بيروت -2008 ص 548

(2) جان فرنسوا دورتيه Jean Francois Dortier – مرجع سابق - ص 446

(3) كليفورد غيريز-Geertz Clifford - تأويل الثقافات- ترجمة د.محمد بدوي-مراجعة الأب بولس وهبه-المنظمة العربية للترجمة وبدعم من مؤسسة محمد بن راشد أل مكتوم-ط-1بيروت-2009- ص 313

(4) فيليب سيرنج – مرجع سابق - ص41

(5) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص245

(6) جان فرنسوا دورتيه – مرجع سابق ص 446

أهم وسائل تشكيل العالم والذات[1] .

يقودنا الرمز إلى التأمل والتفكير في دلالات المعاني وخلفياتها ضمن إطارها الثقافي مما دعا بول ريكور **Paul Ricoeur** بالقول : "أن الرمز يحض على التفكير"[2] إلى أن الرمزية قد تقتضي تعدد المعاني للشيء الواحد ، وتختلف حسب الصورة المجازية والأهمية الدينية والقيمة الثقافية التي يكونها لاوعي بصورة وقيمة معينة يربطها الإنسان بمعارفه وثقافته، فقبيلة اوغلالا (**Oglala**) من شعب السو (**Sioux**) من قبائل الهنود الأمريكان تعتقد بقداسية الدائرة؛ لأن الروح العظمي جعلت كل شيء في الطبيعة مستديرا ما عدا الحجر، فالحجر هو أداة التدمير وكذلك الشمس والقمر والأرض كلها مستديرة مثل الدرع .... ومع أن الروح العظمي جعلت كل شيء مستديرا ، فعلى الإنسان أن يقدس الدائرة فهي رمز كل شيء في الطبيعة خلا الحجر ... لذلك يصنع الاوغلالا خيمهم **tipis** بشكل دائري ويجلسون بشكل دائري في احتفالاتهم كلها ، فالدائرة لديهم رمز الخيمة ورمز المأوى/ الأمان الذي يأوون إليه، فإذا رسم احدهم دائرة تزينية ولم يقسمها بأي شكل من الإشكال فيجب أن يفهم أن هذا هو رمز للعالم وللزمن[3] ، إذن فالمهدات والخلفيات الثقافية قد تحدد بشكل كبير الرمزية وتصوراتنا للكون والحياة، ولكن برغم ذلك قد تختلف المعاني والرمزية وأساليب الحياة والنظم الاجتماعية بل والعقائد الدينية والثقافية وإن تشابهت في بعض الملامح لمجموعتين من البشر تقطنان في نفس المجال الطبيعي، والعكس صحيح بأن مجموعتان تسكنان بيئتين مختلفتين وتتلاقيان في نفس النظم الاجتماعية والثقافية والعقائدية ويتبادلا

....

(1) **كريستوف فولف- علم الاناسة (التاريخ والثقافة والفلسفة)-** Anthropologie Geschichte Kultur Philosophie**-نقل:البروفيسور أبو يعرب المرزوقي- مؤسسة كلمة بالتعاون مع الدار المتوسطية للنشر– ط1 - 2009 - ص 177**

(2) **ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص252**

(3) **كليفورد غيريز-**Geertz Clifford **–مرجع سابق- ص 291-292**

الدلالات الرمزية.

نستطيع أن ندرس ونحلل مختلف الرموز الدينية كتجربة دينية اضطلع بها الإنسان حيث اصبغها بشحنات رمزية ومعاني تبرز عمق العلاقة بين المقدس والإنسان، فكلمة مقدس **sacred** تعني الشيء الموقوف لله حسب الاشتقاق اللاتينية **sacer** ، كما ترتبط تلك الكلمة في السياق الروماني بكلمة **sanctum** ساحة داخل المعبد وكلمة **profane** (مدنس) وتعني الساحة خارج حرم المعبد أو الحوش الأمامي أو أمام المعبد**profanum** ، كما أن كلمة تضحية **Sacrifice** مأخوذه من مصطلح **sacrificio** المنحدر من الكلمة الذي عادة ما تترجمه بالقربان والاضحية والذبيحة، وبالتالي يتضمن معنيين مختلفين فهو في الوقت نفسه (إضفاء القداسة) و(الهلاك موتاً)، وبالتالي فالكلمة تكتسب معنيين المحتكر للآلهة وما يثير الرهبة في نفس الوقت، ولقد قام هوبر**Hubert** وموس **Mauss** بإيجاد تفسيرات حول تلك الازدواجية بشكل مقنع[1].

ويتفق دوركاييم**Durkheim** واتو **Otto** وغيرهم على التأكيد بأن" المقدس هو... ما يعطي ولادة للدين " أي انه "يعمل كجوهر ، بؤرة ، كعنصر شامل في الدين" ، ويعتقد إلياد أن الدين يعرف من خلال معايشة المقدس؛ لان المقدس كان عنصر في تركيب الوعي البشري"، ومع ذلك وكما يقول (جون هينليس **Jone R.Hinnells**) "لم يثبت على الاطلاق أن المقدس منبث في جميع الأديان مثلما يزعم بعض العلماء، ولا ينبغي ان تصنف كل الحالات ذات الاشياء المتمايزة والرمزية والذوات والأماكن بانها مقدسة"،[2] ويحدد روجيه كايوا **Roger Caillois** المقدس **Sacred** بقوله:" كل ما يعلق

(1) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- علم الاجتماع الديني،ترجمة،د.عز الدين عناية- هيئة ابوظبي للثقافة (كلمة)-ط-2011-1ص 89-88

وللمزيد حول التضحية والمقدس:،انظر:جيرار،رينيه Girard .Rene – العنف والمقدس - ترجمة سميرة ريشا – المنظمة العربية للترجمة / مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت - ط1 - 2009

(2) جون هينليس Jone R.Hinnells –مرجع سابق- ص 622-620

عليــه الإنســان سلوكه بالكامل ســواء أكان شيئا أم فكرة. انه كل مــا لا يقبل الإنسان ان يطرحــه على بساط البحــث"[1]. فعندما تطــرح كلمة مقدســ فالموضوع يتحول إلى موضــوع غير قابل للنقاش والتحريم والمنع وخارج نطاق البشري، وتكتسب معني الحقيقــة المطلقة، إمــا المقدس في اللغة العربية فيكتسب معنــى الطهارة، فالتقديس هــي التطهير والتبرك، والمقدسة المطهرة ويقال ارض مقدسة أي ارض مباركة وبيت مقدس أي البيت المطهر.[2]

فالمقدســ يمتلــك من القوة والفعاليــة والحياة والتجديد والطهــارة، مما يجعل الأشيــاء المقدســ المسرحــة بالنسبــة للأديان المختلفــة تكتسب السلطــة والحياة والفعاليــة برغــم انه ليس كل الاشيــاء والأماكن ذات الطبيعــة المتمايزة والرمزية الإلهيــة لمعتنقيها يمكن أن تعبر عن المقدس الفعلي، ولكن اصبغها بصبغة المقدس وإعادة تداولها وتوظيفها عبر الاجيال اكسبها تلك السلطة ووهم الفعالية، وجاء في معجــم العلوم الإنسانية "بأن كلمة المقدس اكتسبت معناها من خلال التعارض مع العالم الدنيوي، إما الأشياء المقدسة فهي الأشياء التي تشكل موضوع منع أو تحريم وتمثل القيم الأكثر سموا"[3].

إن الأشياء المقدس تكتسب قداسيتها بانتمائها إلى العالم العلوي الإلهي المقدس كمــا أنهــا تتموقع في العــالم الدنيوي، فقــال الله عزوجل يخاطب بنــي إسرائيل في قصة ملك الله طالوت : ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّــن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ

(1) روجيه كايوا Roger Caillois - الإنسان والمقدس- -ترجمة سميرة ريشا- المنظمة العربية للترجمة- توزيع مركز دراسات الوحدة العربية - ط 1 - بيروت 2010 - ص 189

(2) ابن منظور - لسان العرب - مج 6 — دار صادر- بيروت - ط 3 - 1994 - ص169-168

(3) جان فرنسوا دورتيه Jean Francois Dortier — مرجع سابق - ص 1005

إن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[1] ، ونتيجة لذلك كانت جميع الأشياء المقدسة الرمزية في جميع الأديـان، بغض النظر عن اصالتهـا ومصدقيته كانت عرضـه للاستغلال والربط بالسحـر عبر الأزمنة، حيث ضم الإنسان عبر تاريخـه الطويل العديد من الأشياء التـي اعتبرهـا واعتقـد بقداسيتها ، مما جعلـه يحيطها بهالة مـن المنع والتحريم والقداسـة والهيبـة، مما جعل المقدس على مر مراحل التاريـخ الديني بأن يحتفظ بأصالة مميزة أضفت عليه وحدة لا نزاع فيها[2].

إن الرمـوز الدينية امتلكها الإنســان وأثرت حياته في زمان ومكان معين وصيغت وتطـورت لديه جـراء التجربـة الدينيـة وتعاليمهـا. فالرمز الدينـي يدخل ضمن إطـار المقدس المعاشـ الذي يبنى علاقة مع الإله المتعـالي وتتبادله الإفراد المنتمية إليـه ضمـن التجربة الإنسانية ليكـون شبكة من العلاقات والانتمـاء والترابط بين أعضاءها، فالرمز الديني للمتدين يفرض الهيبة والخوف والرجاء والمحبة كتعابير نفسية سيكولوجية، فنستطيع من خلال دراسة تاريخ الأديان أن نتعرف على بنياته الأساسيـة وأنساقها مـن شعائر وأساطـير ورموز وعقائد متنوعـة، حيث نستطيع مـن خلالها القرب من فهـم وإدراك وكشف معاني وبنيات الرموز وموقعها وتحليل مضامينهـا، مما يجعـل الحقائق على حد قول فيليب سيرنج تختبئ خلف الأشكال الرمزية[3].

تقودنـا الدراسـة الأولـة للرمـوز الدينية للأديـان المختلفـة استخلاص البنى

(1) سورةالبقرة : 248

ملاحظة :القول في معني السكينة عدة أوجه ومنها بان : السكينة طست من ذهب كانت تغسل فيه قلوب الأنبياء، أعطاها الله موسى عليه السلام فوضع فيها الألواح . ورواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس وأخر فسر السكينة بروح الله تتكلم بالإضافة إلي الأشياء المقدسة الأخرى ومنها كما قيل عصاه موسى ورضاض الألواح: للمزيد انظر:

ابن كثير- تفسير القران الكريم- المكتبة العصرية صيدا/بيروت – -2009 ص 265-264

(2) روجيه كايوا Roger Caillois – مرجع سابق- ص 88

(3) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 496

الأساسية المشتركة بينهم، والأشكال الرئيسية الأولى في كل حياة دينية، والاستفادة من دلالاتها من خلال التنوع الهائل في الظواهر الدينية ورموزها، إلا انه لابد لإدراك الرموز والمعني، علينا نـدرك بأنه لا يمكن للمعني ان يصبح مرئيا وقابلا للإدراك إلا إذا تم الكشف عن النسق المولد[1]، أن رمز الديني يتموقع كأداة تواصل وشيفرة في داخل الوعي واللاوعي البشري تساعده في تحديد موقعه من نفسه والآخرين، وتساعده على تبادل الدلالات الرمزية واستهلاكها.

المنهجية:

يقول بيكن عن التاريخ بأنه حطام سفينة، ضاع من الماضي أكثر مما بقي، ولكن برغم ذلك أن الرغبة في دراسة الرموز الدينية وأشكالها يظل هاجسا للباحث "فالحنين لزمن ضائع قد وجد بواسطة الرمز" كما يقول مريشيا إلياد،[2] ولكن من المناسب علينا في البداية إيضاح إلى إننا لن نتوخى قط تقديم دراسة شاملة للرموز الدينية لصعوبة تلك المهمة، فالحياة بمجملها عبارة عن معاني ورموز تعبر عن كون الإنسان إنما هو كائن رمزي عقلاني يستطيع أن يبني ويدرك رموزه الخاصة، مما يجعل العالم غابة أو غابات من الرموز على حد وصف امبرتو ايكو **Umberto Eco** [3] والشاعر الفرنسي بودلير **Baudelaire** [4]، لذلك سوف نحاول استخلاص السمات الرئيسية والمنطلق الأصيل الكفيل بتوضيح

(1) **أمبرتو إيكو** Umberto Eco - **العلامة -تحليل المفهوم وتاريخه- ترجمة سعيد بنكراد- راجع النص سعيد الغانمي- منشورات كلمة والمركز الثقافي العربي-ط-2007-1ص 22**

(2) **ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص252**

(3) **امبرتو ايكو – مرجع سابق - ص 210**

(4) **فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص39**

نشــأة وتطور الديــن ورموزه المادية ومزاياه الرئيسية انطلاقــا من بنياته تصوراته المقدسة للكون والخالق والحياة والبشرية .

فالموضــوع يختص بدراســة العنصــــر المــــادي وأشكال الحـيــاة البـــارزة في صــفحــة الحـــياة لتعبر عــن الرمـــز الدينـــي لجمــاعــة وزمـــن ما، سوف نقــــوم بدراســــة تاريــــخ الأديــــان فــــي حضـــارات الشــرق الأدنــــى القــديم[1]، والمسيحية والعرب قبـل الإسلام وصولا إلى الإســلام ورموزه الدينية، فانطلاقتنــا تبــدأ في محاولة الإحاطة من مزايا والمعــاني الرئيسية للرموز الدينية (الأشــكال والرمــوز المكتوبــة (النقوش)- المعابــد - التمائم- والمبــاني، والأشياء المقدســة... الخ) أي كل ما يعبر ويرمز إلى المقدســ بصورته المادية الملموسة، انه محاولــة لاستكشاف مرتكزات وبنيــات الرمز الديني، وذلك لغرضــ إيجاد صيغة لفهــم الأخر بشــكل أفضل وإيجاد صيغــة للحوار الحضاري وخاصــة بروز ظاهرة الاعتداءات على الرموز الدينيــة وخاصة بعد إحداث 11 سبتمبر وما يطلق عليه جون فــريم John Fraim بـ(حــرب الرموز) الدينية[2]، فالانطلاق من معرفة الأخر وفهم الأديــان سبيل لفهم أعمق للتجربة الإنسانية ودلالات المعني التي سوف تساعدنا في حــوار يقرب الصورة ضمن مضمونها، وهذا مــا يؤكده ميريشيا إلياد Mircea Eliade بــأن توفر معرفة وفهم الأديان يساعد على إثــراء الحوار بين الأديان والوصول إلى معرفة أعمق بالإنسان[3]. وبأن الايقونات(Images) والرموز والأساطير تسطيع أن

(1) الشرق الأدنى القديم: مصطلح يدل الحضارات التي نشأت في ما يسمى اليوم بالشرق الأوسط، وتحديدا: بلاد الرافدين ، ،مصر القديمة، وإيران القديمة (عيلام،وماد، وفارس)، ، بلاد الشام ، ويتوسع هذا المصطلح ليشمل احيانا :أرمينيا، الأناضول (تركيا حاليا)، كما ان هذا المصطلح يستخدم غالبا في مجال علم الآثار في الشرق الأدنى والتاريخ القديم. يغطي هذا المصطلح حقبة بداية ظهور سومر في القرن الرابع قبل الميلاد، أما تارخ انتهاء الحقبة فهي تتفاوت حسب الآراء، إما إنها تغطي العصر البرونزي والحديدي في المنطقة، إلى حين دخول الأخميني للمنطقة في القرن 6ق.م أو في عند دخول الإسكندر الأكبر في القرن 4 ق.م، أو في زمن دخول الخلافة الإسلامية للمنطقة في القرن 7م.

(2) John Fraim- Battle of Symbols: Global dynamics of advertising, Entertainment and Media- -2003-Am klosterplatz ch8840-Einsiedeln-Switzerland

(3) ميرتشيا إلياده Mircea Eliade – البحث عن التاريخ والمعنى في الدين– ترجمة وتقديم : د.سعود المولى – المنظمة العربية للترجمة-توزيع مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت -2007 ط 1 - ص 55

تساعد في إلقاء الضوء على معظم الأشكال الخفية لبدايات البشرية، كما تساعدنا بأن يفهم كل طرف منا الاخر بنحو افضل[1].

كمـا أن الكتاب محاولة بأن نفهم العـالم والحياة وتنوعه بصورة اقرب وأوضح، ونـدرك تصـورات الأمم السابقـة ورؤيتهم للمقدسـ ، صحيـح إن المسافة والهوة الفاصلـة بين ظهور الإسلام ووحدانيته وبين المعتقـدات الدينية السابقة في الشرق الأدنـى القـديم عميقة جدا لو قيست بالتواريخ والأعـداد، ولكن مع الإسلام كانت تلك المسافة سطحية حيث تقدم الدعوة المحمدية والقرآن نفسيهما كامتداد ومكمل للخـط للتاريخـي المقدسـ للديانـات السماويـة أو الرسولية اليهوديـة والمسيحية، بالإضافـة إلى أن القـرآن يعطينـا إشـارات ودلالات تاريخية لممارسـات وقصص موحلـة في القـدم ربما تنسي دلالاتها عـبر الزمان، ليكون بذلـك الدين الإسلامي المكمل للخـط الكرونولوجي الزمني للتدين التوحيـدي أو كما يسميه يوسف زيدان (المتصل التراثي)[2].

يدخـل الكتاب ضمن دراســات الموضوعية للاديان الـذي ادخله الالماني ماكس موللر **Max Muller** تحـت مسمى (**Religionswissenschaft**) أو بـما يسميـه(ميريشيا إلياد **Mircea Eliade**) بتـاريـخ الأديان المقارن(**Allgemeine Religionswissenschaft**)[3] ، إلا أنني أفضـل أن يطلق مصطلح مقاربة الأديان بدل مقارنة الأديان، فالمقارنة بين الأديان مـن ابغض الأمور بالنسبة للنفس البشريـة التي جبلت على التدين والاختلاف بين الأديان والتوجهات والأفكار والعقائد الدينية والميل والنزعة العاطفية وعدم القدرة

(1) Mircea Eliade- Images and Symbols studies in Religious symbolism - Translated by Philip Mairet-Princeton University press-Princeton ,New Jersey-p12

(2) يوسف زيدان - اللاهوت العربي - دار الشروق - القاهرة - ط 2 - 2010 - ص30

(3) يصعب تعريف كلمة الألمانية Religionswissenschaft حيث لا يوجد مقابلها في اللغة الانجليزية كما التبس على الباحثين تفسير وتصنيف كتابات ميريشيا إلياد ما بين دراسات الأديانReligions أو فينومينولوجيا الأديان Phenomenology أو المورفولوجيا الأديان Morphology للمزيد انظر :
Mircea Eliade- The Quest History Meaning in Religion —Midway Reprint-USE- P1

على الحيادية المطلقة، فالمفاضلة بين الأديان كما يقول هوستن سميث **Huston Smith** "من أكثر المفاضلات بغضا"[1]، الا أن مصطلح تاريخ الأديان هو المصطلح الأكثر شيوعا وانتشار وشمولية.

لذلــك فالكتــاب يعني بشكل أساســي بتاريخ الأديان أو يمكــن أن نطلق عليها دراســة طوبولوجيــة **Typology** ومقاربات تاريخيــة وسيوسولوجيــة – انتروبولوجية للرمز الديني، وذلك في محاولة لتفسير الظواهر وغايتها من خلال بعدها التاريخي ضمن التجربة الإنسانية، في محاولة تفكيك الظواهر الدينية ورموزها المادية والتي أعطــت معني للكون والحياة بالنسبــة لمعتنقيها وأثرت الفكــر والتجربة الإنسانية، فكما يقول كليفورد غيريز، المعاني لا يمكن تخزينها إلا في رموز سواء كان: صليب، هــلال ، ثعبان مجنــح ، إن هذه الرموز الدينية كما نجدهــا ممسرحة في الطقوس أو مرويــة في الخرافات، تختصر بالنسبــة إلى الذين يؤمنون بها كل ما هو معروف عن العالم، وعن الحياة العاطفية التي يدعمها هذا العالم وعن الطريقة التي ينبغي للمرء أن يتصرف وفقها بينما هو يعيش في هذا العالم[2] .

سوف يخوض الكتاب في البحث عن المعني التاريخي للأشياء والرموز ضمن إطارها الديني المقدس ومن خــلال المقاربات التاريخية والفنومنولوجية (الفلسفة الظواهريــة) والمورفولوجية (علم الأشكال) [3]، حيث يساعدنا تاريخ الأديان على تتبــع نماء الفكر الإنساني وتطوره وتحديد موقع وواقــع الوجود الإنساني واستقراء المستقبــل، لقد استطــاع الإنسان أن يجعل للكون والعالم المــادي معان ورموز، فكما

---

(1) **هوستن سميث** Huston Smith **– أديان العالم – تعريب وحواشي سعد رستم- دار الجسور الثقافية – حلب – ط 3 – 2007 – ص 19**

(2) **كليفورد غيريز- مرجع سابق – ص 291**

(3) **الفنومنولوجية: مصطلح استخدمه علماء الاجتماع وتعنى بدراسة الظواهر تحليلا وصفيا كما هي معطاة في تجربة الشخص المباشرة دراسة وصفية خالصة سعيا لتجاوز الظواهر والحوادث والغوص في بنياته والقصد التي تسيطر عليه في الوعي واللاوعي.**

المورفولوجية : مصطلح استخدمه علماء الاجتماع وتعنى بدراسة أنماط الأشكال الاجتماعية وصفاتها المميزة،ويحدده مارسيل موس بأنها عملية (تشريح للمجتمعات).

يقول ثيودور باترسون Theodore Peterson " استطاع الإنسان، بإنشائه عالمه الرمزي أن يلقــي على هذا المحيط المادي أبعاداً أكـثر عمقا جعلت من الواقع القريب شكلاً فريداً يُعرف بانتسابه إلى الجنس البشري "[1].

كمـا علينــا أن ننــوه بأنــه ليســ الغرضـ من الكتــاب بشــكل أساســي دراسة سيوسيولوجيــة للتفاعليــه الرمزيــة[2] Symbolic Interactionism ، أو الخوض في جوهر الديــن ودراســات الأديان (اللاهوتيــة Theology) التي تحــاول ان تجيب بما علينا أن نؤمــن ؟ ولماذا ؟ بقدر إنها محاولــة استفتاحية ومدخل لبحث الرموز الدينية في مجتمعاتنــا وتفاعلهــا معه من خلال السيرورة التاريخيــة، حيث يقوم علم الأديان علــى طريق الفيلولوجية لغوية، تاريخية واجتماعيــة تجريبية فقط،[3] وبذلك فهو محاولــة لإثراء العلوم الإنسانية. فلقد حظيت دراسة فعالية الرموز الدينية ودورها الحيــوي في المجتمع باهتمــام ومقاربــات نظريــة لعل أبرزهــا دراسات ماكس ويبر Max Weber وميريشيا إلياد Mircea Eliade وغيرهم الكثير.

يناقشــ الكتــاب الفكر الديني ورمــوزه المادية انطلاقا مــن حضارات الشرق الأدنــى القديم والانتقــال التاريخي التدريجي للفكر الدينــي بمعانيه ورموزه ضمن ذلك المجال الضيق إلى ظهور المسيحية وصولا إلى الإسلام خاتمة الأديان السماوية العالميــة والعقلانيــة، برغم أن الأستــاذ يوسف زيــان يختلف على تسميــة الأديان السماويــة والتــي توصف بها عــادة اليهوديــة والمسيحية والإســلام، ويصفها بأنها تسمية مجازية ولفظ غير دقيق والأفضل بتسميها (ديانات رسولية أو رسالية)[4].

(1) Theodore Peterson,op.cit - P15

(2) هامش: نظرية اجتماعية تركز على تبادل الرموز بين الأفراد او المجموعات في التفاعل الاجتماعي، وتهتم النظرية بتفاعل الأفراد في المستوى الصغير وليس المجتمع ككل.للمزيد انظر:
جان فرنسوا دورتيه – مرجع سابق -ص249-247

(3) جون.ر.هينليس John R.Hinnells –مرجع سابق- ص592

(4) يوسف زيدان - اللاهوت العربي- مرجع سابق- ص 23-20

كما يبــين ميشيل مسلان بأنه بالإمكان" تحليل الرمــوز الدينية بمجمل التراث العقــدي الداخلي الذي يمنحهــا معنى خاصا وكذلك أيضــا بالفضاء الثقافي الذي تشــكل فيــه التراث الديني" ، تدرس الرموز لكونهــا عالما آخر من المعاني والدلالات التــي قد تختلف صورها حسب ممهداتها الثقافية والدينية بين المجتمعات، فالرمز يبلــغ هدفــه في اللاوعــي البشري لأصحابــه دون أن ينطق بهــا ، بالرمزية عبر عن الأفــكار بشكلها التصويري، حيث يوضح امبرتو ايكــو Umberto Eco بأن الرمز سواء كان كيان تصويري أو غير تصويري يمثل من خلال خصائصه الشكلية أو من خلال طابعــه العرفي، حدثا أو قيمة أو حدسا أو هدفــا مثلا الصليب (علامة الصليب)، المنجل والمطرقة، جمجمة ميت (علامة شعارية) (علامات البحرية)[1].

يعــرف رويستــول بيــك E.Roystone Pike تاريــخ الأديان بقوله" انــه دراسة علمية وموضوعية تتناول ديانات العالم الماضية والحاضرة، وهذه الدراسة تتوخي دراسة الديانات في ذاتها، واكتشاف ما يقوم بينها من تشابه واختلاف، واستخلص مفهوم الديــن بوجه عام عبر ذلك، وإيضاح السمات المميزة للشعور الديني[2]، بينما جان بــاروزي J.Baruzi فيعرفه بـ"دراسة علمية موضوعيــة تتناول أديان العالم المختلفة، الغابــرة والحاضــرة، غرضها دراسة هذه الأديان أولا، والعمــل ثانيا على كشف ما بينها من تشابه وتباين بغية والوصول إلى دراسة الدين بذاته، أي مميزات العاطفة الدينية[3].

إن تاريخ الأديان إنما هــي دراسة علمية للأشكال الدينية في إطارها التاريخي، والتــي تحــاول أن تفسر الشعور الديني السيكولوجــي والذهني ودلالات المعاني على منحــى تأويلــي لتفسير الظواهــر ومجمل الشعــور الديني والعلاقــات الكامنة بين الأديــان، فالكتــاب ســوف يدرس تلك الرمــوز الدينيــة وعلاقتها بأشــكال التدين

(1) امبرتو ايكو – مرجع سابق - ص37 .

(2) جيب/ عادل العوا - علم الأديان - منشورات عويدات - بيروت/باريس- ط 1 -1977- ص 5 .

(3) المرجع نفسه - ص5 .

والشعـور الديني الكامن والدلالات والتصورات الدينية بالنسبة للرموز التي تجعل البشـر يقبلون بجاذبية عاطفية كلية نحو الرمـز الدينـي، ويفسـر ميريشيا إلـياد Mircea Eliade ذلك بقوله" الرمز الديني يبلغ رسالته حتى ولو لم يدرك بوعي بكليته. لأن الرمز يتوجه للكائن البشري بكليته وليس لعقله فقط"[1]

كما سيتناول الكتاب الفن الديني كتعبير رمزي مادي لفكرة دينية في الإنسان أو بواسطـة الإنسان[2]، حيث سوف يحلل الرمزية التي جعلت الصورة تنطق بالفكرة والمعـاني من خلال دراسـة الرمز الديني من داخل منظومـة الفكر الذي نشأ فيه، فالرمـز الديني نشأ وترعـرع ضمن تاريخيا في إطار وثقافـة محدد وزمن تاريخي محـدد اكسبه صفته الخالصة المميزة، ولكن برغـم ذلك الرمز الديني يسمو فوق كل شيء خارج المجال الأرضي الدنيوي التاريخي إلى مجال الروحي الإيماني، يبعث الرمـز علاقات ايجابية تربط المنتمين إليـه بروابط وطيدة، تكتسب قوتها بتعاليها عن المجال والعلاقات الدنيوي.

إن الرمزيـة تقـوم بوظيفـة إعادة بنـاء التصـورات لتتجاوز المعنـي الظاهري للموضوع إلى المعني الباطني ودلالات المعني الرمزي، فيوضح غوته بأن " الرمزية تحـول الظاهرة إلى فكرة والتـي تتحول بدورها إلى صورة، بشكل تبقي معه الفكرة ناشطـة دائمـا داخـل الصورة ومنيعـة وحيـة إلى ما لا نهايـة، وحتـى إذا فسرت الفكـرة بكل اللغات فهي مع ذلك تبقي متعـذرة البيان"[3]. إن الارتباط بين الدين ومعتقداتـه والرموز التـي تنتجها ذات أهمية علمية كبـيرة للباحث، حيث أنها كما يقـول كارل.ج.جونغ Carl G.Jung " تمكننا من تحديد وتفسير الرموز حسب السياق

---

(1) مرسيا إلياد - المقدس والمدنس- -ترجمة عبدالهادي عباس دار دمشق —ط-1988-1ص.97

(2) سعاد ماهر - دراسات في الحضارة الإسلامية-مج-1(الفنون الزخرفية)- الهيئة المصرية العامة للكتاب-1985- ص 26

(3) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص248

الذي يمنحه المنظور التاريخي ، فضلا عن المعنى النفسي"[1].

استند الكتاب على بحوث ودراسات عدة، لكن مادته بنيت دون أن تسمح بطغيان الخلفيــة التاريخية، على حساب أن تحجب المعني الرمزي الكامن الذي حملته تلك الأديان والمعتقدات، صحيح أننا سوف نبحر في أديان مختلفة كالمسيحية على سبيل المثــال ، ولكن علينا قــدر المستطاع دراسة تلك الأديان بحياديــة عن طريق التحرر مــن الأحكام المسبقة، وجدية التنــاول والطرح وبنظرة إنسانية، فالكتاب رحلة عبر الرموز ضمن المكان والزمان ، فسوف نري بأن الأماكن والأزمنة سحيقة ومتناثرة، والرموز تشكل حلقات من التواصل بين الحاضر والماضي ، حيث الغوص في مجاهل المعنــي والــدلالات الرمزية والفكــر والأسطــورة والروحانيات من خــلال الصورة والتصــور، ســوف نرى قفزات عبر الزمان، وربما قد نصــادف عقبات ولكن برغم ذلــك فالكتاب عبره عن رحلة في الرموز الدينية المادية الظاهرة في صفحة الحياة والتي نشاهدها ولا ندرك معانيها وخلفيتها التاريخية.

سوف نناقش في هذا الكتاب الرمز الديني المادي الذي من خلاله ستدركون مع الوقت أن تلك الأشيــاء الرمزية المقدسة عالم حقيقي أخر، وستدركون بأن الرموز حيــة تتحرك في خلايا الحياة وتحفز النفس البشرية للمتدين وتقوى مناعته، وبأن الرموز المسرحة في صفحات الحياة، إنما هي كلمات إيحائية ، بل أن الرمز الديني بالفعــل هو أحجية المقدس الديني الأكثر إثارة، وأخيرا فالكتاب مجرد كتاب علمي ربمــا قــد لا يتعدى كونه هــذا ، فهو محاولة لاعــادة بناء وترميم الذاكــرة والرموز الغائرة في النفســ البشرية والمتناثرة في صفحات الحياة، وإبراز فعالية الرموز في المجتمعات ، ولكن برغم طول الحديث فالكتاب لا يعبر عن الحقيقة الكاملة المختبأه وراء الرمز الديني المقدس.

....

(1) Carl G.Jung – And Others S- Man And His Symbols - A WINDFALL BOOK-DOUBLEDAY & Company Inc-1976-GARDEN CITY-NEW YORK- P.109

الباب الأول

مدخل لدراسة الرمز الديني

"إن العيش من دون إدراك معني العالم هو أشبه بالتجول في مكتبة عظيمة من دون لمس الكتب"

دان براون Don Brown / **الرمز المفقود**

الفصل الأول

الدين والرمز

الديـن عنصـر أساسـي في التكوين الفطـري للإنسان، وجد الديـن منذ الأزل قـدم النفس البشرية، وعبر القرآن عنها في قوله تعالي: ﴿أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[1] ، ومنذ القدم بدأ الإنسان يعـبر عن نفسه والمقدس من خلال رموز دينية تمثل الآلهة والمقدس، حيث ساهمت المؤثـرات البيئيـة والثقافية وعوامل أخري في بروز وتعـدد الأديان والتي نمت معها الأساطير والخرافات والشعوذة والسحر والطقوس الدينية، وبرز المقدس والمدنس في الفعـل الإنساني ، لذلـك فإن» الحس الديني قد خضع لنفس التطور الذي خضع لـه الإنسـان، فاختلف وفقا لمراحل كثـيرة لارتباطه ارتباطا وثيقـا بالإطار الثقافي الذي وجد فيه» [2].

يتكـون الدين مـن مجموعة من الأنسـاق والدلالات المعاني الرمزيـة ، فالنظام الدينـي كما يقول كلفورد غيريـز Geertz Clifford إنما هو " مجموعة الرموز المقدسة المتكتلة والمحبوكة في كلية منظمة"[3] ، ويصف جون هلينيس الدين بكونه مجموعة مـن النظم الرمزية[4]، كما تكمن قوة الرمز بكونه محمل ومشحون بكم هائل من الـتراث الثقافي والدينـي للمجتمعات ذات الصلات المعرفيـة والدلالات المشتركة، فالديـن يكشـف لنا عمـق التجربـة الدينية للإنسـان، فالكلب الجائـع يتفاعل مع

(1) سورة الروم :30

(2) جعفري بارندر - المعتقدات الدينية لدي الشعوب- علم المعرفة- عدد173 - -ترجمة د/إمام عبد الفتاح إمام – مراجعة د/ عبد الغفور مكاوي- ص 8

(3) كليفورد غيريز- مرجع سابق - ص 293

(4) جون هينليس Jone R.Hinnells- مرجع سابق - ص 717

الطعــام بالأكل فقط، وهكذا قد يصنع الإنسان؛ إلا أنّ ما يأكله الإنسان يتوقف إلى حــد كبير على اعتبارات رمزيــة. فقد يحرِّم على نفسه ألواناً من الطعام المحرم في الدّيــن والعقيدة، بينما يتنــاول أنواعاً أخرى لسمعتها الطيبــة في التداوي والعلاج والشفــاء، وقد يتناول الطعام رغبــةً بالتباهي أمام النـاس كأن يــأكل الكافيار على سبيل المثال[1]، كطعام فاخر مرتفع الثمن والجودة، فالدين من خلال فعل العبادة للجماعات كما يقول الأستاذ عادل مختار الهواري يقوم بدور فعال في إعادة تشريع تلــك الجماعة بعلاقتها بالأشياء المقدسة ثم من خلالهــا بما وراء الأشياء[2]. لقد خلــق تنوع التجربــة الدينية ومؤسساتهــا العديد من الرمــوز والطقوس والتمثلات والمعــاني الأساسيــة الــذي تكسبها طابعهــا الخاص المميــز لها، فيحــدد دوركايم **E.Durkheim** علــى انه يستوجب بالضرورة علــى أي مؤسسة دينية من جميع الأنظمة والمعتقــدات والطوائف أن يكون هنـاك عــدد معين من التمثيل الأساسية أو المفاهيم والمواقــف التي تعبر عنها بالطقوس، وذلك على الرغم من تنوع الأشكال التي تكون قد اتخذتها له نفس المغزى والهدف تحقيق نفس والوظائف في كل مكان[3].

تســأل الإنســان منذ القــدم حول الكيفية التــي يمكنه بها أن يختــزل المقدس أو المضمــون أو دلالات المعــاني الدينــي بالنسبة للمقدســ في صــورة ملموسة مادية، فكانــت الإجابـــة عن طريق الرموز الدينية، فالمعـــاني كما يقول كليفــورد غيريز **Geertz Clifford** "لا يمكن تخزينها إلا في رموز: صليب، هلال ، ثعبان مجنح ، إن هذه الرمــوز الدينية كما نجدهـا ممسرحة في الطقوس أو مروية في الخرافات، تختصر بالنسبــة إلى الذين يؤمنون بها كل ما هو معروف عن العالم، وعن الحياة العاطفية التــي يدعمها هذا العالم وعن الطريقة التي ينبغــي للمرء أن يتصرف وفقها بينما

....

(1) Theodore Peterson - op.cit - P15

(2) عادل مختار الهواري – مرجع سابق- ص 69

(3) E.Durkheim –The Elementary Forms Of The Religious life -TRANSLED BY JOSEPH WARD SWAIN-THE FREE PRESS N.Y1965 –pp52-56

هو يعيش في هذا العالم"[1]، إن أهم ما يميز الرموز الدينية بغيرها من العلامات والإشارات الرمزية أنها تعطى انفعالات عاطفية وتوقظ الحواس والنفس ومداركها بالنسبة للمؤمن، فيكفى علينا ملاحظة سلوك الإنسان المتدين إزاء الرموز الدينية لكـي نفهم وندرك مباشرة قوة الرمـز الديني والفاصل بين الرمز المقدس والرموز والعلامات الدنيوية، مما دعا مارتن لنجز **Martin Lings** بأن يصف الرمز الديني كانعكاس أو ظل للواقع العلوي[2].

يؤكد كارل جوانغ **Carl G.Jung** على الأهمية النفسية للرمز في الديانات وبأن احدى الأسبـاب لاستخـدام الرموز من قبل البشر، هو أن هنـاك أشياء لا تعد ولا تحصى خارج نطاق التفاهم بين البشر، ونحن لذلك نستخدم باستمرار مصطلحات رمزية لتمثيـل المفاهيم التـي لا نستطيع تحديدها أو وعيهـا[3]، فالدين والرمز ذو علاقة تفاعليـه، كما يذكر جورج هيربارت ميد بـأن العقل يستعمل الرموز لمراقبة الوسط الـذي يجدد معه حساباته بشـكل مستمر.لذلك فثمة فعـل وحركة مستديمان عبر التمثلات الرمزية،[4] ولكن دعونا في البداية، نتعرف على مفهوم الدين ؟ .

تعددت واختلفت الاتجـاهات الفكـريـة في تعـريـف وتفسير الـديـن والتدين لـدي البـاحثين العـــرب والغربيـــين، فكـما يقـول جـان فرنسـوا دوراتـيه **Jean Francois Dortier** "فبعـد مئـة عـام مـن الدراسـات لم يتـم التفاهـم حول هذا الموضوع"[5]، فنجد بأن سبنسر **Spencer** يعرف الدين بأنه نوع من الإحساس يجعلنا نسبـح في بحر من الأسـرار، وفورباخ **Feurbach** يصف الدين كشعور وغريزة الهدف

---

(1) **كليفورد غيريز – مرجع سابق – ص 291**

(2) Martin Lings - Symbol & Archetype- A study Of The Meaning Of Existence- -1991- INTERPRINT LIMITED - P1

(3) Carl G.Jung – op.cit- P.21

(4) **أكوافيفا، سابينو** Sabino Acquaviva / **باتشي إنزو** Enzo Pace **- علم الاجتماع الديني،ترجمة،د. عز الدين عناية- هيئة ابوظبي للثقافة (كلمة)- ط 1 -2011 - ص 65**

(5) **جان فرنسوا دورتيه** Jean Francois Dortier – **مرجع سابق -ص 446**

منهــا الوصول إلى السعادة، ويذهب جرجنسوهــن Girgensohn وفرغوت Vergote إلى نفســ المنحــى بأن جوهر الدين كما يقولان» ليس معرفة، وليس فعلا ، بل هو شعور، هــو جوهر متفرد بدون تحديــد»[1] ، أما عن نشــأت الـدين وتعـــدد الآلهة فيحدد ماكســ موللر Max Müller وهو عالم لغوي وكذلــك تيلور E.Taylor بأن مخيلة الإنسان وهواجســه وتأثــيرات العوامل الطبيعة كانــت عامل مباشر في ذلــك، وبأن الرجوع إلى الديــن يفسر بنزعتــه الإحيائية البدائية Animism كعقيــدة بسيطة في الكائنات الروحية[2]، ويقترب اللغــوي والفيلسوف الألماني فردريك نتشيه F.Nietzsche منهما وبخاصة من ماكس تيلور بأن نشأة الدين جاء من هواجس النفس والرغبة الجامحة للسعادة الأبدية.

كمــا فسر الدين بأنه ليس سوى انعكاس للعجــز البشري الطبيعي والاجتماعي، وآخرون ذهبوا ومنهم دوركايم E.Durkheim وماكلينان McLennan إلى أن أصل الدين الطوطميــة Totemism [3]، وبرغــم ذلــك ظهرت اصوات مــن الاثنولوجيين البارزين تعارضــ بشده تلك التوجهات امثال فلهلم شميدت وروبرت لووي وغولدنويزر الذي اشــار إلى أن القبائــل الأكثر بساطة لم يكــن لديــها لا عشــائــر (clans) أو طواطم (totems) فمن أين تستمد الشعوب غير الطوطمية ديانتها إذا؟ كما رفض فكرة بأن أصــل المشاعر الدينية تنبع من الحمية والتجمع الاجتماعي والمتمثله في اجواء اداء الطقوس الدينية، وتسأل عــن الأسباب التي جعلت رقصات هنود امريكا الشمالية

....

(1) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق - ص9

(2) حيدر إبراهيم علي -«الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية: ملاحظات في علم اجتماع الدين»، الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث — مركز دراسات الوحدة العربية — بيروت-ط2 - 2000 - ص 35

(3) الطوطمية: ديانة بدائية مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتقد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي رمزي اسطوري يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائر أو حيوان أو نبات أو ظاهرة طبيعية أو مظهر طبيعي مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحيا والانتساب اليه، وكلمة طوطم مشتقة من لغة القبائل الأصلية Ojibwe الأوجيبوا الأمريكية الشمالية .

اليومية تتحول إلى مناسبات وممارسات دينية[1].

يصف ماكس ويبر Max Weber الدين بالسحر ومقولته الشهيرة " زال السحر / الوهم عن العالم" وذلك عندما ازيحت القداسة عن الأشجار والمقابر وغيرها، ويعرف بعضهم الدين بالنظرة الإجتماعية ويصفه بأنه نظام من الرموز والانساق الثقافية يفعل لإقامة علاقات اجتماعية متينة بين الناس وحالات نفسية وحوافز شاملة، فنجد لوهمان Luhmann عالم الاجتماع الالماني بأن الخاصية الوظيفية للدين تكمن في خلق التواصل الذي يجعل العالم المحدود عالما،لا متناه من المعاني، وقادر بشكل ما، على تقليص أثر الفضاء الذي يعيش فيه الأفراد وتحويله إلى مستويات رحبة[2].

ويذكر ويبر M.Weber بأن الدين أقامة الناس خدمة لمصالحهم، حيث يوفر الدين أدوات الاستقرار والتغيير الاجتماعي، أما فرويد Freud فيخضع الدين إلى تحليله النفسي الذهني، فيذهب إلى أن الدين ابتكار بشري ضمن إطار نظريته (عقده اوديب Oedipus complex) وسلطة الأب المثالي، أما كارل ماركس Karl. Marx فيحدد الدين كبنية فوقية، وبأنه أفيون الشعوب والوهم الذي يحول فيه الإنسان ملكاته المسلوبه إلى قوى فوق الطبيعة يضفي عليها الصفات الإنسانية، باعتبارها كما يقول اختزال للواقع والعامل الاقتصادي الاجتماعي وذلك حسب نظريته المادية الجدلية، فالدين في رأيه غلاف أيديولوجي للاستغلال الطبقي من قبل الفئة الحاكمة في إطار ما سماه صراع الطبقات.

كما يذهب أوغست كونت (1857-1789) إلى اخضاع الدين لتطور الاجتماعي، وبأن الدين استراتيجية اجتماعية لخلق الوفاق، وبالتالي الدين مجرد عنصر يلبي حاجيات معرفية وسلوكية للإنسان، وبأن المجتمعات خضعت في

(1) ميريشيا إلياد Mircea Eliade - البحث عن التاريخ والمعنى في الدين- مرجع سابق- ص 70
(2) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق- ص48-45

تطورها إلى ثلاث مستويات:

1. المستوي اللاهوتي أو الوهمي.
2. المستوى الغيبي أو المجرد.
3. المستوي العقلاني الوضعي أو العلمي.

سوف تبلور أفكار كونت حول المجتمع والدين المجال، لتمهد لإرضية لتطوير النظريات حول الدين ذات الأسس الوظيفية ومنها أراء دوركايم[3].

يذهب دوركايم **E.Durkheim** إلى القول بارتباط الدين ونشأته بالخيال والأوهام، ويحدد الدين كحقيقة كامنة تربط الإله المقدس بالمجتمع الذي هو مصدر كل دين، حيث يربط ويعزز دوركايم نشأة الدين إلى الحياة الاجتماعية، فيقول: " الدين نسق موحد من المعتقدات والممارسات تجاه الأشياء المقدسة، أي الأشياء التي تعتبر محرمة – المعتقدات والممارسات التي تتوحد في مجتمع أخلاقي واحد يعرف بالكنيسة وكل الذين يلتزمون بذلك"[4]، حيث يرجع المعتقدات الدينية إلى معادلته الشهيرة (الله يعادل المجتمع) أو (الدين انعكاس للمجتمع)، وبأن المجتمع بتماسكه وترابطه الاجتماعي هو سر الاعتقاد الديني، أي أن المجتمع أصل الدين، ويبين بأن فهم تلك الميكانزمات يقود لفهم وإدراك الدين، كما يضيف دوركايم عنصر أساسي لتعريف الفكر الديني من حيث تقسيمه للعالم إلى قسمين: العالم المقدس **Sacred** والدنيوي المدنس **Profane**، كما يؤكد دوركايم **E.Durkheim** على الوظيفة الرمزية للطوطمية في التماسك الاجتماعي[5].

ويضيف كليفورد غيريز **Geertz Clifford** تعريف أخر للدين كنظام رمزي ذو أغراض اجتماعية، فيعرف الدين "بأنه نظام من الرموز يفعل لإقامة حالات

(3) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق- ص32-30

(4) E.Durkheim-op.cit –p62

(5) Ibid

نفسيــة وحوافــز قوية وشاملة ودائمــة بين الناس عن طريــق صياغة مفهومات عن نظام للوجود إضفاء هالة إلى الواقعية على هذه المفهومات بحيث تبدو هذه الحالات النفسية والحوافز واقية بشكل فريد"[1].

كما يحدد الأستاذ يوسف شلحت الديانة "كعاطفة فردية ونفسية قبل أن تكون ظاهــرة اجتماعية مشتركة، إلا أنها لا تحيى وتأخــذ جسما إلا في المجتمع"[2]. اما الأستاذ مصطفي عمر التير فيتخذ المنحى السيكيولوجي في تعريف الدين كعاطفة ذات علاقة بقوة أعلى، حيث ان الدين بالنسبة إليه "مجموعة من العقائد والمشاعر التــي تحــدد علاقة الإنسان بقــوة أعلى منه وتسببــت في وجوده"[3]، أمــا الأستاذ إدريــس سالم الحسن فيعرف الدين كقوة فاعلة في المجتمعات والأفراد المنتمين به، فيصــف الديــن بـ" الوعــي في كل صوره، وفي كل مستوياتــه، حقيقي يحرك الأفراد والجماعات(المتسربلــة به) للقيام بأفعال يعتقــدون ويؤمنون بها ولو أدى ذلك إلى التضحية بذواتهم المفردة أو بجماعتهم"[4].

ويلخــص هنري هوبير **Henry A. Huber** الفكرة الرئيسة التي يتمحور حولها الدين علــى حد قوله "بأنها مجموعة من العلاقات المتشابكــة، وبأن الدين إنما هو تدبير المقدس، فالأساطير والمعتقــدات تحلل مضمونه على طريقتها، والطقوس تستخدم خصائصه، والكهنة يجسدونه والمعابد والأماكن المقدسة والصروح الدينية توطده وتجــذره في الأرض، ومنه تنشــأ الأخـــلاق الدينية[5]"، كما عــرف شــلييرماخر **Schleirmacher** (فيلســوف ألمــاني) الديــن بأنه (الشعور بالتبعيــة المطلقة)، ويحدد

(1) كليفورد غيريز – مرجع سابق- ص 227

(2) يوسف شلحت - نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني- - تقديم خليل أحمد خليل- دار الفارابي- بيروت - ط 1 - 2003 - ص 44

(3) مصطفي عمر التير - « الدين والعقلانية ونمط تحديث التفكير العربي: ملاحظات مبدائية» ، الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث- مركز دراسات الوحدة العربية-ط2000-2 - ص 594

(4) أدريس سالم الحسن – «الدين ايديولوجيا» - الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث- مركز دراسات الوحدة العربية- ط2 - 2000 - ص 246

(5) - روجيه كايوا Roger Caillois – مرجع سابق - ص 36

هوســتن سميــثHuston Smith ســت مظاهــر مميزة للديــن: السلطــة (المرجعية)، الطقوســ، التأمــل والتفكـير العقلــي، المنقولات والــتراث، سيــادة وهيمنة اللّه مع الرحمــة والفضــل الإلهي، الأســرار،[1] أمــا مالينوفسكــي Malinowski في كتــابــه (Magic, Science and Religion) فيرجع الدين إلى الجانب النفسي للتدين، وبأن الدين يجعل الفرد يستجيب لحاجياته على المستوي المعرفي والعاطفي، وذلك لفهم وإيجاد تفســير للحياة والعــالم وإعطاء شعور بالأمان في وجه تقلبــات الطبيعة المتغيرة[2]، امــا الأستاذ (عبدالغني عمــاد) فيحدد الدين بكونه ثقافة كاملــة لشعب أو امة أو حضــارة، حيث انه يعبر عن رؤية للعــالم للطبيعة والوجود والإنسان، ويقدم تصورا لبنــاء الاجتماع الإنساني علــى نحو يغطي احيانا ادق تلك تفاصيل، وبانه كما يقوم الدين بتشكيل الثقافة يقوم أيضاً بشحنها بالرموز والمضامين والقيم[3].

لقد تعددت الآراء حول الأشكال الأولىة للدين وتطورها أدوارها الوظيفية، مما جعــل بعضــ الباحثين الغربيين يقسمــون نظريات تطورية للديــن ترتكز على ثلاث محاور : اتجاه حيــوي إحيائي animism واتجاه الطبيعي والاتجاه الطوطمي، وصنف اخــر هي النظريــات المؤلهة حيــث يذكر موللــر Max Müller بأن النــاســ هم الذين يضيفــون على الظواهــر الطبيعية القداسة حين تثير فيهــم مشاعر غير عادية[4]، ولكــن برغم ذلك ظل الدين ونشأته مستعصــي الفهم والتفسير بالنسبة للباحثين، كما أن الدين يكتسب فعالية وقوة وشعور لا يمكن إدراكه وتفسيره، حيث كان الدين المحرك الرئيسي لكثير من حركات التحرر في العالم الإسلامي، وإدراك لقوة الدين في المجتمعات إعلان برنارد شو George Bernard Shaw برغم كونه شخص غير متدين

(1) هوستن سميث Huston Smith - مرجع سابق- ص 19

(2) Bronislaw Malinowski-Magic, Science and Religion and other essays selected and with an introd by Robert Redfield-Boston ,M.A- beacon press-1948

(3) عبدالغني عماد – مرجع سابق- ص138-139

(4) علي سامي النشار- نشأة الدين :النظريات التطورية والمؤلهة- الاسكندرية- دار نشر الثقافة -1949 ص70-30

(ملحد) بأن الدين هو القوة المحركة الحقيقية والفاعلة الوحيدة في العالم.

عموما يمكن أن يعرف الدين عموما بأنه مجموعة موحدة من العقائد والشرائع والممارسات والأفكار المرتبطة بالخضوع والتقرب على وجه ما لشيء مقدس، والتي تنظم أفكار وسلوك وممارسات الإنسان بذاته والبيئة المحيطة به والمقدس، فنجد القرآن يصف كل معتقد دين، حقا كان أو باطلا فقال الله تعالى ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[1] ، وفي سورة آل عمران يقول تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2]، الدين اجمالا حسب الدلالات اللغوية عند العرب هو كل خضوع على وجه ما لشيء ما تقديسا وتقربا إليه يسمي دينا، لذلك نجد بأن كل معتقد غاير الإسلام سمى بانه دين[3]، ويحدد التهانوي الدين في قوله: إنه (وضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال، ويطلق على ملة كل نبي، وقد يخص بالإسلام كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام﴾[4]، ويضاف إلى الله عزوجل لصدوره عنه، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم لظهوره منه وإلى الأمة لتدينهم به وانقيادهم [5]، فالدين صفة ورموز وتوجه وعقيدة وممارسات تفاعليه نستطيع من خلالها تحديد موقع الأنا المتدين بالآخرين ضمن مجموعة من الأديان، ويحدد فريزر J.Frazer الفكر الديني "بأنها عملية استرضاء وطلب عون من قوى اعلي من الإنسان بحيث يعتقد بأنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية، وبأنها تنضوي إلى عنصرين تطبيقي عملي والأخر نظري ولا يصح الدين إلا بتوفر

(1) سورة الكافرون : 6

(2) سورة آل عمران :85

(3) عيسى الحسن - موسوعة الحضارات- الاهلية للنشر والتوزيع- الاردن- ط-1 -2007 ص 337

(4) سورةآل عمران: 90

(5) محمد علي التهانوي - كشاف اصطلاحات العلوم والفنون --جزء 1 -- ترجمة وتقديم د.رفيق العجم -مكتبة لبنان ناشرون-ط1996-1 - ص 814

هذين العنصرين"[1] .

وبالطبع يجرنا الحديث عن الدين باتجاه العلاقة بين الدين والممارسة الشخصية، حيث أن في بعض المجتمعات تظهر نسب عالية للعقيدة الدينية ونسب قليلة من الممارسة والنشاط الديني. وذلك ما حذا بـ (ستارك وغلوك Stark & Glock) بالقول بأنه برغم من وجود صله بين العقيدة والمعرفة الدينية، إلا أنهما منفصلان أحيانا؛ لان المعرفة الدينية قد لا تقود دائماً إلى العقيدة، وفي الوقت نفسه قد تقوم العقائد على معارف ضئيلة[2]، كما ميز غلوك في كتابه (Toward a Typoogy of Religious Orientation) خمسة عوامل، تسمح بتحديد التدين وهي[3] :

- الاعتقاد.
- الممارسات الشعائرية.
- المعرفة .
- الانتماء.
- التجربة.

يجب علينا أن نفرق بين الدين بمفهومه الواسع الشامل وبين وظائف الدين في المجتمع (الدين والتدين)، وبمعنى أخر بين الدين حسب النص المقدس الموحي وممارسات التدين الإنساني، ويحدد جورج سيمل Simmel وجه لمقابلة الدين والتدين، وذلك بكون الدين يمثل الدافع الحيوي ، أما التدين فهو الشكل الاجتماعي الذي يسعى إلى الاستحواذ والسيطرة على الأول[4].

(1) J.Frazer- Golden Bough: A Study in Magic and Religion -Macmillan, London, - 1971-pp57-58

(2) Ian Thompson- Religion - Longman, London- 1986-pp15-16

(3) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق - ص70-69

(4) مرجع سابق نفسه -ص63-62

في ضـوء ذلك يحـدد الشيخ الشبستري طـرق البحث في الدين مـن زاويتين أو وجهتـين : " من (اللّه للإنسان) ومن (الإنســان للّه) فالمسألة تطرح تارة بأن اللّه يريـد من الناس الالتزام بالدين، ويبين لهـم تعاليم الدين وأحكامه ومقصوده من الدين، وتارة أخرى تطرح هذه المسألة بشكل آخر وهو أن الإنسان في حركة الالتزام الدينـي (السلوك المعنوي) في حياته يمارس فعاليـة خاصة لبناء ذاته ويتوجه نحو اللّه تعـالى وهـذا التوجه وهذه الممارسـات بمضمونها وابعادها سلـوكا معنويا هو المقصود بالدين، وهـذه الرؤية الثانية للمسألة وهي ما نعبر عنه بالقراءة البشرية للدين"[1].

وبرغـم كل الانسلاخـات التي تحـاول ان تضفـى فاعليه الديـن ونشأته للعامل البشـري والوضعاني وكعارضـ تاريخي للثقافة الإنسانيـة، إلا أن الدين ظل مجال للمقدسـ المتعالي الغيبي لدى المجتمعات، وقوة وفعاليـة لا يمكن تفسيرها بالمنطق البشـري الوضعاني، فالدين ظاهرة كونية ظهرت في اغلب المجتمعات بإشكال عده إلا أنها ترتبط بالإله المقدس المتعالي الغيبي والذي يتخطى الإدراك البشري فقال اللّه تعـالى في القرآن الكريم ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُـوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِـيرُ ﴾[2]، وبالتالي أرى مـن المغالطة إخضاع الدين والإلـه المقدس للدراسات الوضعانيـة، وهذا مـا أكده وذهب إليه الباحـث الألماني رودلف أوتـو **R.Otto** نفسه عندمـا أكد عدم جـدوى المنطق العقـلاني الوضعي في دراسة الديـن القديم قدم النفسـ البشريـة، كما انـه من الصعوبة إعطـاء تعريف عام وشامـل للدين، حيث سـوف نجد أنفسنا ندور في حلقة مفرغـة، فالناس يعرفون ما يعنيه مؤلف يتحدث عن الدين/الأديان حتى لو لم يعط تعريف عن الموضوع[3].

---

(1) الشبستري.محمد مجتهد، قراءة بشرية للدين، تعريب أحمد القبانجي، الانتشار العربي-بيروت-، ط1 - 2009 ، ص 11

(2) سورة الانعام : 103

(3) جون هينليس Jone R.Hinnells **—مرجع سابق - ص 590**

ولكـن برغم ذلك نستطيع دراسة ممارسة المتديـن وتفاعله من المقدس المعاش ورمـوزه ومعانيه أي دراسة التجربة الإنسانية للتدين، ويبين الشيخ الشبستري بأنه عنـد بحث المعرفـة الدينية فعلينا ان نعرف من اين نبدأ؟ هـل نبدأ من الإنسان أم من الله؟ فإذا بدأنا من الإنسان، فإن الدين سيكون دينا بشريا وإنسانيا مهما كان العنوان له، وإن لم نبدأ من الإنسان فإن بحثنا سيكون غير إنساني أو فوق بشري[1] .

والحقيقـة اننـا هنا لسنا بصدد تعريف عام وشامل للديـن وماهيته ، بقدر إننا نحـاول أن نبرز العلاقـات التفاعليه بين الرمزي والدينـي انطلاقا من التصورات Representations والمعـاني Meanings والـدلالات Significances التـي يصبغها المتدين على المقدس، حيـث يؤكد (ميسلان Michel Meslin) بأن تعريـف الدين لا يمكن أن يكون إلا تعريفا تقريبيا، تعريفا لا يطابق موضوعه، ويعلل ذلك بأن كلمة دين تشمل على وقائع متباينة، لذلك يجب علينا الانطلاق من التجربة الإنسانية مع المقدس، وهذه التجربة لا تنال إلا بواسطة منظومات تعبير نظرية تصورية، شعائرية أو رمزية[2].

تعطينا الرموز فكرة أكثر وضوحا عن المقدس الديني للمجتمعات، لأنها محددة الشخصيـة وتبرز الهويـة الدينية والثقافيـة للمجتمعات، وبذلـك لا يمكن دراسة الرمـز بخارج عن منظومـة الفكر الذي نشأ فيه، فالمعطي الديني يكشف عن أعمق معانيه عندما يؤخذ على صعيد حقل مرجعيته الخاص به[3].

كمـا أن الديـن يمثل مجالا مـن الانشطة والاشكال والرمـوز في منتهي الأهمية بالنسبة للافراد والجماعات[4]، فنجد بأن اللون والمكان والزمان واللباس وغيرها متجانسة وحيادية بطبيعتها وبشكل عام، إلا أنه مع اصبغها ببعض الدلالات الرمزية

(1) الشبستري.محمد مجتهد، مرجع سابق- ص67

(2) جيب/ عادل العوا – مرجع سابق - ص 19

(3) ميرتشيا إلياده Mircea Eliade -البحث عن التاريخ والمعنى في الدين– مرجع سابق- ص 55

(4) عبدالباقي الهرماسي – «علم الاجتماع الديني-:المجال-المكاسب-التساؤلات»، الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث – مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت - ط2 - 2000 - ص 16

الدينيــة والثقافيــة قد تكتســب معنى ودلالات مختلفــة قد تختلف حســب الهويات الدينيــة والثقافية للمجتمعات، فاللون الأسود عند الرســام التشكيلي الذي رسمه في لوحتــه يعــبر عن معنى خاص به فيقــول: " اللون الأسود ينطــق عن... " ، بينما اللــون الأسود ينطق عند شخصــ أخر بشكل مخالف، أن كل ذلــك يتأسس أساسا من استعدادات ذهنية وخلفيات ثقافية، فالألوان ذات معنى محايد ومدلول شامل.

ومن جهة أخري للألوان قيمة رمزية خاصة في الزمان والمكان"[1]، حيث تختلف رمزية الألوان من حضارة وثقافــة لآخرى حسب مدلولها الزماني والمكاني والديني، فاللــون الأحمــر رمز للحياة والقــوة والنار والــدم ، كما أن اللــون الأخضر في مصر الفرعونية لون القيامة وعودة الحياة للإله اوزيريس، كما اعتبر اللون الأزرق رمز ولون للسماء وغالبا ما مثل السيدة مريم العذراء عليها السلام ترتدي اللون الأزرق، ولكن سوف يصبح رداؤها عند الارثوكس من اللون الأزرق مع معطف باللون الأحمر وذلك حســب الظروف، كما اعتــبر اللون الأزرق والأبيض رمزا للنقــاوة والطهر والصفاء، واللــون البنفسجي الارجواني اعتبر في الطقس المسيحــي رمز التوبة، ويذكر انه كان رداء المسيح عندما صلب حسب الرواية والعقيدة المسيحية[2]، كما أن اللون الأسـود قــد يأخذ عــدة دلالات وإسقاطات حسب الاستعدادات الذهنيــة والثقافية والدينية، فالأســود ربما رمز الشــر والحزن والكآبة والزهد ، وعند الشيعة كرمز ديني سياسي ومعاناة ، وفي مجال أخر اللون الأسود رمز الفخامة والستر والاستخفاء.

لذلــك تساعدنا دراســة الرمزية للألوان بأن ندرك المعنــي الخفي الكامن وراء رمزيتهــا فيقــول ج.دورانــد **Durand** "أن التحليل الأدبي والتحليــل النفسي لرمزية الألــوان يلتقيان من أجل توضيح بنية أصيلة شكل مــن الأصالة الجوهرية، وكذلك يجمعان الشهادات التاريخية المقدمة من جانب تقاليد دينية مختلفة"[3].

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق - ص 419

(2) للمزيد حول رمزية الألوان راجع كتاب: « فيليب سيرنج – مرجع سابق

(3) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص 269

كمـا إن اللباسـ على سبيل المثال قد يعطى أيضـا دلالات رمزية ، فثوب الراهب كمـا يقول امبرتو ايكـو **Umberto Eco** : " لــه وظيفة أولية (انه يغطــي الجسم ويقيه مــن الــبرد) ، إلا أن استعماله في المراسيم الدينية يمنحه وظائف ثانية: فهو يمكننا مــن التمييز بين راهب دومنيكي وأخر بتندكتــي"[1] ، كما أن المكان حيادي بصورة عامة[2] ، ولكن إضفاء القداسة والرمزية إليها أنما يكون بأمر واختيار إلهي لذلك المـكان أو المجــال، لذلك نرى في الأديــان تميز وبروز عدم تجانسـ المجال بالنسبة للإنسان المتدين بين مجــال مقدس وأخر دنيوي غير مقدس، وبالتالي الدخول إلى المجــال المقدس يتطلــب الولوج من نقطة فاصلة تفرق بين المجــال الدنيوي والمجال الديني المقدس كعتبة باب أو كنيسة أو مسجد أو معبد[3] ، كما يتطلب الخضوع إلى ممارسات تطهيرية للولوج إلى المجال أو المكان المقدس وممارسة الشعيرة.

فالميقــات والإحــرام في أثناء الحج للبيت العتيق بمكــة المكرمة يعتبر بوابة عبور مــن مجال دنيوي مادي إلى مجــال مقدس طاهر يتطلب الدخــول إليه ممارسات تطهيريــة، وفي قصة موســى عليه السلام نرى تماثل ذلك المشهــد للدخول للمكان المقدســ(وادي سيناء) فقال تعالى يأمر نبيــه موسي عليه السلام : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾[4] ، وفي التوراة في سفر الخروج الإصحاح الثالــث (فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ، نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى!». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ») ، لذلك نجد دوركايم **E.Durkhim** يقسم العالم إلى مجالين في الفكر الديني إلى المقدس **Sacred** والدنيوي المدنس **Profane** [5] ،

(1) امبرتو ايكو — مرجع سابق- -ص 72

(2) مرسيا إلياد - المقدس والمدنس- مرجع سابق - ص. 26

(3) نفسه- ص.26

(4) سورة طه : 12

(5) E.Durkheim –op.cit

ويحــدد بأن ما يميز الفكر الديني تقسيم العالم بــين تلك الزمرتين، ويصر روجية كايوا Roger Caillois بأن أي تصور للعالم يفترض التميز بين هذين المجالين[1]، حيث يحدد الوظيفة الجوهرية للدين باكتساب الطهارة وإزالة الرجاسة"[2]، فنجد بأن الطهــارة في فتكتسب الطهــارة في الإسلام تكتسب مرتبة عاليــة قبل الولوج للعالم المقدســ (فالطهــارة شطر الايمــان) كما قال رســول الله صلــى الله عليه وسلم، وذلك لممارسة الشعائر وملامسة الاشياء المقدسة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّه لِيُذْهِــبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُــمْ تَطْهِيراً﴾[3]، وعند الحديث عن ملامســه القرآن يحدد الله عزوجل ملامسته بالاشخاص الطاهرين ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[4].

كمــا يمكن أن يكــون للباب رمزية كفاصــل بين العام والخاصــ ورمز للاتصال والعبــور، وفي الدولة العثمانية كان الباب العالي رمز القــوة في السلطنة العثمانية، ولكــن في المجال الديني فالباب رمــز للعدالة منذ القدم، فكانت الإحكام تصدر في ميزوبوتاميــا أمــام أبواب المعابــد أو القصور، ويمكن أن يكون البــاب رمز للنجاة، ففــي أختام سومريــة من نهاية القرن الألــف الرابع وجــدت في ارو (العراق) باب مرمــز لمعبد الإلوهة، وفي مقابر مصــر الفرعونية من الإلف الثالث صورت الأبواب بشكل معين لتسمح لقرين أو روح الميت لتنزه خارج القبر "[5]، وبذلك كان للأبواب دلالات دينية في العبور من العالم الدنيوي إلى العالم المقدس ومن الحياة إلى الموت ومــن عالم الدنيــوي إلى العالم الآخر، فنجد كذلك بــأن رمزية الأبواب في الأدب والفــن المسيحــي المقدس كأبــواب تنفتح إلى مملكــة الله[6]، لذلــك فنراها تتزين

(1) روجيه كايوا Roger Caillois – مرجع سابق - ص 35

(2) نفسه - ص 40

(3) سورة الأحزاب :33

(4) سورة الواقعة: 79

(5) فيليب سيرنج – مرجع سابق - ص 415

(6) نفسه - ص 417

كرموز وأشكال ضمن الفن الديني المسيحي، وعموما كما يقول وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby كانــت الأبــواب إحدى أهم الرموز الدينيــة أو السياسية، فأماكن مقدسة مثل بابل كانت بوابات الرب[1].

يقــول روجيــه كايــوا Roger Caillois " ليســ هناك ما لا يصلــح لان يكون مقرا للمقدس، الذي يخلع عليه سحرا لا يضاهى في نظر الفرد والجماعة"[2]، إن الرمز الديني يلعب دور الجاذب الذي يمتص مجمل معاني الدين ليحولها ويغيرها، بحيث يصبــح المقدســ كما يقول الأستاذ عمــار بلحسن" ثيمات (فحــاوى) وبنى وأكوانا رمزية ثرية ودالة كونية"[3]، إن الرمز هو تصور وخلفيات ثقافية وسيكيولوجية هو الفكــرة في شكلها المجسد المادي، ففكرة صلب المسيح في العقيدة المسيحية جسدت بصــورة مباشرة فكرة الصليب كإحدى أوائل الرمــوز المسيحية لتصور وتعبر عن الصلب وخلفياته الدينية وتصوراتــه وذكرياته وعواطفه، مما دعا كروزر Croisaer بالقــول " يجعــل الرمز بشكل ما حتــى الإلهي مرئيا... فهو يجلــب إليه بقوة فائقة الإنسان الذي يعانيه، ويستولي على روحه كأنه الأمر المدبر لشأن العالم"[4].

تلعب الرمزية دورا بارزا في الحياة الدينية البشرية، وبفضل الرموز كما يقول ميريشيــا إليــاد " يصبح العالم شفافــا، وقابلا لإظهار التصاعــد"[5]، فالرموز الدينية تجعل العالم الروحي للديانة حاضرا، معاشا يتم تداوله واستهلاكه وتضفي باستمــرار الهيبــة والخوف والرجاء في نفســ المتدين، لقد تواجــد العالم الروحي

(1) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby-العمارة والأسطورة الروحانيات-ترجمة د.طه الدوري-مراجعة سامر ابو هواش-هيئة ابوظبي للثقافة والتراث(كلمة)ط1—-2011ص 180

(2) روجيه كايوا Roger Caillois – مرجع سابق -ص 157

(3) عمار بلحسن -–«الديني والدنيوي: حول الإسلام والإبداع الأدبي والفني»، الدين في المجتمع العربي-مجموعة أبحاث- مركز الدراسات العربية- بيروت- ط-2 2000 - ص 565

(4) ميشيل مسلان- مرجع سابق - ص247

(5) مرسيا إلياد -المقدس والمدنس- مرجع سابق — ص 98

للديانة بأكمله منذ القدم في طقوس وأساطير وأشكال المختلفة لتجسيد الإلهي[1]، ومع الديانات السماوية أو الإبراهيميــة، برزت الدعوات الرسولية والكتب المقدسة والتحول من تصوير الميثولوجي للعالم الروحي الإلهي المقدس والكوني إلى التصوير الإيمــاني المتعالي(التدين اليهــودي – المسيحي- الإسلامي)، وبرغم هذه الأديان لهــا في جوهرها طبيعة واحــدة، إلا أن لكل واحدة منها تصــور مركزي مختلف في طبيعة الإله يميزها عن الأخرى ، فالأديان كما يقول ميريشيا إلياد تنطلق من مركز ونواة ومن خلاله يبعــث الحياة الإيمانية في أطراف المجموعة المنتمية إلى أساطير وطقوس ومعتقدات[2].

....

(1) جان بيير فرنان/بيير فيدال ناكيه - الأسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة- ترجمة حنان قصاب حسن- الاهالي للطباعة والنشر -1999ط1 – ص 23

(2) ميرتشيا إلياده Mircea Eliade - البحث عن التاريخ والمعنى في الدين- مرجع سابق - ص 50

الفصل الثاني

الكتابة وبروز الفن الديني

إننـــا لا نستطيع الحديث عن الرمز دون التطرق إلى اختراع الكتابة التي أبرزت رمــوز ونقوش دينية، لقد استطاع الإنسان بالكتابــة أن يعبر عن ذاته ومحيطه وأن يصوغ رموزه التي تعبر له عن المقدس، ففي الكتابة دمج الإنسان في أطوار الحضارة والمدنيــة والزمن التاريخي، فبدأ الإنسان يعبر عن ذاتــه ومشاهدته وأفكاره ويعبر عــن المقدســ، فكلمة هيروغليفــي تعني الكتابــة أو النقش المقدســة ، فالكتابة كما يقول شوقي أبو خليل" وسيلة لنقل الكلام تسجل اصواتا آتية من الفم، أو فكرا آتيــة مــن الدماغ، برموز منظورة علــى الورق أو الحجر أو الخشــب او غيرها"[1]، ويعــبر فولتير Voltaire عن الكتابة بأنها رسم للصــوت، والظاهر بأن الكتابة وجدت من ازدياد وتعقد العلاقات البشرية الاجتماعية والاقتصادية والانتقال من الصيد إلى الزراعــة، والذي مهد المجــال لبروز التجارة، ويذكر ويــل- ديورانت W. Durant بــأن الكتابة بالظاهر كانت من نتائج التجــارة، وهي إحدى وسائل التجارة المسهلة لأمورها [2].

بــدأ الإنســان يعبر عــن ذاته ومحيطــه وتصوراته عن طريق الرســم الذي كان ممهدا إلى ظهور النقوش الدينية ، فرسم الإنسان في العالم القديم تعابيره ورموزه علــى الصخور والكهوف سواء بدم الحيوانات أو مــواد نباتية أو مواد ملونة طبيعية والفحــم بما يسمى (فن الكهــوف) إبان العصور الحجريــة، عندما كانت الكهوف مــأوى ومــلاذ الإنسان الأول مــن الحيوانات المفترســة وعوامل الطقســ المختلفة،

(1) شوقي أبو خليل - الحضارة العربية الإسلامية- دار الفكر - بيروت/دمشق - 1996 - ص 27
(2) دل ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الأول- المجلد الأول- ص 181 - 184

ففــي فــن العصر الحجــري كان الحيوان المتوحشــ المرسوم على جــدران المغارات رمــزا سحريا نفعيا وذلك من أجــل تهيئة بداية سعيدة للصيد[1] ، وربما كان رسما جماليا لا نفعيا كما يذهب إليه بعض الباحثين، وفي عصور ما قبل التاريخ والعصور التاريخية يري كثير من المستشرقين والمختصين بالآثار المصرية وغيرهم، بأن رسوم صيد الحيوانات المتوحشة ومنها صيد الملك أو الفرعون أنما هو تمثيل لصراع قوى الخير ضد قوى الشر[2] ، لقد تطورت رغبات الإنسان في تصوير ورموز مبسطة إلى تصويــر أكثر تعقيدا في المعنى والمضمون وبروز صراع قوى الخير والشر، والتي بلا شــك كانت الممهدات الحضارية والإنتقال مــن مرحلة الصيد والزراعة إلى مرحلة الحضــارة وبنــاء المدن، والتــي كانت عاملا مساهمــا في تبدل الصــورة والمضمون للرســوم الدينيــة، حيث مهدت لظهور إلهة الحكمة والمعرفــة في ميثولوجية بلاد ما بــين النهرين حيث علمــت الآلهة (حسب الرواية الميثولوجيــة) الرجال كيف يبنون برجهــم العــالي، وكان إنكي إله الحكمة مدبر عمال الجلــد والحدادين والحلاقين والبنائين والخزفيين وعمال الري والاطباء والموسيقيين والكتاب[3] .

بــدأت الكتابــة على شكل رموز مــن رسوم تعبر عن أفــكار، اتخذت العلامات الأولى للكتابــة مــن الطبيعة منطلق لها ، فيبين يان اسمــان **An Assmann** بأن الكتابة تطــورت عبر ألاف السنين مــن أنظمة الصور والرمــوز وتقاليدها المختلفة، وكانت الرمــوز موجودة دائما، أما الشيء الجديد فهــو القواعد المحددة،[4] حيث تطورت الكتابة في البداية بطريقة تصوير الأشياء أو ما يسمى الصور المرمزة أو العلامات التصويريــة (**Pictograms** البكتوجراميــة) ، فكانــت الشمس ترســم كشمس، كما في

....

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق - ص 82

(2) نفسه - ص 82

(3) تاريخ الأسطورة- كارين امسترونغ Karen Armstrong- ترجمة وجيه قانصو-الدار العربية للناشرين/ مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم- ط-2008-1 ص 57

(4) يان أسمان Jan Assmann -موسى المصري:حل لغز أثار الذاكرة-ترجمة حسام عباس الحيدري- منشورات الجمل-ط-1بيروت2009 – ص 249

الكتابة الصينية على سبيل المثال، ومع مرور الوقت تطور الرسم ليعبر عن الأفكار، فانتقلنـا إلى الأفكار المرمـزة أو الأفـكار التصويرية، وسميت الكتابـة الرمزية أو التصويريـة (ايديوجراميـة Ideograms)[1] التـي تمثـل المقصـود بطريقة رمزية، فرسمـت الشمس كدائرة ترمز للنهار أو الحرارة أو الضوء أو الإله ومنها الكتابات المسماريـة الاشوريـة والبابلية في الشرق الادنى القـديم، إلى أن نصل إلى الكتابة الأكـثر كمالا فظهرت الكتابة الفينوجراميـة Phonograms (الكتابة اللفظية الصوتية أو النقطيـة) وهـي الكتابة والتعبير بالحروف التي تنطـق، وأول نقش أبجدي كان نقشـ فينقيا يعود إلى ثلاثة الإلف سنة[2]، وربما أن الكتابة الهيروغليفية المصرية تطورت ودمجت بين تلك الصور من الكتابة.

لقـد ولـدت الكتابـة المسمارية قرابـة 3500 – 3300 ق.م كأول كتابة أسيوية في الشـرق الأدنى، حيث تجمع أغلب الدراسـات إلى أن السومريين كانوا من أوائل الشعـوب التـي حاولـت أن تعبر عـن افكارهـا وذاتها بالكتابـة، فابتدعـوا الكتابة التصويرية ثم تطورت تدريجيا إلى الكتابة الصوتية، فنجد بان الاشارات السومرية قـد تغيرت علـى مر القرون، فالأشـكال الأساسية – المرحلـة التصويرية ستنتظم في إشـارات لا تشبه كثيرا الاصول الأولى التي تطـورت منها، واستطاع من خلالها السومريـين أن يدونوا فيه المفاهيم وارق المشاعـر[3]، فوجدت الأشكال الهندسية في تلـك الكتابة فالمثلث مقلـوب الرأس مضاف إليه خط قصير عمودي نحو الأعلى من ناحية رأس المثلث من أقدم العلامة والرموز الدالة على المرأة، إلا انه مع مرور الوقـت تطورت تلك النماذج نحـو الكتابة الصوتيـة Phonograms، والتي جعلته غير قابل لن يعرف[4].

(1) تتكون من مقطعين يونانيين : Idea = فكرة و كلمة Gramma = اشارة

(2) فيليب سيرنج – مرجع سابق - ص -438 439

(3) الكسندر ستيبتشفيتن Aleksander stipcevi - تاريخ الكتاب- القسم الأول- ترجمة د.محمد الارناؤوط –عالم المعرفة -169 يناير -1993 ص 11

(4) فيليب سيرنج – مرجع سابق - ص 208

ففي عهـد حضارة جمدة نصر السومرية بدأ يطرأ تطـور عندما بدأ استخدام الأشكال الصورية إلى جانب بعض الاشارات للتعبير عن قيم صوتية مجردة انبثقت عنهـا، بعد ذلك المقاطع والكلمات، كالاشارة (تي Ti) في (انليل تي Enlil Ti) والتي قورنـت مـع نصوص متاخرة سومرية فتبين انها تعبير سومـري عن دعاء إلى الإله انليل ويعني (انليل احفظ حيا)[1] .

لقـد ادى التطور الاقتصادي إلى تضاعـف الأملاك الكهنوتية واتساع العلاقات الخارجيـة، والـذى سوف يكون عاملا هامـا لبروز أهمية الكتابـة، كما أن التطور الصوتـي للكتابة أبـرز نقوش رمزية دينية تتسم بالخصوصيـة والسرية والقداسة بالنسبـة للكتابة القديمـة، التي بلا شك أضحـى الكهنة وقله مـن الناس والنخبة يـدرك إسرارها ومعانيهـا، فاختراع الكتابة كانت نقله نحـو الحضارة والكثافة في رمزية النقوش الدينية، مما جعل الحياة بمجملها لا تعبر سواء عن الجانب الديني المقدس للمجتمعات البدائية، بالاضافـة إلى أن الكتابة ساهمت في إبراز الجوانب الحضاريـة للمجتمعـات والغنـى التاريخـي والادبـي الميتالوجي الأسطـوري لتلك الشعوب، علاوة على الجوانب العلمية الطبية والحسابية والفلك .

يتواجـد الرمز والصـورة في شتي حياتنا في الوعي واللاوعـي في الرموز المرئية المجسـدة أو في صورتها اللامرئية في الحلم والأسطـورة ، إننا غارقون في بحر من الرمـوز، فالكتابة تطورت تدريجيا في العصور القديمة من الصورة إلى الحروف، وبالتـالي وحسب الـرأي الشائـع أدي هذا التحـول إلى انهيار الذاكـرة التي كانت تقـوى بالكتابة الصوريـة، بينما الكتابـة بالحروف تحطم تلك الذاكـرة،[2] ، لقد أبـرزت الدراسات بـأن الاستقبال بالصور لـدى الإنسان أكثر فاعليـه من التعبير اللغـوي اللفظي، فالتعبير بالكتابـة بالصور كما يقول مندلسـون M. Mendelssohn "

(1) محمود أمهز-في تاريخ الشرق الأدنى القديم-دار النهضة العربية-بيروت-ط-2011-2 ص97-96

(2) يان أسمان Jan Assmann – مرجع سابق - ص 263

إذا حـاول الإنسـان جعل شـيء من صورتـه أو ملامحه رمزا للمفاهيـم، فلن يجد أفضل من الحيوانات التي يمكـن بواسطتها تصوير الصفات، فلكل حيوان الصفة الخاصـة والميـزة والبارزة من النظـرة الأولى"[1] ، فالكلب رمـز للوفاء والأسد رمـز للشجاعة والحمامة رمز للسلام والجمل رمز للصبر، حتى أصبح للشاعر أن يتناول استعاراته المجازية من الحيوانات.

فاللغة تهدف بشكل أساسي للتواصل بين الشعوب، ولكن الكتابة تستعمل للذاكرة فكانـت الكتابة بداية عصـر التاريخ الذي يحنو باتجاه الذاكرة والتوثيق، ففي نص فرعوني يقول: " لقد مات الإنسان وتحولت جثته إلى مسحوق وأصبح كل معاصريه تحـت الـتراب إلا أن الكتـاب هو الذي ينقل ذكـره من فم إلى فـم، إن الكتابة أنفع مـن البيت المبني، ومن الصومعة في الغرب، ومن القلعة الحصينة ومن النصب في المعبـد"[2] ، فإن كانت إنسانية الإنسان قـد بدأت بالكلام ومدنيته بدأت بالزراعة كما يقول ول – ديورانت [3] W. Durant ، فإن تحضر الإنسان قد بدأ بالكتابـة، وإن كان هنالـك اختلاف حول هل تطور الكتابة أصل للتقـدم الثقافي للبشرية أم إنه مجرد انعكاس وأثر رجعي للتقدم.

يعتـبر الفينقيين من اوائل الشعوب التي استخدمت الاحرف الابجدية الصوتية ونشروهـا علـى شواطـئ البحـر الابيض المتوسـط، وكانـت تضـم 22 تعبيرا عن الاصـوات[4]، إن التطور من الكتابة الصورية إلى الأبجدية ساهم بشكل رئيسي في إبـراز المعني على حساب الموضوع، فالرموز التي كانت بصورة تصويرية في النقش الدينـي، أصبحت في مع التطور البشري تكتب بالأحـرف الأبجدية أي الانتقال من

(1) Moses Mendelssohn- Jerusalem: Or on Religious Power and Judaism - translated by Allan Arkush - Brandeis university press-published by university press of new England Hanover and London-1983-p.108

(2) **الكسندر ستيبتشفيتن** Aleksander stipcevi – **مرجع سابق - ص 33**

(3) **دل ديورانت- الجزء الأول- مرجع سابق - ص 22**

(4) **الكسندر ستيبتشفيتن** Aleksander stipcevi – **مرجع سابق - ص 28**

الصـــورة إلى المضمــون، فنجــد مندلســون M. Mendelssohn يؤكد بأن قــوة وسيطرة الكتابــة الصورية في اللاوعي البشــري تؤدي إلى عبادة الأوثــان والخرافات بينما تجعــل الكتابة الأبجدية بالأحــرف الإنسان أكثر تأمليــا[1]، لذلك عارضت الأديان السماوية للتصوير الذي يقود إلى الابتعاد عن المعنى والمضمون على حساب الشكل الظاهر.

فنجــد بأن الرمــوز الدينية في النقوشـ الهيروغليفية تخضع لهــذا الاتجاه نحو تصوير النقشي الذي يعتمد على تصوير الأشياء والرموز الطبيعة ومفاهيم اللغة، أكــثر من اعتمادها علــى أصوات اللغة والنطــق والكتابة بالحــروف، فكان التعبير بالكتابــة بالصور لتشكل معاني معينة، مما أضفي المزيد من السرية والخصوصية القداسيــة حــول المضمــون الكامن وراء تلــك الرمــوز النقشية الدينيــة، فظهرت أراء عــدة حــول الوظيفة السريــة للهيروغليفيات والتي توضح بأنــه يمكن أن تكون الهيروغليفيــة ذات معنيين خارجي مرئي للعيان وداخلي مبطن لا يمكن فهمها إلا من قبــل الكهنة لحفظ الأســرار. كمــــا يقــول ديــــودور Diodore ووليــم وابورتون Warburton وهورابولون Horapollon وغيرهم من علماء المصريات[2].

يؤكــد الباحثــين بضــرورة توفــر كميــة معرفية عــن الشــيء المرســوم لتفسيره واستعمالــه التصويري وخاصة عند رســم الحيوانات في الكتابة الهيروغليفية، كما يشــير فيكــو Giambattista Vico بــأن مراحل تطــور الكتابة والحضــارة خضع لتغيير أشــكال السلطة في مصر الفرعونيــة وبحسب هذه الفكرة مرت مصر بطور الحكم الآلهــة الغيبي للكون وسيــادة الهيروغليفية فيه ثم في مرحلة حكــم أنصاف الآلهة وسيادة الرموز المقدسة، وأخيرا إلى طور حكم الملوك من البشر والتي استعمل فيها الكتابة الرسائلية او الحرفية.

---

(1) Moses Mendelssohn- op.cit -p108

(2) يان أسمان Jan Assmann – مرجع سابق – ص 245

اطلـق على الكتابة الهيروغليفيــة Hieroglyphs الكتابة أو النقش المقدس والمشتقة من الكتابة الاغريقية، فهي كلمة مركبة من شقين هيرو Hiero بمعني مقدس وغليف glyphe بمعنــي النقشـ أو الحفر، وسماهــا المصريين كتابتهم (الخـط الرباني أو الكلمــات الالهية)، ونظرا للتطور الحضاري لمصر الفرعونية، والدور البارز للكتابة وأهميتهــا بالنسبة للمصريين القدماء، أضفوا عليهــا القداسة بكونها تحوي رموز الأسرار الدينية التي يطلع عليها الكهنة والخواص، وسميت تلك الكتابة (هيراتيقية Hieratique) أي كهنوتيــة لاقتصــار استعمالهــا في ذلــك الوقــت علــى الكهنــة [1]، بالاضافة إلى الهيروغليفية العامة، كما نسبوا اختراع الكتابة الإله الفرعوني تحوت رب الكتابــة وراعي الآلهة، فوجــد كتاب الموتى الذي كان يكتــب على أوراق البردي وجدران المقابر لتأمين الراحة بعد الموت والتي كان يشرف على كتابتها الكهنة، لقد أدرك الكهنــة والحكماء المصريين سر أن تبقي الكتابة ذات رمزية طبيعية ولكنهم أضافوا إليها أبعاد ذات معاني سرية تعيد صياغة المفاهيم والاشياء بطريقة رمزية بطريقة (شيفرة الصور) مما ساهم في استمراريتها حتى أواخر عهد الامبراطوية الفرعونية.

لقد شكلــت الرموز الطبيعيــة للمصريين المعني الحقيقي للكــون ومصدر رموز الأســرار الدينيــة والحكمة الالهيــة، فكانت ابجديــة الاشياء سر الكتابــة النقشية الرمزيــة المقدسة المخفية عــن عامة الشعب واعدائها، مما جعــل تناقلها وتداولها يتــم ضمن حلقة مــن حكماء وكهنة مصــر والنخبة، فنشــأت هيروغليفية متداولة بــين عامة الشعب لاغراضــ التواصل وحفظ الهوية والــتراث ولاسباب اقتصادية، بالاضافــة إلى تداول لغات أخرى بجوارها، وهيروغليفية الأسرار المرمزة ويختص بهــا الكهنة، مما ساعد على عدم القدرة عامة الناس للوصول إليها، وتفرد الكهنة في السلطة والأسرار الدينية ودين المجتمع.

---

(1) محمود أمهز- مرجع سابق - ص 198

فيوضـح بلوتارخ Plutarch بأن المصريين كانـوا يخفون فلسفتهم خلف الأساطير التي لا تلمح إلى الحقيقة إلا بواسطة انعكاسات غامضة أو ضوء خافت[1]. ويوافق وابورتـون Warburton المعنـي السـري للهيروغليفيـات إلا أنه يرفض الرؤيا العامة والتعميم في اغراضها ووظائف الهيروغليفية، ويؤكد بعد عدة دراسات حول انظمة الكتابـة المختلفـة الصينية والمكسيكية وشعـوب الانكا وتوصـل إلى جميع الكتابات بأنماطها المختلفة كانت قد تطورت لاغراض نقل التراث والاتصال[2].

ويقسـم وابورتـون Warburton لكتابـات المصريـة الهيروغليفيـة انطلاقـا مـن بورفيريوسـ وكليمنسـ الاسكندري، حيث يفرق بين ثلاثة كتابـات، ولكن وابورتون Warburton يقسمها إلى نظام رباعي[3] :

نوع الكتابة	الوظيفة
الرسائلية	كتابة حروفية لغرض المراسلة والاتصال
المقدسة	كتابة نقشية لغرض الخزن والنقل
الهيروغليفية	كتابة صورية لغرض الاتصال والنقل
الهيروغليفية المرمزة	كتابة سرية لغرض النقل السري

لقد ادت الثورة الزراعية والتبادل الاقتصادي والسياسي إلى اختراع الكتابة، ففي مصـر الفرعونية كانت الحاجة إلى الكتابة ضرورة اقتصادية ملحه، وذلك تحسب للسنوات العجـاف والقحط ولتسير المخازن، مما فرض الكتابة والتي تولدت منها

(1) يان أسمان Jan Assmann – مرجع سابق - ص 247
(2) نفسه - ص 249-248
(3) نفسه - ص 253

الهيروغليفيـة[1]، فقصة يوسف عليه السلام في القرآن والتوراة والبقرات السمان والعجاف، انما هي تصويـر وتلخيص لمدي معاناة المصريين من الجفاف والقحط المتمادي عبر السنين[2]. كما أن الصراعات التي خاضتها الامبراطورية الفرعونية ضـد اعدائها ساهم في اغنى الكتابة المصريـة من تصوير المعركة والغنائم. فنرى في الحائـط الغربـي من المعبد الجنائزي لـ(ساحورع) النقوش التـي تصور إلهة الكتابة (سشـات)[3] وهـي تسجل أعداد الغنم والماعز والماشيـة التي غنمها الملك مـن غارة علـى القبائل الليبية في الصحراء الغربيـة، بينما الحائط الشمالي يبرز احداث المعركة حيث يظهر الملك ممسكا بأحد زعماء البدو[4].

الرمـوز النقشيـة الدينية في الشرق الأدنـى القديم كانت تميل لإبـراز الصورة والأشيـاء وتحمـل معاني كامنـة، مما ساعـد في حيويتها وتنوعهـا واشعال المخيلة الدينيـة وبـروز العديد من الرمـوز الدينية ذات الـدلالات المختلفة، كمـا بالكتابة

(1) جان كلود بارو – غيوم بيغو - التاريخ الكامل للعالم - ترجمة لحسن عيساني- دار الفارابي -بيروت- بالتعاون مع مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم- دبي ط1 – 2008 – ص 26

(2) هامش: قال تعالى في سورة يوسف ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾يوسف 43 ، وفي التوراة في سفر التكوين الإصحاح الحادي والاربعين«وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ سَنَتَيْنِ مِنَ الزَّمَانِ أَنَّ فِرْعَوْنَ رَأَى حُلْمًا: وَإِذَا هُوَ وَاقِفٌ عِنْدَ النَّهْرِ، وَهُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ طَالِعَةٍ مِنَ النَّهْرِ حَسَنَةِ الْمَنْظَرِ وَسَمِينَةِ اللَّحْمِ، فَارْتَعَتْ فِي رَوْضَةٍ. ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ بَقَرَاتٍ أُخْرَى طَالِعَةٍ وَرَاءَهَا مِنَ النَّهْرِ قَبِيحَةِ الْمَنْظَرِ وَرَقِيقَةِ اللَّحْمِ، فَوَقَفَتْ بِجَانِبِ الْبَقَرَاتِ الأُولَى عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، فَأَكَلَتِ الْبَقَرَاتُ الْقَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ وَالرَّقِيقَةُ اللَّحْمِ الْبَقَرَاتِ السَّبْعَ الْحَسَنَةَ الْمَنْظَرِ وَالسَّمِينَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ. ثُمَّ نَامَ فَحَلُمَ ثَانِيَةً: وَهُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ طَالِعَةٍ فِي سَاق وَاحِدٍ سَمِينَةٍ وَحَسَنَةٍ. ثُمَّ هُوَذَا سَبْعُ سَنَابِلَ رَقِيقَةٍ وَمَلْفُوحَةٍ بِالرِّيحِ الشَّرْقِيَّةِ نَابِتَةٍ وَرَاءَهَا. فَابْتَلَعَتِ السَّنَابِلُ الرَّقِيقَةُ السَّنَابِلَ السَّبْعَ السَّمِينَةَ الْمُمْتَلِئَةَ. وَاسْتَيْقَظَ فِرْعَوْنُ، وَإِذَا هُوَ حُلْمٌ. وَكَانَ فِي الصَّبَاحِ أَنَّ نَفْسَهُ انْزَعَجَتْ، فَأَرْسَلَ وَدَعَا جَمِيعَ سَحَرَةِ مِصْرَ وَجَمِيعَ حُكَمَائِهَا. وَقَصَّ عَلَيْهِمْ فِرْعَوْنُ حُلْمَهُ، فَلَمْ يَكُنْ مَنْ يُعَبِّرُهُ لِفِرْعَوْنَ.

(3) سشات : إلهة الكتابة والمعرفة ، وصاحبة للإله «تحوت» لعبت دوراً هاماً في طقوس تأسيس المعابد. صورت على هيئة إمرآة يعلو رأسها رمزها المكون من سبع وحدات على شكل نجمة فوقها قرنين مقلوبين ، ومن ألقابها "سفخت عبو" أي ذات القرون السبعة.

(4) أحمد أمين سليم - في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مصر .سورية القديمة- دار النهضة العربية- بيروت 1989 - ص 69

وجـدت الكتابـات المقدسة فاليهود حفظـوا كتابهم واسفارهـم المقدسة في معابد علـى شـكل لفافات ثم كراسات ، ففـي قصة موسى عليه السـلام يقول الله تعالى ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾(5)، فالكتابة ساهمت في عملية تدوين الكتابات المقدسة ورموزها عبر التاريخ، وساهمت في بروز النقوش الدينية ذات الرمزية المعينة، والتي رسخت الذاكرة الجماعية وساعدت في اوقات في اضفاء روح التامل، فنري توماس الاكويني يؤكد وهو يصوغ قواعد التأويل الخاصة بالكتابة المقدسة ، أن علامات هذه الكتابة لا يمكن قراءتها قراءة مجازية فهي وحيدة المعني(6).

لقـد كان الرسـم والكتابة ممهدات لظهور وتتنوع الفـن الديني المرئي من نقش ومنحوتـات وتمائم ومعابد وغيرها، بالاضافة للدور البـارز الذى احدثه استخدام الإنسـان لـلادوات والنار في تطـور الفن الدينـي وتغذية الخيـال الابداعي الفني، فكان فـن العمارة احيانا، والنحـت غالبا، والموزاييك دائمـا والفنون الاخرى على وجـه التقريـب جميعها غارقة بالرموز(7)، فبرزت أشـكال فنية دينية مختلفة ذات تصميمات مختلفة تلامس العاطفة الدينية لاتباعها، وتعلن الجانب الديني الكامن والظاهـر للعقيدة الدينية، فالمعابد انطلقت من الأماكن المرتفعة والجبال كمراكز للعبادة، ولكـن التحول الحضاري والديني التدريجي سـوف نرى بروز المعابد ذات الارتفاعـات التي تماهـي الأماكن المرتفعـة، والتي اعتبرت منـذ العصور القديمة كمسكن للآلهة. ويرى بعض علماء العمران بأن أصل المعبد تعود بدايته وانطلاقاته مـن القـبر ثم أخذ المعبـد في الاتساع علـى حساب القـبر الذي أصبـح بداخلهن، فالهيـكل كما يبرز الأستاذ يوسف شلحت ليـس إلا مستوع للأشياء المقدسة ورفات

....

(5) سورةالأعراف : 154

(6) امبرتو ايكو — مرجع سابق - ص 208

(7) فيليب سيرنج- مرجع سابق- -ص38

القديسين ، أي في الاصل بعبارة أخرى قبر في وسط معبد.[1]

كثير ما صورت الأشكال الدينية بطرق ودلالات مختلفة حسب المعتقد الديني، فاختلفت السمات المميزة الرئيسية بينهم، بالاضافة إلى اختلاف النواحي الجمالية من دين لاخر وطائفة لاخرى من خلال التصوير الجمالي للرموز الدينية، فتظهر احيانا بعض الرموز الدينية بصورة مرعبة في بعض الأديان وفي احيانا أخرى بصورة غاية في الابداع والجمالية، ويرجع الاختلاف إلى التطور التاريخي الحضاري لتلك المجتمعات ، والتأثيرات الدينية على الفن الديني، بالاضافة إلى مدى رغبة الفنان في محاكاة الواقع الديني ومدى تركيزه بشكل اساسي على (الشكل) أو على (المضمون) ، كما كان لتاثيرات المجال الجغرافي البيئي عامل رئيسياً في في تشكل أشكال الفن الديني، حيث يصرح ميريشيا إلياد **Mircea Eliade** : "بإن كل الرموز والطقوس التي تتعلق بالمعابد والمدن والمنازل تشتق في آخر المطاف من التجربة البيئية للحيز المقدس"[2].

فالأثار الباقية والمتعلقة بأديان الشرق الادنى القديم تقدم لنا صورة ومعلومات قيمة حول الأشكال الرمزية للفن الديني، وتوضح الخصائص الرمزية للمقدس ومعتنقيها، حيث ساهمت الأساطير في تشكيل الفن الديني، حيث كانت الرغبة في تفريغ الأسطورة من مكونها السحري اللغوي في قالب مادي مجسد، ساهم في تمازج والابداع الفني الديني في تصوير الآلهة وانصاف الآلهة وبأشكال بشرية أو حيوانية أو أشكال طبيعية أو غريبة، فالعلاقة بين الأسطورة والدين علاقة قديمة برزت مجسدة في صفحات الحياة، الا اننا لا يمكننا إبراز وتوضيح الأسطورة بشكل واسع ومعمق في بضع ورقات، حيث كانت هنالك دراسات قيمة وتفصيلية متخصصة حول الأساطير (الميتالوجيا) ضمن سياقات الأديان المختلفة، حاولت

(1) يوسف شلحت - مرجع سابق - ص 60-59

(2) مرسيا إلياد - المقدس والمدنس- مرجع سابق — ص50

أن تمسك ببعض معــالم وبحور الأسطورة أو الميتالوجيا وعالمها الغامض المتشابك، من خلال التفسيرات النفسية السكيولوجية والدينية والبنوية، ومنها كتابات كراب krappe الذي يصف الأسطورة بالحكاية التفسيرية التعليلة، التي تضطلع بها الآلهة بــدور أو عــدة أدوار رئيسية" كذلــك ودراسات ميرشيا إليــاد Mircea Eliada والذي اعتبر الأسطورة (تاريخ حقيقــي مقدس)، وجميس فريزر James Frazer وكارل يونغ Carl Jung كلــود ليفي ستراوس Claude Lévi -Strauss وفراس السواح وغيرهم الكثير. كما يوضح الأستاذ حنا عبود بأن الميثالوجيات برغم خصوصيتها تتفق بأنها موقف الإنسان من العالم الفوقي والعالم السفلي والعالم الأرضي[1].

فكلمــة ميثوســ Mythos في أقــدم الوثائق باللغة الاغريقية تعنــي الحقيقة المعبر عنهــا بأقــوال[2]، واستخدم افلاطــون كلمة أسطورة للاشــارة إلى قصص الآلهة في مقابــل الاحداث التاريخية، فالأساطير Mythos تعتبر حكايات مقدسة لشعب أو قبيلــة بدائية وتراثا متوارثــا، وتعبر عن الواقع الثقافي لمعتقــدات الشعوب البدائية الدينيــة[3]، وجاء ذكر كلمــة الأسطورة في عدة مواقع في القــرآن الكريم (أساطير الأوّلــين) وهي بمعنــي ما سطــره أو كتبــه الأولىن، وفي لسان العــرب لابن منظور والقاموســ المحيط هي (أَحاديــثُ لا نظام لها)، ويعرف الأستــاذ عبدالغني عماد الأسطــورة هي مجموعة من الرموز والمعاني والانفعالات حول الكون والحياة بشكل عــام، والتــي صاغتها الذاكرة الجماعيــة التي تقوم كمــا يقول (موريس هالبفاك) بتبسيــط الماضي واختصاره وحذفــه وتحريفة لتصنع الأسطــورة [4]، أما الأستاذ فراســ السواح فيصفهــا "بالحكاية المقدســة مؤيده بسلطان ذاتــي"[5]، ويعرف الأستاذ خزعل الماجدي الأسطورة "بحكاية تقليدية ثابتة ومقدسة ومربوطة بنظام

(1) حنا عبود-الميثولوجيا العالمية-ا سلسلة دراسات (4)- اتحاد الكتاب العرب-دمشق-2009- ص 83
(2) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص 273
(3) عيسى الحسن – مرجع سابق ص49
(4) عبدالغني عماد – مرجع سابق- ص175
(5) فراس السواح - دين الإنسان- منشورات دار علاء الدين- دمشق- ط-2002-4 ص 58

ديني معين، ومتناقلة بين الأجيال ولا تشير إلى زمن محدد، بل إلى حقيقة أزلية من خـلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كـبرى، محورها الآلهة، لا مؤلف لها بل هي نتاج خيال جمعي"[1].

علينـا عند دراستنا لبنيـات الأسطورة بأن نتجاوز فكـرة أن الأسطورة حكايات خرافيـة لاعقلانية أساسها أقوام بدائيين منذ القدم وطواها النسيان ، لنتحول في دراستهـا كتصورات مقدسة لتلك الشعوب حيـث كانت ذات يوم متداولة حتى عند الأطفـال على حد قول كاليفالا Kalevala ، كما نوضح بأن حاجيات وبنيات الأساطير تختلف باختلاف اغراضها، فقد تكون كوسيلة مفسرة لطقوس وممارسات موجوده بالفعـل أو تكون أسطورة مستوردة ممهدة لانشاء أسطورة أخرى ليس لها أسطورة مؤسســه مفسرة، كمـا تلعب الأساطير بالمعني التقليـدي للقصص دورا حاسما في تكوين الهويات العنصرية (أصل الشعوب)[2].

فنجـد بأن لـكل ميثولوجيا بداية تختلف من مكان لاخر بحيـث تكتسى بطابعها الخاص المقدس، فبداية الميثالوجيا الرومانية ليست كبداية الميثولوجيا اليونانية[3]، وبرغـم اختـلاف الاتجاهات في تفسـير الأسطورة، الا اننا يمكننـا أن نحدد معني مبسـط للأساطير كمجموعـة من التصورات المقدسة لـدي الشعوب القديمة حول الخلـق والآلهة والحيـاة والطبيعة وما وراء الطبيعة هدفهـا تعليلي تفسيري، تحدد من خلالها موقع الفرد في الوجود وعلاقته بالآلهة والآنا الاخر، والتي كانت تكتسي بمعـاني دينية مقدسـة وتعبر عـن الحالة والنظـم الدينية والاجتماعيـة للمجتمع وتطورهـا، فالأسطورة هي التجربة البشرية حيث اعتقـد الإنسان بوجود ترابط لا فصـام فيه بين الآلهة والبشـر والحيوانات والطبيعة، وانهـا جميعا خاضعة لنفس

(1) خزعل الماجدي - متون سومر- الاهلية- الاردن- ط-1998-1 ص60

انظر كذلك : الماجدي ،خزعل ، بخور الآلهة — الاهلية للنشر والتوزيع-الاردن- ط 1 - 1988 - ص58

(2) يان أسمان Jan Assmann — مرجع سابق — ص 38

(3) حنا عبود- مرجع سابق- ص 83-82

القوانين، ومكونة من مادة إليهة واحدة.[1]

إن الارتبـاط الوثيـق بـين الأساطير القديمـة أو البدائية والرمـوز التي تنتجها اللاوعي ذات أهمية علمية كبيرة بالنسبة للباحث، فهي تمكننا من تحديد وتفسير الرموز حسب السياق الذي يمنحه المنظور التاريخي، فضلا عن المعنى النفسي[2]، فالرمـوز الاسطوريـة في العصـور القديمة والمنغرسـة في جدران المعابـد والقبور والقصـور والكتابـات الدينية والتعاويذ، والتـي كانت تتلي في القبـور والمعابد كلها تعبر عن أشـكال الموت والبعث والآمال والذكريات والاحـلام الضائعة[3] والعذاب والقصاص الإلهي والبركة، فالكتابة في مراحلها الأولى كانت شيئا غامضا مقدسا.

ففي مصر تطورت أشكال الفن اساسا من أجل الاغراض الدينية، حيث ظهرت ابتـكارات معمارية دينيـة كعمارة المعابد والمقابر، كما تطـور النحت البارز ورسوم الجـدران كرموز دينية، وعلى الرغـم من أشكال الفنون كانت تنفذ بحرفية واتقان وجماليـة شديدة، الا أن وظيفتها الرئيسية كانـت تنحصر في تقديم نماذج رمزية وتماثيـل للاشياء الحية وغير الحية التي يمكـن أن تنشط بطريقة سحرية[4]، لقد استخدمـت أشـكال الطبيعة لتعبر عـن المقدس الديني التي تحمـل دلالات ومعاني واغراضـ مختلفة كل حسب طبيعتها، فكانـت الطبيعة في مصر القديمة الانعكاس الرمزي لتمثيل الديني.

أما في بلاد الرافدين فالفن الديني فتأثر بالتطور التاريخي والبيئي من التصوير المختصر إلى الأكثر تعقيدا واكتمال وتتميز بالتداخل والاندماجية بين الآلهة، وهي

(1) كارين أمسترونغ- مرجع سابق - ص 11

(2) Carl G.Jung op.cit - P109

(3) هامش: أسطورة جلجامش(ملحمة جلجامش اللوح السابع 42-34) عندما يقص عليه (أنكيدو) خيبة امله وبأن العالم السفلي فيه حياة كئيبة موحشه.
جعفري بارندر – مرجع سابق- ص 20

(4) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق- ص72

صيغــة مؤلوفة ومتكررة في الحضارات القديمة، تبدأ بتداخل ثلاثي إلهي يدمج بها صفــات كونيه والمتمثله في (آن – وإنليل – وإنكي)[1]، وبالطبع احتاج الأمر لقرون مــن الزمان لتحقيق تغييرات في التراتبية الدينيــة، نتيجة لاختلاط وتمازج شعوب بــلاد الرافدين كانت المحــاولات لترسيخ الوحدة القوميــة لشعوبها واظهار الطابع المقدس لذلك الشعب وحضارته عن طريق الانتماء إلى إله أعلى (إله وطني) سواء كان (اشــور Asur الإله الاشوري الأعلي أو مــردوخ Marduk الا بجانب الآلهة المحليــة، حيث تعاقب على حكمه شعوب ذات لغات وافكار ومعتقدات دينية جديدة، فكانت حضارة مستمرة أخذت من التقاليد الأولى[2].

إن الفــن الديني في بلاد الرافدين قد تطــور تدريجيا إلا أنه حافظ على صفاته المميــزه، كفن طينــي بالقائم الأول، حيث أكثر الفن الرافــدي من استخدام الطين علــى الرغــم من توفر وسائــل ووسائط اخري، كمــا أن تصويرتهــا تتسم بنوع من العنــف الدينــي وعــدم الايمــــان بالروحانيــات[3]، وبالطــبــع كان التأكيــد على فنــاء الإنسان بعــد الموت، وإنمــا الخلود يكون مــن نصيب الآلهة، عامــل هــاماً في خصوصيــة الفن الرافــدي الديني، بعكس الثقافة الفرعونيــة حيث احتلت النظرة الاسكاتولوجيــة Eschatological الاخروية حول فكــرة الخلود والحياة بعد الموت نقطة مركزية ومكانة عظيمة، وتتسم تصويرتها بالجمالية وطغيان الروحانية[4]، فيؤكد الأستــاذ نائل حنون أهمية عقائد الحياة والموت التــي شكلت الاساس في الحضارة

(1) ميرشيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ج-1 ترجمة عبد الهادي عباس- دار دمشق-ط 2 - 2006 -ص 81

(2) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق - ص57

(3) حنا عبود- مرجع سابق- ص 83

صورت نقوش الملوك في بلاد الرافدين بوجه بشري، وجسم اسد أو حيوان مفترس على راسه لبدة مخيفة، واظافر بارزه وله اجنحة كبيرة جدا كاجنحة الطيورالكواسر.وغيره من الملامح التي لا تدعو للطمأنية والراحة وتتسم بالقسوة والعنف في تصوير المقدس.

(4) نفسه- ص 83

العراقيــة القديمة[1]، كما اعتبر نمــاذج المعبد والمدينة سماويــة **Trana Cendantand** لأنهــا سبق لها الوجود في السماء وذات تصميم وقــدرة سماوية من طرف الآلهة ، ويعتبر ميريشيا إلياد هذا المفهوم عاما في الشرق القديم[2].

أمــا في الفــن اليهــودي الديني فاثــرت الثقافــة والتكوين اليهــودي الخالي من التأثيرات الفنية في التصوير بالنحت والتماثيل بالاضافة إلى رفض الدين للتصوير وتمثيل المقدس بصورة مادية ففي العهد القديم (التوراة) في سفر التثنية الإصحاح الرابــع عندمــا سيدنا موسي عليه الســلام يخاطب قومه (احْتَرِزُوا مِــنْ أَنْ تَنْسَوْا عَهْــدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ، وَتَصْنَعُــوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، صُورَةَ كُلِّ مَا نَهَاكَ عَنْهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ، إِلهٌ غَيُورٌ.) ، ولكن مع مرور الوقــت تأثــرت بعض الاتجاهات اليهوديــة بتصوير وتأثيرات أديــان الشرق الأدنى القــديم والثقافة الهلينية الوثنيــة والمسيحية، حيث اخذت مع الوقت شكلا ثابتا في قبــول استخدام التمثيل عن طريق الرسم أو التصوير الزيتي أو النحت **Iconography** في الأغراض الدينية[3].

لذلــك سوف نرى في قصة موسى عليه السلام اتخذ اليهود بقيادة السامري[4] في ظــل ازمــة الشتات و التذكر العجل الذهبي إلهه لهــم، استعارتهم لنموذج الفن التصويــري الوثني للإله، ففــي القرآن الكريم ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْــلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُــوا هَــذَا إِلَهُكُــمْ وَإِلَهُ مُوسَــى فَنَسِــيَ ﴾[5]، وفي التوراة من الأصحَــاحُ الْحَادِي وَالثَّلاَثُــونَ من سفــر الخــروج (وَكَانَ عِنْدَمَا اقْــتَرَبَ إِلَى الْمَحَلَّةِ أَنَّــهُ أَبْصَرَ الْعِجْلَ

---

(1) نائل حنون-عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة-المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت-ط 1 - 2002 - ص 9

(2) ميرشيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ج-1 مرجع سابق - ص 85

(3) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق- ص72

(4) في الديانة اليهودية والمسيحية ارجع صنع العجل الذهبي الي سيدنا هارون عليه السلام ،ولكن القرآن الكريم يفند ذلك الادعاء ويبرر موقف سيدنا هارون من تلك الحادثة.

(5) سورة طه: 88

وَالرَّقْصَ، فَحَمِيَ غَضَبُ مُوسَى، وَطَرَحَ اللَّوْحَينِ منْ يديه وَكَسَّرَهمَا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ. ثُمَّ أَخَذَ الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعُوا وَأَحْرَقَه بِالنَّارِ، وَطَحَنَه حَتَّى صَارَ نَاعِمًا، وَذَرَّاهُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ،وَسَقَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) ، ولادراك الأسباب الكامنة التي ادت إلى التحول التصويري للإله وعبادة العجل الذهبي، علينا العودة إلى مرحلة ما قبل الشتات وتاريخ الذاكرة، حيث كان اليهود يقطنون في مصر الفرعونية ، وكان من إلهتهم المقدسة التي يعبدونها (ابيس Apis) رمز خصوبة الأرض وهو على هيئة (العجل) واشتهرت عبادته في منف واعتبر روح الإله بتاح، فكان يتوج بوضع قرص الشمس بين قرنية[6] ، كما أن الذهب من الرموز الشمسية لذلك كان استخدام الذهب في صنعه محاكاة لاشعة الشمس الساطعة.

ويذكر الأستاذ خزعل الماجدي بأن الكنعانيين كانوا يكتبون خطايا الشخص بلوح طيني ويقومون بحرقه وقطعة بسيف وذره او دفنه، وبأن اليهود كانوا قد ورثوا عادة حرق الاثام منهم عن طريق صيد تيسا من الصحراء ويذبحوه ويذروه[7] ، بينما اعتقد بأن تلك التقاليد اليهودية إنما تصل إلى عهد سيدنا موسى عليه السلام وعبادة العجل الذهبي واتباع طقوسه، وبالإضافة إلى الطبيعة الرعوية للسكان الرحل التي تكون أقل عرضه للإبداع الفني ، بينما طقوس التضحية اليهودية فارجح رأي ميريشيا إلياد بامتداد تلك الطقوس للتضحية الإبراهيمية والمستعارة من الكنعانيين بعد الاستقرار النهائي للقبائل.[8] .

أما المعتقد الكنعاني في حرق الاثام وقطعها بالسيف ، فارجح بانها امتداد وتأثير متأخر للفكر الاسطوري الاوغاريتي وصراع ايل وبعل وسحق (ايل)

---

(6) عيسى الحسن – مرجع سابق - ص 14

(7) خزعل الماجدي- المعتقدات الكنعانية- دار الشروق- عمان- ط 1 - 2001 - ص277

(8) ميرشيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ج-1 مرجع سابق - ص 216 (ملاحظة: في التوراة يذكر بان تضحية إبراهيم كانت بابنه اسحق بخروف ،بينما الإسلام والقرآن الكريم يفند ذلك ويعلن بان الذبيح هو إسماعيل ابن إبراهيم والذي افتدي بكبش عظيم قال تعالى﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الصافات : 107

بضربـة دبوسـين سحرين من صنع آلــه الحـداد الإلهي كوشــار– واز– هيـنز Koshar - Was –Hains ثـم اجهز عليه بعل ثم طلبت الربة ازتات Athztrt من بعل تقطيع ايـل ونـثر جيفته، ومن بعد صراع الإله (موت) إله الموت والظلام في العالم السفلي الطيني مع الربه عناة Anat أميرة الحب والحرب والخصب وبنت ايل، حيث تقتله "بسكـين تقطعـه وبمذراة تنسفه، وبالنار تشويه، وبالمطحنة تطحنه وفي الحقول تنـثره والطيور تأكلة" واننا سوف نشاهده إعـادة الحياة الإله بعل، كما نجد الإله موت يعود للحياة بعد سبع سنوات[1]، وبالتالي كانت تلك الطقوس الشعائرية ولوج لعملية التطهير والتجديد الدوري.

نرى بأن الإنسان لم يستطع تجاوز تجسيد الاشياء بصورة مادية، فبني اسرائيل برغم دعوة موسى رغبوا بتجسيد الإله ففي القرآن الكريم ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْـرَ فَأَتَـوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَـى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَـل لَّنَا إِلَـهاً كَمَا لَهُـمْ آلِهَـةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُـونَ﴾[2]، وبعد غيـاب موسـى عليه السلام عبدوا العـجـلُ ﴿ثم اتَّخَذُواْ الْعِجْـلَ مِن بَعْدِ مَـا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَـاتُ﴾[3]، لقد اتخذ اليهود بعـد خروجهـم رمزية العجل في مناسبـات عدة كرمزية للإله سـواء كان في بداية الخـروج (ابيسـ Apis) أو بإتخذهم عبادة الآلهة السورية بعـل وعشتاروت من بعد فترة الارخاء الاقتصادي والسلام النسبي.

كما علينا أن نشير إلى اننا عندما الحديث عن سيدنا موسى عليه السلام، فإننا نتحدث عن شخصية مؤثـرة ومؤسسة لدين توحيدي وذاكرة شعب، ومن الصعوبة انـكار وجودهـا تاريخيا، فيؤكد هشـام جعيط الرأي الذي ذهـب إليه لودس حول

....

(1) ميرشيا إلياد – تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ج-1 -مرجع سابق- ص197-192 (ملاحظة: يقارب ميريشيا إلياد بين عودة موت للحياة وانتصاره بعد سبع سنوات وقصة سيدنا يوسف عليه السلام والسنوات العجاف والتي يوجد صداها في التوراة بالاضافة الي توجدها في القرآن الكريم.

(2) سورة الأعراف: 138

(3) سورة النساء : 153

وجـود شخصية سيدنـا موسى عليه السـلام التاريخية بقوله: " مـن الصعب نفي وجـود هذا المؤسس (موسى) كشخص كروزماتيـة تاريخية؛ لأن بناء ديانة وايجاد شعـب يستوجب عمـل شخصية قوية وابداعية وقائده"[1] ، فـأي حقيقة بشرية الا وهـي حقيقة تاريخية[2] ، وكمـا يوضح ميرشيا إلياد بأن الفعـل التكراري والمخيلة الجماعيـة والتي يعـبر عنها بالطقوس، انما هي محـاكاة لفعل جري في زمن معين حقيقـي[3] ، كما هو الحـال مع الحج والاضحية في الإسـلام وارتباطها بشخصية سيدنـا إبراهيـم عليه السـلام، ويذهب (ك.غ.يونـغ) لتؤكيد بأنـه إذا كان الرمز والصـور بمثابة قوى وشحنات إيجابية رابطـة للإنسان، فإن الرمز ارتبط تاريخيا بزمـان وثقافة محددة، ولكنها مرتبطه اكثر بالعـالم الروحي الإيماني الذي يسمو فوق كل شيء والأكثر غني واستمرارية من العالم التاريخي[4] .

أمـا في بلاد الشام فختلط الفـن الديني بين ديانات المـدن الزراعية الخصبة، وبـين ديانات لشعوب الرحل والمحكومة بالآلهة السماوية والتدين الكوسمي الكوني، وشكلـت البدايات الفن الديني الكنعاني والفينقي بروز الآلهة -الأم وتعاظم الدور الانثـوي الدال إلى الحيـاة والخصب وصراع البقاء، إلا أنه مـع مرور الوقت سوف نـرى تصاعد الآلهـة الذكورية، وكما الحـال مع الأساطير الدينيـة القديمة برزت الصراعات بين الآلهـة والاستبدال الإلهي، التي برزت في النص الاسطوري لتشكل معـاني لدور الالهـي وتفسر التحول الدينـي وتدعوا في الخوض للاسباب الكامنة والغامضـة لذلك التحول الدراماتيكي لادوار الآلهة المقدسة، حيث برزت صراعات بعـل مع الإله القديم ايل EL رئيس مجمـع الآلهة (وهو الاسم السامي لكلمة الله)،

(1) هشام جعيط- في السيرة النبوية -2 تاريخية الدعوة المحمدية في مكة – دار الطليعة –بيروت- -2007ص 20

(2) ميرتشيا إلياده Mircea Eliade – مرجع سابق - ص 50

(3) ميرسيا إلياد- العود الابدي- ترجمة نهاد خياطة- دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر- دمشق-ط1 - 1987 - ص60

(4) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص257

حيث انتصر بعل تدريجيا ليقوم بالسيطرة على الصفات العليا للإله وعلى مقدرات الكون التي أصبحت بعليه المصدر[1] .

ويؤكد القرآن الكريم على الدور السيادي في العبادة الذي كان لبعل قبل الإسلام في مقابل نسيان عبادة الاله الأعلى خالق كل شئ فقال تعالي: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾[2] لقد كان ابدال إله قديم خالق ومدير كوني بإله شاب، أكثر حيوية وتخصصا في الخصوبة الكونية من الظواهر الشائعة لحد كبير.[3] ويؤكد خزعل الماجدي على أن نهاية شجرة الفن الديني الكنعاني يلتقي بنهاية الشجرة الارمية حيث يندمجا، ثم احاط اندمجهما العنصر الهلينستية والرومانية ثم المسيحية[4].

أما في بلاد فارس فيرمي زرداشت وتعاليم (الافستا Avesta) بثقله في الحياة الدينية الفارسية الغامضة والمشوشة في حطام النصوص وركام الشروح الشعائرية والرموز الدينية في المشهد الديني الايراني، وتتعدد الآلهة في الحياة الدينية الفارسية، إلى ان من المتفق عليه شكل (اهورا مزدا Ahura Mazda) الإله الاقدم والاعلى وصاحب الديانة التقليدية الايرانية والأب الأعلي للآلهة، والذي سوف تتحد رمزيته في صورة زرداشت (التاريخ والأسطورة)، وتحول زرداشت من شخصية تاريخية هامة إلى نموذج مثالي ليظهر الديانة الزرداشتية التي نشأت في قلب البوذية وتأثيرتها[5]، حيث تؤكد النصوص المتأخرة على السبق الوجود السماوي لزرداشت[6]، وظهوره النوري الناري المقدس الذي يتجاوز بهما ما فوق الطبيعة ليكشف قداسة وقدرة وخير (اهورا مزدا)، الذي سوف يشكل نقطة

(1) خزعل الماجدي- المعتقدات الكنعانية- مرجع سابق- ص71

(2) سورة الصافات : 125

(3) ميرشيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ج-1 مرجع سابق – ص 190

(4) خزعل الماجدي- المعتقدات الكنعانية- مرجع سابق -ص 73

(5) حنا عبود- مرجع سابق- ص 218

(6) ميرشيا إلياد -تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية ج1— مرجع سابق - ص380

الرمزيـة للعبـادة التطوريـة للزرداشية المزدكيـة ، بالاضافـة إلى معركة الصراع بـين زرداشت والشياطن (أهريمـان) والتي تمثل صراع الخـير والشر وهو السبيل والواجب الأساسي للمزدكية.

وأخـيراً حاول الإنسان منذ القدم تجسيد شكل وصفات الآلهة لكي تتناسب مع الإدراك البشـري، فالزلازل آلهة ضجره تتقلب أو تهـز كتفها، والأمطار والخصب ماهـو الا تـزاوج الأرض والسماء، وعشتار إلهة الحـرب والحب سيدة تقف مسلحة بالمعركة بالقوس والرمح وترتدي قلادتها اللازوردية، وهي تضع قدمها على رمزها الأسد ، وشقائق النعمان الحمراء التي تنبت بكثرة خلال الربيع في لبنان هي نزيف دمـاء أدونيس إله الفنيقيين، كما نجد مردوخ Marduk إله البابلين الخالق المتواجد بالسمـاء وهـب القوة يبعث العواصـف وينشر النسيـم من خلال تنفسـه ، أما إله السماء المصري فنراه نائم بلطف على الأرض.

سـوف تتكـثر الآلهـة ورموزها بين آلهـه عليا قوميـة وآلهة محليـة، وجميع تلك الأشكال الرمزيـة للآلهة سوف نراه مجسده في مسرح الحياة في حضارات الشرق الأدنـى القـديم، فيذكـر دل ديورانت بأن "في بابل احصيت عـدد الآلهة في القرن التاسع قبل الميلاد فكانوا حوالي 65.005 إله ذلك لان لكل مدينة إله"[1]

(1) دل ديورانت -قصة الحضارة- - الجزء الثاني— المجلد الأول- مرجع سابق - ص 213

الباب الثاني

الشرق الأدنى القديم: عالم الآلهة والرموز

"كل كائنات هذا الكون هي كتب أو صور، تشكل بالنسبة الينا مرايا في حياتنا ومماتنا ،في وجداننا وقدرنا"

ألان دو ليل -القرن12

الفصل الأول

الأشكال الرمزية للعبادات الكونية:

إن لكل دين دعائمه واركانه التي ترسى تراثة الثقافي ورموزه المستمدة من تراثة واصولــه الدينية، والتي تمــد المجتمع بشيء من النظام والثبات عبر الزمان، فنجد مالينوفسكي **Malinowski** يؤكد في كتابه (**Magic, Science and Religion**) بأن الدين يجعل الفــرد يستجيب لحاجياتــه على المستوي المعــرفي والعاطفي، وذلــك لفهم وايجاد تفســير للحياة والعــالم وإعطاء شعور بالأمان في وجه تقلبــات الطبيعة المتغيرة[1]، لذلــك نرى بأن الإنسان القديم حاول اللجــوء إلى الطبيعة واتخاذها إلهة ليحافظ علــى شعــور داخلي بالأمان من تقلباتهــا، فعبدت الاجــرام السماوية، لانها توجد بطريقــة مطلقة مــن الارتفاع واللانهاية والقــوة الطبيعية والازليــة بالنسبة للبشر فكان عجز الإنسان ازائها ، مما جعله يتخذ من الاجرام السماوية إلهه له .

شكلــت البيئــة دور كبير في تكوين ونشأة الآلهة فعبــدت المكونات والعناصر التي تمثــل وتكون العالم الطبيعي[2]، فجميع المجتمعــات القديمة حاولت معالجة الأمور التــي لا يستطيــع الإنسان تفسيرها لذلــك كان لابد من اخــتراع الكائنات الخارقة المثقلــة بالمسؤوليــات وبجميع الحوادث لا يمكن تفسيره[3]، لقــد كان عجز الإنسان أمــام الطبيعة وتقلبتهــا، عامل في بــروز التدين الكوني (الكوسمــي)، فلقد لاحظ الإنســان حركــة الشمــس والقمر والنجــوم والكواكب وتغير الفصــول مما جعله

(1) Bronislaw Malinowski-op.cit - p30

(2) هامش : عبدت الشعوب منذ القدم الطبيعة وكل منتج ومجدد للحياة ابتداء من الشمس والمرأة وصولا الي الاعضاء التناسلية..

(3) Ernst Lehner -Symbols Signs & Signets -DOVER PUBLICATIONS INC.NEW YORK-1950-P.5

يطور تدريجيا نظرته حول ايقاعات الطبيعة في الكون[1]، كما يربط نورثروب فراي Northrop Frye تعـدد الآلهة عند البشر بارتباط الإنسان الحميم بالطبيعة واحساسه بأن الطبيعة حياة وقوة يمكن أن يتماهيا بحياته وقوته "[2].

لقـد ادرك الإنسـان قوة وسطـوة الطبيعة فجعلهـا ذات قداسيـة وطابع إلوهي يتجسـد المقدس فيه بحـدود ومدركات الإنسـان، إذن فاختيار الاجـرام السماوية وعناصـر الطبيعة للعبادة أو (تأليه الكون) بشكل عام، هي تولدت غالبا من الامور النفسية المعقدة وتمازج ثقافي بين الإنسان والطبيعة، وهذا الجانب كان بارز بوضوح بالافرازات التى خلفتها والتي اعطت الأسطورة صورتها الميثولوجية ، فبدون شمس لا وجود لاساطير شمسية ابدا. [3]

فالرمـوز الدينية الماديـة عبارة عن نموذج المـادي للمقدسـ المتجسد بصورته المحسوسة ليعبر عن المقدس باشكال عدة، فكما يقول بودلير [4] Baudelaire :

إن الطبـيعة معـبد لحـياة أعمـدة الكنوز

وتبـث أحيـانا لـنا أقـوالـها المتـداخـلة

ليواصل الإنسان فيها فض غابات الرموز

تلك التي ترنو لها نظراته المتداولة وقوته

اعتقد الإنسان بقوة الطبيعة في مقابل ضعفه، فإضفاء إليها كل أنواع القداسة، فبدات الإنسان يعطي رمزية للطبيعة سواء كانت كواكب أو حيوانات من خلال تاثره

(1) Miranda Bruce –op.cit-p14

(2) نورثروب فراي - المدونة الكبري –الكتاب المقدس والادب- -ترجمة سعيد الغانمي- كلمة ومنشورات الجمل 2009 - ط 1 - ص 134

(3) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص259

(4) نورثروب فراي – مرجع سابق - ص 134 - 135

النص باللغة الانجليزية:

Nature is a temple in which living pillars sometimes give voice to confused words; Man passes there through forests of symbols which look at him with understanding eyes.

بالطريقة التي يرى بها العالم[1] ، فتنوعت التمثيلات الرمزية الدينية للمقدس بشكل بارز في مشهد الحياة اليومية، على المستوي المادي المرئي على هيئة نصب أو نقوش ورسوم، وتأكيد لتؤكد على العلاقة المستمره بين افرادها والمشهد الديني بمقدساته، حتى اضحت الآلهة ورموزها تشاركهم نشاطاتهم الحياتية اليومية في الزواج وموسم الحصاد والبذار والحرب والصحة والعافية والموت ..الخ.

يرجع دوركايم E.Durkheim في كتاباته حول الفكر الديني (الأشكال البدائية للحياة الدينية The Elementary Forms of the Religious Life) بأن التصورات والرموز الدينية هي تعبير عن النسيج الاجتماعي على المستوي المادي والفكري، وبالتالي فان تلك الرموز والتصورات هي عناصر مكونه لبنيات المجتمع والتي تحتمها طبعية الحياة الاجتماعية، ففي الرحلة والجدلية الإبراهيمية في القرآن الكريم، نرى بروز لثلاثة أشكال من التدين في الشرق الأدنى القديم :

1. **التدين الكوني (الكوسمي)**: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿75﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿76﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿77﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾[2]

2. **عبادة الأصنام** : ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾ [3]

(1) Miranda Bruce – op.cit-p50

(2) **سورة الانعام** : 75 – 78

(3) **سورة الانعام** : 74

3. **الملـوك المؤلهـة:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[1]

لقـد تعـددت أشـكال التدين لدى حضـارات الشـرق الأدنى القـديم ، فبرزت عبـادة الكونية للاجـرام السماوية والكائنات ذات البنيـة السماوية والتي يعتبرها ميريشيـا إليـاد ذات أهميـة رئيسيـة لمن يريـد فهم التاريـخ الدينـي للبشرية في مجملها[2] ، حيث يعتبر التدين الكوسمي إحدى أقدم أشكال التدين في الحضارات القديمـة، فكانت الرموز الدينية الكونية من أبرز المظاهر والأشكال الدينية، وكلمة كوسموس(Cosmos) كلمة اغريقية بمعنى النظـام والانسجام أو الانتظام الجميل، حيث أن الكون لم يأخذ تلك التسمية الا بسبب الانسجام والانتظام الذي يسوده[3] ، وبشـكل عام عبرت النجوم عن الإله المقدس كرمزية ، حيث النجمة توضع بجانب اسم أو رمز الآلهة، كما نجدها في رموز عشتار السومرية .

ففـي العصـور القديمة شكلـت الدائرة كأهم الرمـوز الدينيـة القديمة، ذلك الشـكل المنغرس والمتواجد دائما في الطبيعة ، فالبشـر رسموا الدوائر تعبيران عن الشمسـ[4] ، ومازالـت بعض الدول تتخذ مـن الشمس شعارا لهـا ، فالإنسان انبهر وعظـم وقدس الشمسـ عندما شاهـد توهجها الـذي يجلب لهم الضـوء والدفء والحـرارة كمصـدر لحياتهـم ، وبشكل عـام كانت الدائـرة تعبير عـن الحـ أشكالهـا ، فكانت الشمس ببروزها وعلوها وبزوغها وسطوتها مقابل ضعف الإنسان

(1) سورة البقرة : 258

(2) مرسيا إلياد -المقدس والمدنس- مرجع سابق - ص.92

(3) فيليب سيرنج –مرجع سابق- -ص 331

(4) Elizabeth S.Helfman -Signs And Symbols Around The World – Lothrop Lee & Shepard Co-New York-p69

حيالهـا وعـدم قدرته على السيطـرة عليها جعله يعتقد بانهـا مبعث كل خير وشر، وبـأن يتخذ من الاجرام السماوية آلهــه له ، فصورت الآلهة في هيئة دائرة لتصوير استمرارية دورة الاحياء والبعث[1].

لقد شكلت الأشكال الدائرية رمزية للمقدس، وغالبا ما تمثلت الأشكال الدائرية برمزية الكمال لدي الشعـوب القديمة[2]، فظهرت المدن الدائرية الشكل في شمال شرقــي نينوي وغيرهـا، وبعيدا في الهند توصــف الرقصة الهندوسيــة على شرف كريشنا Krishna إله الشمس بأنهـا رقصة دائرية نحو الشمس يدور فيها الراقصون ويلتفـون أحيانا في عربات فيما انها محاكاة للشمس والقمر والكواكب[3]، كما تأثر العــرب بأفكار وقداسيــة وهبة الشمس وفعاليتها في الخــير والشر، فقال طرفة بن العبد في معلقته:

سقته إياة الشــمس إلا لثاثه   أسف ولم تكدم عليه بإثمد[4]

يشـير طرفة بن العبد في هذا البيــت إلى المتخيل العربي حول الشمس، حيث ان الغــلام إذا سقط له سن أخذها بين السبابة والإبهام واستقبل الشمس فإذا طلعت قــذف بهـا، وقال : يا شمس أبدليني بسن أحسن منها، ولتجر في ظلها إياتك، وقال ابــن الخطيب بأنهم كانوا يقولون أيضاً: ابدليني سنــا من ذهب أو فضة[5]، لذلك نرى الأديان السماوية الرسولية تركز على وحدانية الله ونبذ تلك المعتقدات المتأصلة في النفســ البشرية حول مظاهر الطبيعة وقداسيتها ومــن أهمها الشمس والقمر، فقــال الله تعالى في القــرآن الكريم ﴿وَمِنْ آيَاتِـهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا

(1) Miranda Bruce - op.cit -p50

(2) CARL G.JUNG- op.cit- P.215

(3) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby-مرجع سابق - ص 142

(4) الاثمد: الكحل.

(5) الشنقيطي، الشيخ أحمد الامين - شرح المعلقات العشر- حققه وأتم شرحه:محمد عبدالقادر الفاضلي،المكتبة العصرية — صيدا/بيروت-2005-ص 51

تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[1].

كما تطرقنا سابقا للرمزية المقدسة للدائرة في حضارات الشعوب الاخري مثل قبيلة اوغلالا (Oglala) من شعب السو (Sioux) من الهنود الاميريكيين التي تعتقد بقداسية الدائرة؛ لأن الروح العظمي جعلت كل شئ في الطبيعة مستديرا ما عدا الحجر، فالحجر هو أداة التدمير، أما الشمس والقمر والأرض كلها مستديرة مثل الدرع .... ومع أن الروح العظمي جعلت كل شئ مستديرا فعلى الإنسان أن يقدس الدائرة فهي رمز كل شيء في الطبيعة خلا الحجر ... لذلك يصنع الاوغلالا خيمهم tipis بشكل دائري ويجلسون بشكل دائري في احتفالتهم كلها فالدائرة لديهم رمز الخيمة ورمز المأوى/ الأمان الذي يأوون إليه، فإذا رسم أحدهم دائرة تزيينية ولم يقسمها بأي شكل من الأشكال فيجب أن يفهم أن هذا هو رمز للعالم وللزمن[2]، وكذلك قبائل الازتك Aztec في امريكا الوسطى التي آمنت بقوة وفعالية الشمس ورمزيتها الدائرية.

امانت الكثير من حضارات العالم القديم بفكرة الإله الكبير المتعالي في السماء ولكنها اختلفت على تصويره الا إن الشمس كانت ابرز المكونات الطبيعية الكونية (Cosmos) التي عبدت عبر تاريخ البشرية ، فكانت الشمس الرمز الديني الدائري الكوني المؤلهة بامتياز، فالشمس باستدارتها كانت ذات قداسية وقوة وفاعليه لدي اغلب شعوب العالم منذ ازل التاريخ سواء كانت فارسية أو فرعونية أو في جاهلية العرب أو سواها حتى نصل إلى القرن 21 حيث مازالت تحمل تلك الصفات عند بعض الشعوب كما نشاهدها في اليابان من قداسية الشمس Amaterasu لدي معتقدى ديانة الشينتو Shinto ، كما أن العلم الياباني يحمل رمز الشمس كرمز للقوة ، ويذكر الأستاذ جواد علي بأن بعض السياح لاحظوا ان آثار عبادة

(1) سورة فصلت : 37

(2) كليفورد غيريز – مرجع سابق - ص 291-292

الشمس والقمر لاتزال كامنة في نفوس الناس والقبائل برغم إسلامهم[1]، فعبدت الشمس في الحضارات القديمة كأقوي أشكال العبادة الكونية، حيث تكمن رمزيتها بالحيوية والرغبة والشباب، فشروق وغروب الشمس تكمن رمزيته في الميلاد والموت والبعث[2]، وإجمالا فالشمس باستدارتها مثلت لانهائية الدورة وبكسوفها الشمسي بثـت هواجسها ، وبتعاقـب الليل والنهار وحركيتها اضفـت استمراريتها ، كل ذلك اضفــي إلى الشمس لدى الشعوب القديمــة معني للوجود والخلود والبعث والتجديد والقوة والسطوة.

لقد اعتبرت الشمس بامتياز كبير الإله ورمز الحياة وخاصة لدى الشعوب الزراعية في العديـد من الحضــارات القديمــة، والجد المباشــر المرتبط بالملــوك أو على الأقل كرمــز لألوهة العليا في مجمع الآلهة، وسوف نرى بــأن الأشكال الكوزمولوجية الكونية السماوية العليا سوف تكون داعمه لعدد من الرموز والطقوس البدائية[3]، ففي مصر كان الملــوك هــم (ابناء رع) ، وفي بابـل كان ملوكها لهم علاقة مــع الإله شمش (رب – الشمســ) ، ولإبراز قوة ورمزية وعلو الشمســ باعتباره كبير الآلهة، صورت الشمس بأشــكال عدة في حضارات الشرق الأدنى القديم، فنجــد إله الشمس عند السومريين يعــبر السماء يوميــا بعربته مبددا الظــلام والشر، بينما يوزع أشعتــه بالتساوي على جميــع الموجودات على نحو صارم وبــلا تفرقة ، وفي الليل يعبر العالم السفلي ويواصل دورتــه بوصفــه القاضي الأكبر وإله القــرارات، وكان يرمز له في بابـل بالشمس ذات الأشعة الأربعة في حين أنهم كانوا يصورونه في آشور بقرص الشمس المجنح[4].

فنجــد بأن الفراعنــة المصريين استعاروا بعضــ الكائنات لتكــون رموز طبيعية للاجــرام السماويــة الكبري التي اعتبرهــم كألهه كشمس والقمــر وتمثلهما وتعبر

(1) جواد علي – أصنام الكتابات- شركة دار الوراق للنشر المحدود- ط1 – 2007 – ص 11

(2) Miranda Bruce –op.cit -p16

(3) مرسيا إلياد-المقدس والمدنس- مرجع سابق – ص 97

(4) انظر: جعفري بارندر – مرجع سابق- ص 15

عنهمــا. وكتحمل كتمــاتم وتنقش في جـدران المعابـد والقبور والقصــور والتماثيل والالــواح الحجريــة والخشبيــة وأوراق الــبردى، كما نجــد بأن القرصــ المجنح في الحضــارة الفرعونيــة تعبير عن الشمســ، وقد يستعاض بالقرصــ بصورة الجعل (الجعــران) الذي اعتــبر رمز شمسيا في مصر وتعويذة حامية أو نحوه من الرموز الشمسيــة التي ترمــز للشمس كبير الآلهــة المصرية على الاطــلاق، وبمرور الوقت انتقلــت رمزية القرص المجنح إلى شعوب الشــرق الأدنى في بلاد الرافدين وفارس والفينقيــون، وربمــا استبدل القرصــ برمزية أخرى ترمز للشمســ مع بقاء رمزية الاجنحة[1].

اعتــبر قدمــاء المصريــن الشمس (الملقــب رع Ra)[2] من اعظــم الإله لديهم، ورمــز لها بأشــكال عدة، فصورت احيانــا بصورة عجل مقدس يولــد مرة في فجر كل يــوم ويمخر عباب السماء في قارب سماوي ثــم ينحدر إلى الغرب في كل مساء، واحيانــا اخــر يصور بشكل باشــق يطير في عظمة وكبريــاء في السماء ويشرف من أعلــى السمــاء على الكون، حتى أصبــح فيما بعد رمزا متواترا مــن الرموز الدينية والملكية في الحضارة المصرية الفرعونية،[3]

لقــد أضحت مصر الفرعونيــة حضارة شمسية، اتخذت مــن التقويم الشمسي مصــدر وتوقيت لها، حيــث أن ليس للقمر في الميثالوجيــا المصرية أهمية تذكر كما هــو الحال مع غيره من الشعوب[4]، لقد اضحت الحيــاة والزمان تكتسب قداسية بالنسبــة اليهم لارتباطهــا بالشمس، فعندما اخذت مصــر بالتقويم الشمسي صار للشمســ أهمية أكبر مما كان لها قبل فنشأت أساطير الشمس التي تعكس الصراع بيــن الجذب والخصوبة وبين النور والظــلام[5]، لقد كان الإله رع Ra رمز الشمس

(1) صورة نسر أو جعل أو الاله اشور أو مردخ أو زراشت اودولا ب أو غيرها من الرموز الشمسية.

(2) أضيف للإله الشمس (رع) من بعد ألقاب رع-امون Ra-Amon والتي تعني المخفي.

(3) دل ديورانت - قصة الحضارة- الجزء الثاني- المجلد الأول – مرجع سابق - ص 157-156

(4) حنا عبود- مرجع سابق - ص 83-82

(5) نفسه- ص 283

عنـد القدمـاء المصريين رمز للخصوبـة وإله ملحمة البنـاء في هليوبولس بمصر، فعندمـا تأمل المصريون خصوبـة أرضهم غير العادية أدركـوا بغير شك أن النيل والشمس مسؤولان أساسا عن هذه الخصوبة[1].

لقـد ادرك الإنسان أن حرارة الشمس هـي العلة الرئيسية فيما تدره الأرض من خـيرات، عندئذ انقلبت الأرض في أعين البدائيين إلهة تخصبهـا الأشعة الحارة، وعبـد النـاس الشمـس العظيمة لأنهـا بمثابة الوالـد الذي نفخ الحيـاة في كل شئ حي[2]، ومن هنا فقـد كتبت السيادة والامتياز للآلهة التي ارتبطت بهاتين القوتين الطبيعيتين في الحضارة المصرية.

كما إن الشمس في الحضارة الفارسية رمز زرداشي يعبر عن الإله الأعلى لديهم (اهـورا مزدا Ahura Mazda) الذي يملك الحرارة والقوة والنار، فكان يرمز بصورة زرداشيـة يمد جناحيـة في الافق كالشمس عندما تنشر اشعتهـا على جميع البشر، ليظهـر قوة وسطوة الإلـه الزرداشـي، إن الشمس المجنحة تقليـد ورمزية سماوية للعقـاب وحركة الشمس اليومية مـن طرف السماء لاخر، والتـي تعبر عن والسفر الروحـي والتـي نشاهدها في كثـير من الحضـارات القديمة، كما سـوف نرى بأن الشمس سوف تخضع لعدة أشكال رمزية كلها تعتبر رموز دينية شمسية، ومن تلك الرموز الشمسية الرئيسية في الحضارات القديمة[3]:

....

(1) انظر: جعفري بارندر –مرجع سابق- ص 38

(2) دل ديورانت - قصة الحضارة- الجزء الأول- مرجع سابق - ص 103

(3) للمزيد حول الرموز الشمسية والقمرية – انظر: - -فيليب سيرنج- مرجع سابق- -ص382

الرموز الشمسية الرئيسية					
كائنات حيوانية	طعام	نبات	معدن	اللون	اخري
الحصان الأسد الأيل التيس الجبلي العقاب(نسر) الديك الغراب العنقاء الجعل	العسل	دوار الشمس	الذهب	اللون الذهبي	دولاب او العجلة دائرة العاب شمسية

أمــا القمر فاتخــذت في العصور القديمة بشــكل عام رمزية الانوثــة والأمومة، ولكــن برغم ذلك بعض القبائل الافريقية كانت تــرى بالقمر رمزا الإله الرجل[1]، القمــر هــو رمز المرتبــط في الخصوبة والمطر والنبــات والــولادة والأمومة والانوثة والمــاء، الدورات الشهريــة للنساء حيث تقارب الدورة القمريــة، كما أن القمر رمز مرتبــط بالوقت حيــث التقويم القمري ، فــنرى بأنها كلها أشــكال ارتبطت بالقمر منــذ القدم في اغلب الحضارات ، لقد كان القمر بتقلبات منازله المختلفة باكتماله ونمــوه وتناقصه وفي ظواهره (الخسوف) وارتباطــه بالمؤثرات والظواهر الطبيعية مــن مد وجزر، وعند غروب الشمس وحلول الظــلام يظهر القمر ليبدد سواد الليل وينــير طريق البشر، كل ذلك جعــل من القمر طابع خاصا يتســم بنوع من السرية والقداســة لديهم، حيث عــبرت عنها الأساطير الاغريقيــة والرومانية القديمة ثم الروايــات والافلام الهوليودية بذلك في قصص (المستذئبين **lycane** أو **Werewolf**)[2]،

(1) Miranda Bruce-op.cit -pp 18-19

(2) المستذئب werewolf أو Lycane: شخصية وهمية مبنية على إسطورة تحول الرجل إلى ذئب عند اكتمال القمر في كل شهر يمشي في الشوارع ويجوب الغابات بحثا عن الضحايا وعند شروق الشمس يتحول إلى إنسان مرة أخرى. يظهر المستذئب في العديد من قصص الخيال والرعب كما نجدها في فيديو كليب ثريلير لنجم البوب مايكل جاكسون وأيضا قصة هاري بوتر متمثلة في شخصية ريموس لوبين المعلم الذي تتضح شخصيته كمستذئب.

كمــا وصفت المرأة الجميلــة بالقمر والبدر عند تمامه، كما أن كثير من الشعراء قد استثمروا عنصر القمر في كثير من أغراضهم الشعرية.

يعتــبر التقــويم القمرى أقــدم سبق مــن التقــويم الشمسي، حيــث يتماشي مع ايقاعــات الحياة وحركيتها، كل ذلك جعــل الأسبقية للديانات القمرية على حساب الديانــات الشمسيــة، وبالتالي كانــت الميثالوجيا القمرية في اغلــب الثقافات تسبق الميثالوجيــا الشمسيــة[1]، اعتقد الشعــوب القديمة بأن للقمــر خاصية الاخصاب للأرض ويشابه عمل المرأة في الاخصاب والانجاب وبحليبها ينمو الاطفال، كما أن ارتباط المرأة بالأرضــ والزراعة اضفى قداسة هامة لطقوس (دم القمر) في بلاد الرافدين وبروز الزواج المقدس **Hieros Gamos**، للربه القمر إينانا (عينانا) أو عشتار عند البابليين للبدء في عملية الاخصاب والانتاج[2].

عبــد القمــر في بــلاد الرافدين واعتــبر الإله الاكــبر في ميزوبوتامــيــا وســمى ســين(**Sin**) إله -القمر والمياة، وتلك الخاصية المزدوجة موجودة في كل مكان،[3]، حيــث خصص للقمــر معابد عظيمة في اور في بلاد الرافديــن وغيرها، فالقمر ذو مكانة عالية في الأساطير الرافدية، واعتقدوا بأنه يقوم بالخصوبة والخلق والحياة والابعــاث، وبالتــالي يقوم بأدوار تعيين الملــوك وبوظيفة الــزواج المقدس[4]، وكثير نــرى اقتران رمزية القمر القادر على الاخصاب بالشجرة والعلاقة بينهما وبوجود ايحــاءات جنسية انثوية في تصويرها، وبما أن إله القمر (سين) يرتبط بالمرأة كان البابليون يتوسلون له عند ولادة المرأة ومخاضها، وصور القمر في الميثالوجيا العالمية

(1) فراس السواح-: مدخل إلى نصوص الشرق القديم، دار علاء الدين - دمشق، سوريا - ط 1 - 2006 - ص203

(2) حنا عبود- مرجع سابق- ص -97 (طقوس دم القمر: طقوس رافدية حيث تقوم النساء والفتيات البالغات في الليلة القمراء بالقرفصاء في الحقول،حتى ينزل دم حيضهن على الأرض)

(3) -فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 382

(4) حنا عبود- مرجع سابق- ص 97-95

محبا للنساء، عبدنه لأنه حاميهن بين الآلهة[1]، ولكن كان الجانب الآخر للقمر من ظلمه وخسوف وافول كل ذلك اكسب القمر رمزية بوصفه إله للحرب والثأر والموت، ممـا جعلها كما يقول الأستاذ فراس السواح: " التقا عندها التناقضات وتصالحت معها المتنافرات"[2].

صـور القمر بأشكال عدة وبرمزية الأم الكبري الآلهة وبرمزية متنوعه وبصور حيوانيـة وغيرها، وكل ما يوحـي بالقمر وبمنازله المختلفـة وبخاصة الهلال، ومن تلك الرموز القمرية الرئيسية:

الرموز القمرية الرئيسية			
كائنات حيوانية	نبات	الوان	اخري
الثور التيس الضفدع الثعبان الحلزون البقرة	زهرة اللوتس	الفضة	قرون الابقار الهلال نصف القمر

كمـا اعتـبرت الأرضـ ذات قداســية إلهيــة باعتــبارها كبــيرة الآلــهة الأم (Great mother Goddess)[3]، التــي كان يرجــى عطائهــا وخيرتها في محصول زراعي خير، ويخشى غضبها من جفافها وقلة محصولها، حيث صورت برمزيات وايحاءات انثويــة والخصــب والعطاء، ففــي الثقافة الهنديــة الفيدا تصور الأرضـ على أنها شخصية اثثويــة صغيرة تتعلق بناب خنزير بري[4]، إن الرمزيات والمعتقدات حول

(1) ديورانت، ول: - قصة الحضارة، ج 1 - ص 102

(2) لغز عشتار-فراس السواح-دار علاء الدين –سوريا ط8 - ص 28

(3) Miranda Bruce – op.cit -p24

(4) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق - ص 106

الأرض – الأم TERRE -MERE والخصب البشري والزراعي وقداسة المرأة ..الخ، لم يكـن لها ان تتطور وتشكل نظاما دينيا مصاغـا باغتناء الا باكتشاف الزراعة، وأن مجتمـع الصيد ما قبل الزراعة لم تشعر بذات الطريقة وكثافة وقوة قداسة الأرض الأم .

لقد صـورت الآلهة في العصـور القديمة في المجتمعات الزراعيـة بشكل إنساني فألهـة الخصب والتجديد والبعث والحـب والعذرية والحرب والحماية أي ما يمكن أن نطلـق عليه الأرض – الأم أو امومية الأرض في المجتمعات الزراعية التي تكتسب نفسـ رمزية الادوار، أما كبـار الآلهة ذات القوة السطوة أو مـا يطلق عليه السماء – الآب فمثلـت بمـا يناسب رمزيتهـا الابوية، ولكن برغم ذلـك سوف نرى في وقت متأخـر ونتيجة التطور الاجتماعي انتحال الآلهة الأرض – الأم لادوار وسمات آلهة السماء – الآب[1].

ارتبطت الأرض منذ القدم بالمـرأة والخصوبة والحياة وبعلاقة رمزية ، فالمرأة التـي لم تلـد أو لم تتزوج كالأرض البـور، وفي الديانات افريقيـة القديمة صور رب السمـاء بصـورة ذكريـة بينما وجـد في أماكن أخـرى معبود انثـوي للارض، وفي حضارة الانكا القديمة في امريكا الجنوبية ارتبطت الأرض بالمرأة وكان يطلق عليه (باكامامـا) أو الأرض الأم، حيـث كانت الأرض مقدسة لديهـم،[2]، وعند قبائل الازتـك Aztec سميـت الأرض كآلهـة الأم واسمهـا كواتليكيـو Coatlicue، كما سميت الأرضـ – الأم رمـز الخصوبـة في حضـارات الشـرق الأدنى باسماء عـدة، فعند الاكاديـين السوريين(اشـيرا أو عشتار Asherah) وعنـد المصريين الفراعنة موت Mut ، وفي بـلاد سومـر ما بين النهرين كانت تدعي إنانا أو عشتار Inanna، ورمزها البقرة كذلك يقابل معني الأرض الأم.

....

(1) نورثروب فراي – مرجع سابق- ص 138

(2) -حنا عبود – مرجع سابق - ص 15 وكذلك انظر نفس المرجع السابق ص 68

وقـد عـثر في النصوص النبطيـة على اسم (ربـه العثر) وهـي الشمس[1]، ويذكر الأستاذ جواد علي بأن الشمس التي هي انثي وإلهة أم تقابل الالهه عشترت وعشتار عنـد الساميين الشماليين، بينما ذكر عند العـرب الجنوبيين، فقد عرفت الشمس بـ(أم عثـتر) عند العرب الجنوبيـين، وهي لذلك إلهـة البركة والخصب والحبـل، بينما تقـوم عشـتروت أو اشتار أو عشتـار بهذه الوظيفة عنـد الساميين الشماليـين، حيـث وجد نص سبئـي في مدينة صرواح تقـوم صاحبته بتقديم اربع تماثيل من الذهب إلى الآلهة (أم عثتر)؛ لأنها وهبت لها اربه اطفال وهم ولد واحد وثـلاث بنات اصحاء، حيث يتبين من النص أن السبئيين كانوا ينظرون إلى عشتار علـى أنها إلهة الخصب[2]، وقد لاحـظ دوركهايم وموس Mauss منذ زمن طويل بأن مفهومي السماء والأرض على التوالي في موازاة الطبيعتين الذكرية والانثوية"[3].

(1) جواد علي – مرجع سابق - ص 23

(2) نفسه - ص 24

(3) -روجيه كايوا Roger Caillois – مرجع سابق - ص 102

الفصل الثاني

المعابد والمقابر مستودع الآلهة والرموز

يمكــن للمكان أو الزمان أو الأشياء بشكل عام أن تأخذ معاني رمزية من خلال الدلالات التي يعطيها لها منتميها، فالمباني الدينية التي يمارس بها الطقوس الدينية قــد تأخــذ رمزيات ضيقة أو واسعة حسب الأفراد المنتسبــين لها وسياقها الديني - التاريخــي، لتشكل معاني ودلالات تبرز مدى عمق الفكــر الديني لاصحابها، ويبين وليام ريتشارد ليثابي(William R.Lethaby) "بأن هنالك تفاعل بين الرمز والحقيقة، حيث الأفكار تنتقل من الأول للثاني، حتى غدت الرمزية بالغة التعقيد، وذلك حينما باتــت مبان بعينها تختار لهدف الرمز، ثم عزو بعض الأشكال مما يظهر في البناء لاصــول دنيويــة، وبالمقابل بعض الأفكار ذات الجذور الكونيــة حدث لها تغيير فيما بنــي مــن هياكل، وتلك المبـاني كرست كعالم مصغر لبيــت الإله (House of God) أو المعبــد (Temple)" [1]، إن الرمزية هي مرحلة انتقال الفكرة إلى الاشياء لتصبغها بمعاني وايحاءات مخالف لكينوتها الاصلية والحقيقة.

فالمعبــد تلك "المباني التي قدست الأفكار" حسب مقولــه وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby[2]، شكلــت في العديــد مــن مجتمعات العصــور القديمة المحرك الرئيسي في حياة المدينه كلها[3]، ونقطة ورمزية وتواصل بين الإنسان وعالم الآلهة التــي انشانــه لنفسه، وجــدت المعابد في الحضــارات القديمة تقربــا للآلهة ولإداء طقوس العبادة لتلك الآلهة، فيقول دي لا سوسي "إن الرمز المتمثل في أبنية المعابد

(1) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby-مرجع سابق- ص 39

(2) نفسه - ص 16

(3) محمود أمهز- مرجع سابق- -ص 155

يشير أحيانا إلى هيكل العالم، وأحيانا إلى علاقة الإنسان الدينية بالآلهة"[1].

لقد اعتبر المعبد في الحضارات القديمة مكمن القوة والسر الإلهي وبيوت الآلهة المقدسة، ومركز العالم والنموذج المصغر للكون بابعاده المختلفة[2]، فنقشت الكتابات والرموز الدينية على جدرانها وقبورها، ففي بعض المعابد الفرعونية المصرية رسمت النباتات النهرية على الجزء الاسفل من الجدار أو بجانبها الأرضية بخطوط متعرجة للدلالة على الماء[3]، كما نقشت الرموز الدينية والاسطورية التي تعبر عن المعتقد الديني. كما نجد بأن كهنة تلك المعابد اضحوا اصحاب نفوذ بانفرادهم وإدعائهم بتملك أسرار الديانة الوثنية ورموزها ومقاصدها دون غيرهم من الشعب واضحي للرموز والكتابات الدينية معنى ظاهر لعامة الشعب واخر باطني لا يدركه إلا النخبة و الكهنة .

يوضح الأستاذ ثروت عكاشة بأن المعابد "انشئت لتلبى في الأصل حاجة الروح غير انها استلهمت في أنماط بنائها معالم البيئة من حولها"[4]، ولكن الاساس الذي انطلقت منه المعابد في بناءها وتصميمه كانت تعبيران عن رؤية تلك الشعوب للعالم المقدس، فالمعبد ينطلق لديهم بكونه بيوت الإله للمقدس، فالزقورات بنيت من الطين برغم توفر الحجارة، والاهرامات بنيت من الحجارة برغم توفر الطين بوفره في وادي النيل، حيث يؤكد الأستاذ حنا عبود بأن الفن الرافدي الديني كان يقوم على فناء الإنسان بعد الموت، وإنما الخلود يكون من نصيب الآلهة، وبأنه كان عامل هاما في خصوصية الفن الرافدي الديني[5]، أما المصريين الفراعنة فاعتقدوا بخلود الروح والحياة بعد الموت، فالخلود يتطلب الابدية والثبات لذلك

(1) وليم ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق - ص 16

(2) اعتبرت الشعوب القديمة الكون عبارة عن معبد السماوي أوالبيت الكبير السماوي للالهة بينما مثل المعبد النموذج المصغر للكون.

(3) وليم ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق - ص 195

(4) ثروت عكاشة - القيم الجمالية في العمارة الإسلامية- دار الشروق - القاهرة 1994 - ص 17

(5) حنا عبود- مرجع سابق - ص 83

بنيـت الاهرام لتكون رمز لخلود الـروح وراحتها، وتكون المبـاني تعبير عن السماء والأرضـ ورسوخها فلا سبيل لتحريكها، فكان رســوخ معبد الدنيا وثباته يردان في معرضـ الثناء[1]، لقد اجتهد الفراعنة المصريـين في توثيق تاريخهم واساطيرهم وافكارهم مما جعلهم كما يقول دل – ديورانت " فليس من هنالك شعب من شعوب العالم جد في حفر تاريخه واساطيره كما جد في ذلك قدماء المصرين"[2].

إن فكـرة الحيـاة بعد الموت فكرة شائعة عند البشرية منـذ القدم، لذلك انتشر دفـن المقتنيات والاواني الفخارية والاسلحة والطعام وغيره مع الميت كما في منطقة جبيل، أما عقيد الخلود فهي عقيدة الآلهة ، ثم إلحق بهم الملوك (الملوك المؤلهة)، ويذكـر الأستاذ خزعل الماجدي بأن عقيدة الحياة بعـد الموت عقيدة مبكرة سابقة علـى عقيدة الخلود التي هي نتاج ظهور الآلهة في حياة البشر وتأكيد عجز البشرية أمام الطبيعة الهائلة.[3]

كان المعتقـد الدينـي عاملا مؤثرا في تصميم البنـاء ليكون اكثر روحانية ويعبر عـن المقدسـ في جميع نواحيه وابعاده، فارتبطت الاهرامـات وغرفة دفن الفرعون بالشمس لتضمن له الحياة السعيدة في الحياة الآخرى[4] ، فبنيت المعابد الفرعونية مربعة الشكل بأتجاة الشرق أو الغرب على خط شروق وغروب الشمس، وكان للمعبد بوابة اطلق عليها بيلون Pylon في مدخل ساحة المعبد وبيلون رمز هيروغليفي بمعني الافق، واعتبروا أن المعابد بيوت المناسبة للآلهة.[5]

كمـا أن بعضـ المعابد قـد بنيت بعيده عن مراكـز المدينة، فـكان كل شيء يعبر عـن المعبود الاكبر الشمس (رع -امون) اضحت الاهرامات آثار جنائزية شمسية،

(1) وليم ريتشارد ليثابي William R.Lethaby-مرجع سابق - ص 55

(2) دل ديورانت - قصة الحضارة- الجزء الثاني—المجلد الأول- مرجع سابق- ص 139

(3) خزعل الماجدي- مرجع سابق- ص 14

(4) Miranda Bruce- op.cit -p130

(5) عيسى الحسن – مرجع سابق - ص 559 ، وكذلك ص 654

كمــا أن المسلات الفرعونية ذات طبيعة ونصــب تمجيدي شمسي، كما أن المعبد في العمــارة الفرعونيــة المصرية شكل مدلــول كوني فالمعبد يمثل الكــون مع اختصاره والسقف المسطح هو على صورة السماء، كحقل أزرق مزروعا بنجوم من ذهب، كما أن ارضــ المعبد غير مبلطة لانها تمثل الأرض وتعرجاتها كما في معبد (ايزيس) [1] ، وفي تدمر وجد معبد الشمس وكان مربع ذا سور واعمدة وفوق قمم الأعمدة نقوش اغريقيــة، وكان بزوغ الشمس عند الكنعانيين بداخل المعبــد إيذان بدخول بعل إلى معبده، في جميع الديانات كما يقول (فيليب سيرنج) يمثل المعبد الكون[2].

أما الابراج البابلية حيث كانت الزاقورات بطوابقها السبع تمثل السموات السبع وبتسلقهــا يصل الكاهن لذروة العالم[3]، والانفصال من العالم الدنيوي إلى العالم السمــاوي المقدس، فيصف هيردوت الزقورات السورية الكلدانية (معبد بعل) بانه " بنــاء مربــع وأبوابه من البرونــز، وله برج قوي في وسطه ويعلــوه برج ثان فثالث حتى يبلغ عدد تلك الابراج الثمانية.. وفي اعلي البرج ينتصب معبد كبير فيه أريكة أنيقة واسعــة غنية بتطريزتها وبجانبها طاولة ذهبية، وأما الهيكل فلا يحتوي على أي صــورة أو تمثــال" ثــم يردف هيردوت بأن كهنــة الإله بعــل الكلدانيون يذكرون " إن الإلــه يدخــل المعبــد بشخصيه وهيئتــه ويستريح على السريــر"[4] ، وتتشابة الزقــورات مع معابد حضارة شعب المايا الذي استوطــن امريكا الوسطي من حيث طريقــة التصميم المبني، ففي اعلي الهيكل تكون الاضاحي، حيث القرب من العالم المقدس.

كان يشــار إلى عدد مــن المعابد البابلية (زقــوره **Ziggurat**) بأسم (دور – أن – كــى) بيــت الإله (أن – كي) (دار إلــه السماء **An** و إله الأرضــ **Ki**) ، وصممت تلك

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 392

(2) نفسه – ص 410

(3) ميرسيا إلياد - المقدس والمدنس-مرسيا إلياد- مرجع سابق - ص.37

(4) تاريخ هيرودوت-ترجمة عبدالإله الملاح- اصدارات المجمع الثقافي- أبوظبي - ط2 - 2007 - ص 115

المعابد أيضاً شرقية المدخل وتتبع في بناءها افضلية إرساء قواعد علاقة أكثر دقة وتحديد بين وضعية البناء والنقاط السماوية الاربعة[1]، حيث كان الاعتقاد بأن الكون رباعي الأركان التي تسند القبة السماوية ، مع تعدد الأبواب من كل جهه وغالبا ما كانت ثلاث ابواب، ويقول وليم ريتشارد ليثابي **William R.Lethaby** بأن هذا هو الشكل الأمثل لديهم لحيز المعبد أو جدار المدينة[2].

كان الصعود إلى المعبد والزاقورات بطوابقها السبع تمثيل رمزي لاختراق للسموات السبع للوصول والتواصل مع الإله بالنسبة اليهم، ومن خلال تصاعد المعبد يمكن التواصل مع العالم الاخر، لقد كان للزقورات البابلية وظيفة ممتزجتان ببعضهما البعض الأولى فلكية لمراقبة النجوم (عالم الآلهة السماوي) حيث آمنوا بشكل راسخ بتأثير النجوم في قدر الإنسان، ووظيفة أخرى تعبديه دينية في محاولة الاتصال بين الآلوهي المقدس العلوي والإنسان الأرضي الدنيوي عن طريق الارتقاء والصعود الروحي وتمثيل عبور واختراق السماء عن طريق الدرج أو السلم ، فكما يقول (فيليب سيرنج): "السلم يرمز للارتفاع الروحي"[3]، حيث يمثل كل طابق بتجاوز سماء حتى يصل إلى قمة الزقورة[4]، فالجهد والعناء الذي سوف يعانيه المتسلق سوف يزول بعد أن يصل إلى قمة الزقورة حيث اعتقدوا بأنه مقر الإله الذي يستقر ويستريح في قمة الزقورة، ليطلب منه حاجته ويمارس عبادته ويتبارك بالصعود اليه.

ففي الحضارات القديمة اعتبر الآلهة دائما فوق الجبال وفي مستوي اعلي فاعتبر الجبل مقر للآلهة أو مكان مقدس ذو رمزية خاصة تتعلق بالتعالي ورمزيته، لقد

(1) **وليم ريتشارد ليثابي** William R.Lethaby- **مرجع سابق - ص 56**

(2) **نفسه - ص 60**

(3) **فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 412**

(4) **انتشرت الزقورات في بلاد الرافدين وسوريا الشمالية.**

كان الأكثر علـوا يصبح عفوياً صفة للألوهية"[1] وقريب من الاطلاع على المقدس الإلهـي، لذلك نرى فرعون في جداله مع موسـى عليه السلام، يطلب ببناء الصرح الشامـخ في العلو والبنيان ﴿وَقَـالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْـتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِـدْ لِي يَـا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَـل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِـعُ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّـهُ مِـنَ الْكَاذِبِينَ﴾[2]، وكذلك قولـه سبحانه وتعالى في سـورة غافر ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ،أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَـى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَـوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾[3]، وعندما بني الملك جوديا السومري حجرة الإله في قصره بناهـا على هيئة الجبل الكوني[4]، فكان الارتفـاع والعلو انكشاف ووصول إلى العلو الإلهـي بالنسبة اليهم، لذلك بني السلم الطقوسي والزقورات لتمثل ذلك العلو من الدنيوي إلى العـالم المقدس، كما اعتبر الجبل مركز لاستراحة الآلهة حيث تختفي وتشرق من خلفها الشمس.

اعتـبر جبل مـيرو **Meru** بالهند وجبل هـرا بيرزيتـي **Hara Berzati** في إيران جبال مقدسة واسطورية كونية، وفي الكوميديا الإلهية صور دانتي 1321- 1308(**Dante**) الفردوسـس على هيئة جبـل أو زقورات حيث فيها يظهر فيهـا المنعمون في الفردوس الكليـة الإلهية على إنهم جميعاً يشكلـون وردة وتاج العرش ويحتلون في مدرج واسع جـداً أماكـن كبـيرة تتناسب مـع أعمالهم البطوليـة وأمجادهـم، إلى جانب ذلك يستطيعون الظهور في المدن السماوية في القمر المريخ وغيرها من الكواكب.

صممـت المعابـد في العصـور القديمة محـاكاة للجبـال، حيـث كان العلو يمثل الصعـود إلى العالم المقدسـ، فإذا انتقلنا إلى (الزقـورة **Ziggurat**) المعبد الرافدي

(1) مرسيا إلياد -المقدس والمدنس - مرجع سابق - ص.90
(2) سورة القصص : 38
(3) سورةغافر : 37-36
(4) ميرسيا إلياد-العود الابدي- مرجع سابق - ص34

بارتفاعها المتدرج وفي قمته المعبد والهيكل، سوف نجده بأنه محاكاة للعلو والجبال المتجهة إلى أعلي قمة الجبل[1]، حيث اعتبرت نقطة الاتصال بين العالم الدنيوي والعالم المقدس الإلهي ومركز الكون، لذلك اعتبرت تلك المعابد بيوت للآلهة، فكلمة زقورة في اللغة السامية الاكدية تعني المكان المرتفع أو قمة الجبل[2]، ويرتبط المعبد بالمذبح (مكان تقديم القرابين والهدايا) وحقيقة يختفي المعني الكامن وراء اتخاذ الجبال والعلو لتكون مقر للمقدس، واعتبار قمة الجبل نقطة الخلاص الالهي[3].

اعتبرت كثير من الحضارات قمة الجبل بمركز الكون وسرة الأرض[4]، واعتبر المعبد في الحضارات القديمة تصوير كوسمولوجي (كوني) للكون بجهاته الاربع وبناء مقدس من صنع الآلهة، في حين كانت القمة هي مركزه، وتتسأل الآنسة بوفورت عن جبل الشيخ حيث كتبت قائله: "من الجدير بالملاحظة أن جبل الشيخ كان محاط بحلقة من المعابد التي تواجه جميعها إلى القمة.هل يعود سبب ذلك لكون الجبل مكرسا لقداسية الإله بعل"[5]، ولكن هل يتعلق الأمر بأمر اخر في محاولة محاكاة قصة الطوفان وسيدنا نوح عليه السلام، تلك القصة المتواترة في حضارات العالم القديم باشكال عدة، والتي ابلغنا عنها القرآن الكريم ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاء وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[6]، كما ذكرت قصة الطوفان في التوراة في سفر

(1) شاعت المعابد المتدرجة في الارتفاع في العالم ،حيث يصف كوبن معبد بوذي في باجودا (Pagoda) في منطقة منجون (Mengoon) في بورما بانه صمما ليكون تمثيلا رمزيا كاملا لجبل ميرو.Mero، للمزيد انظر:

وليم ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق - ص 122

(2) علي ياسين الجبوري، قاموس اللغة الأكادية- العربية ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) ، ط1، ص729

(3) يوضح الاستاذ (طه باقر) بانه إذا صح قراءة اسم الجبل (نصير) في ملحمة جلجامش فلعل معناه (جبل الخلاص).

(4) في المعتقدات الفارسية اعتبر (جبل هرابر زايتي) جبل مقدس ومركز للعالم ويتصل بالسماء.

(5) وليم ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق - ص 84

(6) سورة هود : 44

التكوين الثامن(وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ)، وكذلك في نفس سفر التكوين(وَبَنَى نُوحٌ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ. وَأَخَذَ مِنْ كُلِّ الْبَهَائِمِ الطَّاهِرَةِ وَمِنْ كُلِّ الطُّيُورِ الطَّاهِرَةِ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ عَلَى الْمَذْبَحِ)، أما في حضارات الشـرق الأدنى القديم والعالم القديم، فالقصة متداولة ومنتشرة فيها[1].

ففي الأساطير المسمارية[2]، توجد قصة الطوفان واستقرار السفينة في قمة جبل، حيث تقول الأسطورة بانه عندما احتباس الماء بعد سبعة ايام، قام أوتا – نبشتم Uta – Napashtim بالإنتظار في قمة (جبل نصير Nizir) بالسفينة حتى تأكد امكانية نزوله منها وصلاحية العيش بالأرض مرة اخرى، فقام بتقديم الأضاحي القربانية، وسكب الماء المقدس على زقورة (قمة) الجبل، فتجمع الآلهة حوله فرحين وباركوه مع زوجته وقرروا منحهما الخلود ونقلهما للعيش بعيداً عند منابع الأنهار، وعلى العموم كان الجبل عبر الازمنة ذو رمزية مقدسة، وفى الأديان السماوية كان الجبل دائما ملاذ الأنبياء والصالحين والمتصوفة والرهبان [3].

إن قصة نوح عليه السلام والطوفان تكمن رمزيتها وقداسيتها في الخلاص والتجديد واعادة تعزيز بناء البشرية والدعوة الربانية التوحيدية، التي اتت من امر رباني متعالي كما هو الحال مع الهجرة النبوية لسيدنا محمد صلى الله عليه

(1) هامش: في الأساطير الهندية توجد قصة تقارب قصة الطوفان وهي أسطورة متسايا Mastsya

(2) تتوفر قصة الطوفان في النصوص المسمارية التي تم اكتشافها في: ملحمة جلجامش وملحمة أترا-حسس، وملحمة زيو سدرا، ورواية برسس.

(3) ففي قصة اصحاب الكهف نجد قوله تعالي﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا،إذ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ الكهف الاية 9 – 10، وفي السيرة المحمدية كان بروز غار حراء ،كان يختلي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نزول القرآن عليه بواسطة جبريل عليه السلام، اما في التوراة تتحدث عن قيام سيدنا إبراهيم عليه السلام (ابرام) بانشاء معبد ومذبح لله على سفح جبل، ففي سفر التكوين12 (ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ إِيل وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتُ إِيلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايُ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ).

وسلم وقصة موسى وفرعون، وقصة لوط وغيرهم الكثير عليهم السلام، التي توحي بالخلاص، فالخروج كما يقول يوسف زيدان: "ملمح اصيل من ملامح التجربة الدينية / السياسية في الديانات الرسالية الثلاثه"[1] ، أما في المسيحية اختلاف الحال بحيث كان خلاص البشرية بالنسبة لديانة المسيحيين بصلب المسيح على حد قولهم تضحية بنفسه لاخطاء البشرية، بينما يفند الدين الإسلامي ذلك الإدعاء وبأن خلاص ونجاة عيسى عليه السلام برفعه إلى السماء قبل أن يقبض عليه ويصلب من قبل الرومان، أما في قصة يونس فالأمر مختلف فخروجه مغاضبا كان خروج غير مقدس، لانه خروج دون أمر إلهي رباني، لذلك كان نصيب هذا النبي الكريم أن التقطه الحوت.

اتخذت الكهوف في البداية أماكن للعبادة، ذلك المكان المتعالي المظلم الروحاني المنعزل عن الدنيوي في أحشاء الأرض، ولا تزال قبائل الدغون**Dongon** في مالي تعتبر المغاور والملاجئ تحت الصخور كصورة الرحم الأمومي والمشيمة[2]، لقد كانت الكهوف والمغاور منذ ما قبل التاريخ مكان للقبر وذات علاقة بعالم الظلمات والاموات والاضاحي واعتبرت كبوابات للجحيم[3]، وفي الديانة الفارسية كان معابد واضاحي ميثرا تقام في الكهوف؛ لأنهم اعتقدوا بأن العالم كله عبارة عن كهف كبير خلقه ميثرا.

يحدد علماء العمران أصل المعبد وبدايته وانطلاقاته بإنها تعود إلى القبر ثم أخذ المعبد في الاتساع على حساب القبر الذي أصبح بداخلهن فالهيكل كما يبرز يوسف شلحت ليس إلا مستوع للأشياء المقدسة ورفات القديسين، أي في الأصل بعبارة أخرى قبر في وسط معبد[4]، وتساند تلك الفكرة بعض الدلائل بأن بروز

....

(1) يوسف زيدان – مرجع سابق- ص 188

(2) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 369

(3) Miranda Bruce-op.cit -p25

(4) يوسف شلحت – مرجع سابق - ص 60-59

الأضرحــة واتساعهــا أدى إلى أن أصبحــت مــكان للعبادة عــبر الأزمنة، لقد ظلت المذبــح (هيكل) في لبداية خارج المعبد كبيئة أساسيــة للقرابين والاضاحي، إلا أنه تم دمجــه لاحتواء الهيكل على الأشيــاء المقداسة وأمتعة العبادة ، فكان دمج المذبح بالمعبد بأن أصبح المعبد نقطة التجمع الديني بعد أن تغيرت ملامح المبني المقدس.

لقــد كان المعبد مجمع الآلهة ومكمن الأســرار المقدسة التي اكتست بها جدران المعابــد، والتــي كان يطلــع عليها الكهنــة ونخبة مــن الناس في حضــارات العصور القديمة، ويختلف تصميم المعبد من مكان لآخر في حضارات الشرق الأدنى القديم، إلا أنــه كان مماهــاة للكون والعالم المقدس باعتبارها بيــوت للآلهة ونقطة مركزية للكــون، حيث ويتطلب الولوج إليهــا ممارسات وقرابين تطهيرية، فكما يقول فيليب حتــى "المعبــد هو أول بناء تحاول نفس المتدين أن توجد فيه مسحة من الجلال فوق ما تستدعيه الحاجات المادية في المسكن العادي"[1]، كما نجد بأن رمزية السلم في الحضارة الفرعونية المصرية كانت وسيلة تسمح لصعود روح الميت إلى قبة السماء، ويشير ميرشيا إلياد بأن رمزية السلم تكتسب من افكار التقديس أو الموت أو الحب والخلاص[2].

وجدت في العصور القديمة المعابد والهياكل الوثنية التي يتم فيها طقوس التعبد وتقــديم القرابــين وتم نحت تصورتهــم وكتابتهم فيهــا، كرموز دينيــة لعقيدتهم، وافكارهــم فاختلــط الديني والسحــري في تلك الرموز، كما بنيــت بعض المعابد في مصــر الفرعونيــة امثال معبد الشمســ في هليوبولس ومعبد (ســر رع) أو المسمى (بهجــة رع) لابراز الطاقــة الكامنة القادرة لاله الشمس بــكل قوتها إذ ان الداخل إلى المعبد كان يمر بمراحل من الظلام التدريجي ثم يفاجأ بالنور لساطع في الفناء المكشوف وتألــق إله الشمس على قمة المسلة رمزه المقدس[3]، وأبواب المعابد نراها

(1) فيليب حتي- تاريخ العرب –دار غندور للطباعة والنشروالتوزيع-ط-9 ص321

(2) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 411

(3) أحمد أمين سليم -في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مصر .سورية القديمة- -مرجع سابق-ص 71

تعلوهـا رمز قرص الشمس التي تعبر عن قوة الإلـه وانتصار الشمس على الظلمة، كمـا كانت قمة الشيء والعلو من القداسة بمكان، ففـي مصر كانت القمة الهرمية تسمـي (بن بن Bin Bin) وهـي من اكثر الرموز قداسة للالـه رع، وربما يرجع ذلك إلى أن (بن بن) كقمة مسلة أو هرم يستطيع أن يتلقى ويشع اشعة الشمس ويعكسها بواسطـة اسطحـه المذهبة ، لذلك فان (بن بن) وليس الهـرم أو المسلة باكملها هو مـا كان رمزا مقدسا لرع"[1]، بالاضافة ترمز المسلة كسجلات خالدة ورمز لثبات والرسوخ بالتوازي مع الاهرامات.

كما اعتبرت المدن في حضـارات الشرق الأدنى القديم بمجملها بناء مقدس من صنع وتعليم الآلهة، واعتبرت تلك المدن مركز للكون، وبالتالي رمز للرسوخ والثبات والخلـود، ففي حضارة بلاد الرافديـن بدأت المدن تتخذ طابـع والصفة المقدسة، حيـث اعتبرت المدن بيوت الله وتحمل اسـم الإله مثل اشور، بابل أي (باب إيل) أو مدينـة نـور أداد أي نور الإلـه أداد[2]، ففي بابل كانت الابـراج تعلو فوق كل المباني لانهـا رمـز السماء اللانهائيـة ولتصبح بيـت الله الأرضي، وسميـت المدينة بـاب ايـلاني Bab - Ilani (بوابة الآلهة) أي المـكان الذي تدخل الآلهة منه عالم البشر[3]، كما اعتقدوا بأن بعض المناطق قد بنيت على Bab- apsu (بوابة إله الماء) مما اكسبها القداسية، لقد كانت بابل في نظرهم مدينة الآلهة والمباني تمثيل مصغر للزاقورات كبيوت لله في الأرض .

لقـد دعيـت المدن والمعابـد كأماكن مقدسـة للالهـة (Dur - an -ki) فكان ربط المـدن والمعابد بالإلـه المقدس كما يقول ميريشيـا إلياد تعبير ورمزيـة عن ارتباط

---

(1) أحمد أمين سليم - دراسات في حضارات الشرق الأدنى القديم ،مصر-العراق ايران – دار النهضة العربية-بيروت- -1992ص 109

(2) سهيل قاشا - تاريخ الفكر في العراق القديم - التنوير للطباعة والنشر والتوزيع-بيروت بالتعاون مع مكتبة السائح- طرابلس-ط 1 - 2010 - ص 15

(3) كارين امسترونغ Karen Armstrong – مرجع سابق - ص 63

سماء المقدس بالأرض وتعبير عن مركزية تلك المدن والمعابد كمحاور كونية كما هو الحـال مع مدن البابلية نيبـور Nippur وارسا Larsa وسيبارا Sippare [1]، لقد اضحت المـدن بأنهارهـا واقاليمهـا ومبانيهـا سماويـة وذات قداسية تحرسهـا الآلهة من الأعلـى ومن الأسفل خلال البوابـات ورموز الآلهة المنحوتة فيها، لقد اعتبروا المدن والمعابـد سماويـة؛ لانها يبق لها الوجود في السماء، فـكان للمدن البابلية نماذجها في الافـلاك: سيبار في بـرج السرطان ونينوي في برج الـدب الأكبر واشور في برج الجوزاء ...الخ.[2]

أمـا المعابد الزرداشية فقامـت ديانة زرداشت في بلاد فارس على عبادة النار فكان لها معابدها التي يشعل بها النار المقدسة بمعونة كهنتها ويقدم إليها القرابين، فاعتبرت الشمس في الزرداشية رمز الرب المرئي حسـب عقيدهم والنار مطابقة مـع النفس المقدسة التي تسمي سبنتامو[3]، لقد رقصـت شعوب كثيره حول النار، وقدسها شعوب مختلفة[4]، وخشى الناس من قوتها التدميرية.

كمـا تأثـر الهنود بالنار فـكان أول عمل للفـلاح الهندي في سبيـل امتلاك بيت جديد هو إيقاد النار المقدسة في البيت[5]، ومنذ العصور القديمة كان للنار رمزية تطهيريـة أو رمزيـة شمسية أو طقوس حماية، إن النـار في الزرداشية نار مقدسة ابديـة لا تنطفي وتمتـاز باتحاد الاضداد النور والظلمة، الخـير والشر، النار والماء وتلـك المكونات نماذج اساسية في الديانة الزرداشية، لذلك نرى أهمية تواجد الماء والنـار في الطقوس والمعابـد الزرداشية فالنار رمز للآلهة اهورا مزدا رمز الحكمة والماء رمز الربة اناهيتا Anahita مصدر الحكمة[6].

(1) Mircea Eliade- op.cit –p 41-42

(2) ميرسيا إلياد - مرجع سابق- ص 85

(3) محمد نمر المدني- زرادشتية النور والظلمة- دار دمشق-ط 1 - 2010 - ص74

(4) الفيدا الهندية (علي سبيل المثال.)

(5) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق - ص 26

(6) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 411

فالنـــار في الزرداشيـــة مقدســـة في كل صورها بدء من الشمســ وحتي نار البيت فهــي احدى المخلوقــات السبعة للإلــه الأكبر (لاهور مــازدا) ويعتقد بــأن الدفء الحــي لعنصــر النار يســري في كل المخلوقات الاخري، فـكان للمعابد حرم مقدس للنــار، وتعتبر النار ممثل الإله أو ابنه وعندما يقـف الزرداشيون أمام النار فإنهم يستحضرون أنهم يقفون في حضرة الإله[1]، ويقول بورفري بأن الزرداشية كرست مــن بــين الجبال المجــاورة لبلاد فارســ حجرة صغــيرة طبيعية مزينــة بالازاهير ومرويــة بالنافــورات يحرسها (ميثرا **Mithar** – ابو الكــون) حيث وجد بالكهف رمز للعالم الذي صاغه ميثرا[2] .

كمــا نجد الجبل في الزرداشية يكتسب قداسيــة ورمزية خاصة، بأسطورة تعبد زرداشــت في جبل سابــلان وبداية الدعــوة المجوسية باسم أهورامــزدا، كما يذكر (هيرودوت 484 ق.م – 425 ق.م) بأن الفرس لا يعرفون الأصنام ولا يبنون المعابد ولا يقيمــون المذابــح ، حيــث يقول بــأن دينهم المجوســي لا يقوم علــى التشخيص، فاعتبرت الشمس (زيوس **Zeus** عند الاغريق) كبير الآلهة الذي يقدمون له القرابين على قمــم الجبال [3]، فمن خلال حديث هيردودت يتبــين بدايات الزرداشية التي ابتعــدت عن بناء المعابد ، ولكن شكلت قمم الجبال مــكان والمعبد القرباني الأول ، تلك الرمزية في العلو والتسامي والتي سوف تكرر رمزيتها في العديد من حضارات العالم وفي تصميم المعبد كهيئة جبل أو اتخذ المكان المرتفع في بناء المعبد .

مع مرورالوقت سوف نرى تحول في وبدايات إنشاء المعبد حيث يصف سترابو(64 ق.م – 23 ق.م) بقايــا معبــد أقامــه الملك قورش، فيقول إنــه كان عبارة عن تله في الهــواء الطلق محاطة بجدار يصعدها المؤمنون للصلاة، ولكن أرشير الثاني (401 ق.م 359– ق.م) الــذي جــاء بعــد قورش بأكثر من قرن ونصــف، خرج على هذه

(1) **جون.ر.هينليس** John R.Hinnells **– مرجع سابق – ص 248-247**

(2) **وليام ريتشارد ليثابي** William R.Lethaby**– مرجع سابق – ص 41**

(3) **هيرودوت– مصدر سابق– ص 94**

التقاليـد، فـكان أول من بنى المعابـد الضخمة على الطريقة البابليـة وصنع صورا للكائنات السماوية[1] ، ويذكر فيليب سيرنج بأن المعابد الفارسية الزرادشية كانت لهـا معابد للنار على شكل برج ومن قسم من مربع، ومع الطابق الأعلى غرفة حيث توقد فيها النار المقدسة[2].

لقـد سيطرة الزرداشية وكهنتها في فارس، فانتشرت المعابد التي كان يشعل بها النار المقدسة بمعونة كهنتها ، فيذكر ابن حوقل بانتشار معابد عبادة النار في فارس حتى لا يكاد بيت أو مدينة تخلو من بيوت النار، حيث ذكر عدة معابد للنار في أماكن متفرقة في فارس، ومنها بيت النار في شيراز الذي يعرف بـ(بهرمزد) والأكيد بأنه كان يقصد (اهورا مزدا) الإله الاكبر في الزرداشية[3]، وبالاضافة إلى اهورا مزدا كبـير الآلهة إلـه النور والحكمة والعدالة ، كان هنالـك الآلهه الكبرى القديمة التي زاحمت (أهورا مزدا وهي ميثرا **Mithra** ثم الإله اناهيتا **Anahita** في مقابل آلهة الشر وفي مقدمتها (أهريمان **Ahriman**).

تكثرت معابد الآلهة مع تضاعف الفائدة الدينية والسياسية للآلهة، حتى أصبح لكل مدينة ولكل ولاية ولكل نشاط بشري إله موح مدبر مسيطر، وذلك طبعا بمباركة الكهانـة والسلطـة السياسيـة . فنجد بأنـه في بابل احصيت عـدد الآلهة في القرن التاسـع قبل الميلاد فكانوا حـوالي 65.005 إله، ذلك لأن لكل مدينة إله يحميها[4]، فلقد كان للحب إله، والحرب له إله، وكذلك والأرض والشمس والقمر والمطر والماء والكثير الكثير.

إن الآلهة تضمن السيطرة الدينية والسياسية على الشعب وكذلك تراكم الثروة، فكـثرت الآلهة في المعابد حيث يقرب إليها المؤمنون القرابين من مال وطعام وأزواج

---

(1) محمد نمر المدني- مرجع سابق - ص86
(2) فيليب سيرنج- مرجع سابق - ص 236
(3) ابي القاسم ابن حوقل النصيبي- - صورة الأرض -1،2 دار صادر- بيروت- ط-2ص 274
(4) دل ديورانت - قصة الحضارة- الجزء الثاني—المجلد الأول- مرجع سابق- ص 213

وخضـوع تـام وتبرك، لذلك نري اهتمـام السلطة السياسية بتشيـد المعابد، فنجد مثل الواح جوديا السومري تنص على الاشياء التي يرتاح إليها الآلهة وتفضلها عن غيرها[1]. انـه الالتحام ما بين الدينـي والسياسي، حتى اضحى من الصعب علينا كمـا يقول دل - ديورانت أن نحكـم إلى أي حد كان (الباتيسي) كاهنا وإلى أي حد كان ملكا[2].

وفي بابل وآشور كانت الضرائب تفرض بأسم الإله باعتبار ان الملك مجرد وكيل عن الآلهة ، وكان الملك البابلي في الاحتفالات يلبس زي الكاهن وكان هذا رمزا إلى اتحـاد الدين والدولـة، أو لعله يرمز أيضاً إلى أصل الملكيـة الكهنوتي، وكان الملوك البابليـون يشعرون بحاجتهم إلى غفران الآلهة[3]، ولكن في حالة الانشقاق وصدام المصالح قد ينقلب ذلك التلاحم إلى صراع وانشقاق كما حدث مع الملك المصري الثائـر اخناتـون بعقيـدة التوحيدية الجديـدة والكهنة وكبـار القـوم الذين قاموا بالتأمـر عليه واتهموه بالكفر والزندقه وبالملك المـارق ويتأهبون للقضاء عليه ، الا ان مات اخناتون عام 1362 ق.م وحيدا منفردا بعد ان اشتعلت الثورات والفوضي وروح الانفصـال في الامبراطوية المصرية وغـزا الحيثيون ولاياته، حيث لم يستطع نجدتهم .

يذكـر مالينوفسكـي **Malinowski** "إن من بـين مصادر الدين كلهـا تبقي الازمة الكـبري النهائيـة الأكـثر أهميـة وهي في الحيـاة - المـوت"[4]، لقـد آمنت اغلب الشعـوب القديمـة بالبعث بعد المـوت وبأشكال متنوعة، فشكلـت الحياة بعد الموت عنصـر مهـم في العصور القديمة، ففـي مصر الفرعونية انشئـت الاهرام ودفنت الاسلحة والموؤن والطعام وكل ما يحتاجة الإنسان للحياة الآخرى حتى رسموا الصور

(1) دل ديورانت - قصة الحضارة- الجزء الثاني—المجلد الأول- مرجع سابق- ص 29

(2) نفسه- ص 30

(3) نفسه- ص 211

(4) Bronislaw Malinowski-op.cit –p29

والرموز الدينية (متون الاهـرام) والتي كانت تغطي جدران غرف الدفن والممرات المؤدية إليها بالنصوص الهيروغليفية، ويلاحظ انه من بعد تم تكرار مضمون متون الاهرامـات بشـكل كبير وكثيـف ومتكـرر في النصوص الجنائزيـة وبصفه خاصة في (متون التوابيت) و (كتاب الموتي) لتعبر وتساعد عن الحياة بعد الموت [1].

بالاضافـة إلى ذلـك تسبق الحيـاة ما بعد المـوت النهائية الحســاب، حيث تتم محاسبــة الميــت في محكمــة الامــوات يرأسهــا أوزيريســ كقاضي القضـــاة، وتبدأ المحاكمــة بوزن قلب الميت حيث يوضع في الكفة اليسري مــن ميزان العدالة وريشة الإلــه ماعت في الكفة الاخري، ويقوم أونوبيس الذي لــه رأس يشبه ابن آوى بعملية الــوزن ويقوم إله الكتابة تحوت بتسجيل نتيجة الحساب، وفي حالة كون القلب أثقل مــن الريشــة فإن هذا يعني وجــود خطايا كثيرة يخبر تحــوت النتيجة إلى لقاضي القضـــاة اوزيريس الــذي يعلنها على القضـــاة الإله الاثنين والاربعــين (نوم Nom) التــي توازي عدد اقاليم مصر العليا والسفلى، ثم يقوم الميت بمخاطبتهم والتعرف عليهم واحد واحدا .

في الأساطير الرافدية كان الخلود للآلهة، ونشاهد رغبة الإنسان وصراعه نحو الخلــود، ففــي ملحمة جلجامش يحدث حــوار بين ســدوري وجلجامش يبرز طبيعة عقيدة الخلود الآلهة فن الادب الرافدي [2]:

إلــى أيــن تـــســعـى يــا كـلـكـامـش
إن الحــيـاة الـتــي تبـغـي لـــن تجد
حينما خلقت الآلهة العظام البشر
قــدرت المـوت علــى الـبـشــريـــة
واســتأثــرت هــى بالحـــــــياة

(1) للمزيد انظر: المعتقدات الدينية لدي الشعوب- علم المعرفة-عدد-173 مشرف التحرير جعفري بارندر-ترجمة د/إمام عبد الفتاح إمام – مراجعة د/ عبد الغفور مكاوي- ص 33

(2) ملحمة كلكامش- طه باقر- شركة دار الوراق المحدودة - لندن - ط 2 - 2009 - ص 160 - 161

اوضح وليم واربوتون في كتاباته بأن كل دين ومجتمع وثني يستند إلى مبدأين[1]:

1 - **فريضة خلود الروح وحياة قادمة فيها مكافاة وعقاب.**

2 - **أسرار وغموض.**

لقد كان المتدين كما يقول يوسف زيدان بحاجة دائمة إلى إدراك الحضور الإلهي الدائم الذي اكدته النبوات والرسالات الكبري، وبعبارة أخرى إن المتدين بحاجة مستمرة إلى الاتصال بالله والتواصل معه وهو ما يتم على نحو عام عبر طقوس ومراسم العبادة"[2]، كذلك تعمل الرموز الدينية كوسيلة اتصال وتواصل تؤكد عمق التجربة الدينية، فالرموز الدينية المنتشرة في قبور الفراعنة المصريين تعبر عن عمق الفكر الديني حول خلود الروح والبعث بعد الموت، فاخترعوا التحنيط وحفظوا الجثة بتوابيت حجرية كبيرة لحفظ الجثة حتى اذ ما قامت تكون على صورتها، فاذا ارادت الروح أن تكون سعيدة يجب أن يكون الجسم سليما، فنقشوا الممارسات الجنائزية والرموز الدينية على قبورهم، فكانت دقة تصوير النماذج والأشكال يعود إلى الرغبة الدينية في محاكاة المقدس وتنشط لتبلغها تأثيرها السحري والذي كان يقوم على مبدأ الأسرار المقدسة ، والتأكيد على أن الإسم المنطوق أو الصورة الرمزية لكائن حي أو الشيء المقدس سوف يستثار بواسطة الكهنة وطقوس الأسرار الفرعونية المقدسة ليخلق الشيء الاصلي، والتي من خلالها يستطيع الفرعون ان يتقمص تلك الصورة لتأمين انتصار الفرعون على الموت .

اهتم الفراعنة في بناء قبور ملوكهم وعظمتها كتعبير عن القوة السياسية والدينية، وذلك برغم استنزافها للموارد الاقتصادية والبشرية، فأقاموا الأهرامات التي تعتبر (قبور ملكية) مرتبطة بالديانة الشمسية والإله الأعلى لديهم (رع Ra) وإظهار عظمتها باعتبارها ابنية من صنع الآلهة، والمصطلح هرم مشتق من

(1) **يان اسمان** Jan Assmann – **مرجع سابق- ص222**

(2) **يوسف زيدان – مرجع سابق - ص 179-178**

الاســم اليوناني **Pyramis** أما الكلمة المصرية للهــرم **Mer** فربما تعني كما يقول جون هينليـس **John R.Hinnells** (مــكان الصعــود)[1]، ولقد كان كل هــرم مرتبط بمجمع مــن المباني ومنها المعبــد الدفني الذي كانت تقام به جميع الشعائر الدفنية للملك، فتلــك العناصر البنائيــة كما يقول الأستاذ محمــود أمهز: " لهــا دلالاتها الرمزية والوظيفيــة، حيــث يعبر كل منها مرحلــة معينة من مراحل مســيرة الحفل الرتيبة نحــو قداس الاقداســ أو السر النهائــي " [2]، ويبين وليام ريتشــارد ليثابي **William R.Lethaby** بــأن قبور الفراعنة وممراتها الأرضية الضيقة التي تقودك بانحدار إلى اسفل الأرض، في مقابل نقوشة التي تحذر من ولوجها وتطالبه بالتخلي عن كل أمل في عــالم الظلمات، كل ذلك كان تجسيد واستنساخا علــى مقياس مصغر لصفات العالم السفلي والعالم الاخر[3].

بــدء بنــاء الهــرم بشــكل متــدرج في الصعود بشــكل مثلــث (هــرم إمحوتب أو سقــارة)[4]، ثم تطور الهرم ليصبح على هيئة المنحــدر للتسهيل على الملك المتوفي الصعــود إلى السمــاء [5]، لقــد ناقشت رمزية الصعــود التي كانــت تعبير تواصل الدنيــوي بالعالم الاخر المقدس، فصعود الهرم تعبير لصعود الروح نحو قمة الهرم الذي اعتبر مكان المقدس، كما ان المعبد المصري ترتفع ارضه تدريجيا نحو الجزء الاخــير منه، بينما ينخفضــ سقفه تدريجيا أيضا، وفي الإتجــاة نفسه، يرافق هذا التحــول المتدرج من طرف لآخــر تبدل في كثافة الضوء: ساطع عند البهو الأمامي، خافــت في الوسط ، غائب في القمة حيث الغرفة الصغيرة الممثلة لقداس الاقداس،

....

(1) جون.ر.هينليس John R.Hinnells **- مرجع سابق - ص 570**

(2) محمود أمهز- مرجع سابق - ص 170

(3) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby**- مرجع سابق-ص 156**

(4) امحوتب : وزير الملك زوسر (الاسرة الثالثة سنة 2800 ق.م تقريبا) والاذي أول من قام ببناء مخطط حجري ضخري مدرج في سقارة (Djoser›s step**)، وكان حكيما واعتبر في العصور الاخير (سنة 600 ق.م) كإله للشفاء والطب.**

(5) جون.ر.هينليس John R.Hinnells **- مرجع سابق-ص 570**

حيث يتم الانتقال من الدنيوي إلى المقدسي[1]، فشكلت القمة في الأديان القديمة نقطة مفصلية ومركزية في التقاء الإلهي المقدس والعالم الدنيوي[2].

أما أبو الهول فتختلف وتتنوع دلالاته كرمز جنائزي أو صورة مرعبة أو صورة مضادة شافية علاجية أو رمز للذه احيانا أو لغز بالاضافة كل ذلك طبعا رمز للفرعون المصري، فأبو الهول في رأس الفرعون وجسم أسد يجمع بين قوة الأسد وعقل وحكمة الإنسان وهو رمز للقوة الملكية ويمكن اعتباره كما يقول "فيليب سيرنج" كأحد أشكال إله الشمس[3]، كما يعتبر أبوالهول في ظروف أخرى حارس المعابد قبور الفراعنة، وبالتالي فأبو الهول يرمز إلى قوة الشمس والفرعون ومن الواضح بأن ابو الهول النموذج الابرز لتطور فكرة الملوك المؤلهة في مصر.

كانت الاهرامات تعبيرا ماديا واضحا لمدى قداسية نظام الحكم الملكي في مصر القديمة[4]، إن فكرة تأليه الإنسان فكرة قديمة، فلقد اتخذت الشعوب القديمة الإنسان إلها فالملك السومري سرجون الأول أسس أول إمبراطورية عرفها التاريخ وظل يحكمها خمسا وخمسين سنة، وتجمعت حوله الأساطير فهيأت عقول الاجيال التالية لأن تجعل منه إلها[5]، وكذلك الحال مع الملك السومري جوديا والوزير امحوتب التي اتخذ الها بعد موته. كما نجد فرعون مصر وجدالة مع موسى وشعبه حيث يصف نفسه كما جاء في القرآن الكريم ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[6]، ففي مصر كانت تتطلب التقاليد المقدسة من كل ملك مصري ان يكون ابن الإله العظيم آمون، لذلك نرى حتشبسوت تعد العده لان تكون ذكرا وأن تكون مقدسة

(1) محمود أمهز-في تاريخ الشرق الأدنى القديم-دار النهضة العربية-بيروت-ط-2011-2ص 327

(2) اعتبرت قمة معبد البوذي بورابودور Borobudur رمز للخلود(النرفانا) ومكان تواجد البوذى،

(3) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 235

(4) عمار علي حسن -التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر- - دار العين للنشر- القاهرة -2009ص 112

(5) دل ديورانت - قصة الحضارة- الجزء الثاني— المجلد الأول- مرجع سابق - ص 19

(6) سورة النازعات : 24

لتتـولي الحكم، فاخترعت لنفسها سيرة نصـت على أن آمون نزل على أحمسى أم حتشبسوت في فيض من الطهر والنور فاحسنت هذه استقباله، ولما خرج من عندها أعلن أن أحمسى ستلد ابنه تشع على الأرض كل ما يتصف به الإله من قوة وبسالة، فكانـت تسمي ابن الشمس وسيد القطرين وحين تظهـر على قومها تظهر بملابس الرجال وتلتحي لحيه مستعارة[1].

لقد كان الملك وبمزارة الكهنة يدعي الإلوهية وبأنه من سلالة الآلهة التي منحته الحكـم والحكمـة، لذلـك كان هذا الادعـاء مصدر للقـوة والنفـوذ والهيبة ، ومن المرجح أن تأليه الإنسان كان بعد فترة ومدة طويلة من عبادة الإله المتعالي وخاصة مـع ظهـور المدن والبدء في بنـاء الحضارة مع تعزيـز سلطة الملك ، ولعـل من أبرز الأفـكار حـول تأليه البشر واسبابهـا والتي يؤيدها كثير مـن الباحثين والتي يبينها الأستـاذ أحمد زكـي باشا حيث تستند تلك الفكرة القائلة: بـأن هولاء البشر كانوا ملـوك وحكماء ومشرعين ومنقذين وذو مكانة مميزة في أواسط المجتمع ومع مرور الوقـت والأجيال ألهوا بعد ذلك من قبل الأجيـال التالية بفضل أعمالهم وحكمتهم ومكانتهم في المجتمع[2] .

يبين الأستاذ خزعل الماجدي بأن كلمة (فرعون) تصحيف عبري للكلمة المصرية القديمة (فير -أ) أو (بير -أ Per -A) والتي تعني البيت العظيم ، بحيث كان هذا الإسـم تعزيز لشمولية وكونيـة وعالمية الفرعون حيث أن هـذا التفسير كما يوضح الأستـاذ الماجدي معززا لفكرة الألوهية التي ارتبطت بالفرعون[3]، يؤكد ميريشيا إليـاد بأن تطور الفكر الديني حول آلوهية الفرعـون كانت لقولبة البنية الحضارية المصريـة، فـكان توحيد البـلاد الذي حدث بوتـيرة تدريجية وبنـاء الامبراطورية

(1) دل ديورانت -قصة الحضارة - الجزء الثاني—المجلد الأول- مرجع سابق - ص 77

(2) ابن الكلبي، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي-كتاب الأصنام- تحقيق /الاستاذ أحمد زكي باشا —مطبعة دار الكتاب المصرية - القاهرة 1995 - ص 51 - 52

(3) خزعل الماجدي-ميثولوجيا الخلود-الاهلية للنشر والتوزيع ،الاردن-ط-2002-1ص 36-35

الفرعونيـــة، أخيراً على يد (مينا) وبناه عاصمتــه (ممفيس) كان نقطة الانطلاق لتمجيـد وتخليد الفراعنة كإله مخلد، حيث تشـكل الوهية الفرعون الضمانة المثلي والتي سوف تنتج عنها استقرار واستمرار النظام الكوني والاجتماعي[1] .

لقـد كان العصر الذهبي الفرعـوني الذي يبدأ من توحيد مصـر العليا ومصر السفلـي في عرشـ واحد كان الإلــه رع كملك والإله الأوحد للعصــر الذهبي، وظهر لأول مــرة عصر حكمـت مصر الموحدة خلالــه اسرات وســلالات ترتبط ببعضها البعضـ بصلــة الدم كما كان عصـــر الاسرات الفرعونيــة الأولى بداية لعصر بناء الاهرامــات[2]، ولكن منــذ الامبراطوريــة الوسطــي(1730 - 2040 ق.م) تقريبا وبــروز ازمــات الامبراطوريــة (الثورة الاجتماعيــة الأولى)[3] ، تحــول هذا الدور القيادي فنرى أن من نتائج تلك الثورة أن الملك لم يعد الملك الإله سليل الآلهة الذي تكــرم فأقــام على ارض مصر، بــل أصبح الملوك عرضه للنقد، فتــم بذلك التقليل مــن قدسية الفرعــون، فأصبح إنسانا أكـثر منه إله [4]، وفي عصــر الإمبراطورية الفرعونيـــة الحـ
ودمــج الآلهة من العمليــات المألوفة للفكــر الديني المصري منــذ العصور القديمة جداً[5] .

خلاصــة القول بــأن المعبد اقتبست الأفـكار والأساطير حول الكــون والإله ليتم تطبيقهــا في بناءهــا وتصميمهــا، لقد رأينا كيــف تتشكل الرمزيــة لتصبح حقيقة مطلقــة، حتى اضحت كما يقول ميرشيا إليــاد: "المدن والمعابد والمنازل (حقيقية)

....

(1) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية - جزء الأول- مرجع سابق - ص 114

(2) أحمد أمين سليم - في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مصر .سورية القديمة -مرجع سابق - ص 23

(3) الثورة الاجتماعية الأولى: حدثت ابتداء من الأسرة الفرعونية السابعة وحتي العاشرة ،ويطلق عليه احيانا بعصر الانتقال الأول أو الاضمحلال نظرا للفوضي والاضطرابات التي حدثت به.

(4) أحمد أمين سليم - في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مصر .سورية القديمة -مرجع سابق -ص 95

(5) ميرسيا إلياد- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- جزء الأول - مرجع سابقص 138

في مركـز العالم"[1]، ويحدد وليام ريتشارد ليثابـي William R.Lethaby استنادا الي ستوكلـي W.Stukeley وغـيره بعض الملامح الاساسية في بنــاء المعابد أو أماكن التعبد الديني[2] :

1. إرساء قواعد البناء وفقا لاقطار السموات الاربعة.

2. العالم كمعبد كبير أو بيت الله.

3. للشـرق دوما موقع الامتياز عند تصميم العابد أو أماكن التعبد الديني.

(1) ميرسيا إلياد-العود الابدي-مرجع سابق- ص20

(2) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق- ص65

الفصل الثالث

بعض الأشكال الدينية ورمزيتها

كانـت للآلهة دائما تماثيلهـا وزيناتها ورموزه النقشيـة وعمارتها الروحية التي كان يصـرف عليها بسخـاء، وتكتسب الهيبة والاحترام بـين اواسط المجتمع كرمز للإله والمقدس، ومع تزايد تلك الآلهة تكاثرت وتنوعت الأشكال الرمزية لتلك الآلهة والتي بدأت تبرز باشكال وتحولات ودلالات ومعاني عدة، فأي عقيدة دينية يستوجب بالضرورة عليها أن تكـون لديها مجموعة من التمثيل والمواقف والمفاهيم الأساسي تؤسـس لها رؤيتهـا الدينية من عبادات وشعائر ورمـوز وغيرها ، ولكن برغم ذلك التنـوع كما يقـول دوركايم **E.Durkheim** بأنها تخضع لنفس المغزى والهدف من حيث تحقيـق نفس الوظائف في كل مكان[1]، فاعتقـد الناس بوجود ترابط لا فصام فيه بين الآلهة والبشر والحيوانات والطبيعة وانها جميعا خاضعة لنفس القوانين ومكونه من مادة إلهية واحدة[2]..

لقـد أدى شعور الإنسان الغريزي بالخوف مـن المجهول إلى احترامه لكل القوى التـي تؤثـر في حياتـه دون أن يتعـرف كنهها[3]، فعبـدت المكونـات والعناصر التي تمثـل وتكـون العالم الطبيعي، بجميـع أشكالها وتجلياته ومعانيـه ، ويفسر ميرشيا إليـاد ذلك بقوله" إن الطبيعة مثقله دائماً بقيمة دينية وتفسير هذا؛ لأن الكون هو إبداع إلهي"[4]، وتدريجياً مع تطـور التاريخي السياسي والاجتماعي والاقتصادي

(1) E.DURKHEIM-op.cit -P17

(2) كارين امسترونغ Karen Armstrong -مرجع سابق - ص 11

(3) أحمد أمين سليم - دراسـات في حضـارات الشـرق الادنى القديم ،مصر-العراق ايران – مرجع سابق- ص 101

(4) مرسيا إلياد - المقدس والمدنس- -مرجع سابق- ص.89

والدينـي[1]، بالإضافة إلى أن الطبيعة والحيـاة بالنسبة للإنسان بحر من الرموز والمعـاني والايحاءات، تكاثرت الآلهة فـبرزت الرموز الدينية ذات المعاني التي تعبر عـن المعتقد واساطيره وتبرز التطور التاريخي للديـن، فالسومريين في عصر فاره FARA حـوالي 2500 ق.م وجدت مئات الأسماء المقدسة وصنفوا كل منها على أنها إلـه[2]، وفسر هنري فرانكفورت Henry Frankfurt تعدد الآلهة في المجتمعات القديمة بطريقة ايجابية تتضمن (الاستمتاع بتعدد السبل) ، ولكن تاريخيا كما يقول جعفري بارنـدر "كان هـذا المزج لهذا المجمـع الإلهي الهائل، هو الرغبة بين عدد كبير من العبادات والتقاليد المحلية المأثورة"[3].

فاتخذت الآلهـة الأشكال الرمزية الآدمية والحيوانية والطبيعية التي عبرت عن المقدس، ومنذ القدم حاول الإنسان تجسيـد الإله بكل تجلياته والرغبة في حضوره الدائـم، فكما يقـول الاب سهيل قاشا : "عبـد سكان بلاد الرافديـن قوى الطبيعة مؤنسنـة في آلهة عديدة كل قـوة تمثل إحدى الارادات السماويـة التي كانوا يرونها ضروريـة لبقائهم وبقاء قطعانهم وزرعهم وتربيتهم ومياههم، ولكي يشعر الإنسان بوجـود دائم لتلك القوى أوجد الصور المقدسة والمعابد والطقوس والدراما الدينية ومثلوا الآلهة بصورة مركبة خيالية ثم أعطوها اشكالا بشرية"[4].

بينما يوضح يوسف شلحـت الأسباب الكامنة وراء اتخذ الآلهة الأشكال الآدمية والحيوانيـة إلى تطـور الإنسـاني وادراكه بـأن الآدمـي والحيوان في نفـس المرتبة لتـدل على مشاركة الآلهة الإنسان والحيـوان في قوتها[5]، إن اتخذ الآلهة للأشكال الرمزيـة تحمل بصمات العامـل البيئي والجغرافي والسـكاني، حيث شكلت البيئة

(1) مصر الفرعونية لم تبطل عبادة الهة الإقاليم المهزومة بل كانت الآلهة تضم الي معبود القائد المنتصر مما ادى الي وجود تداخل كبير في الديانة المصرية القديمة.

(2) للمزيد انظر: جعفري بارندر – مرجع سابق ص 13

(3) نفسه - ص 35

(4) سهيل قاشا – مرجع سابق - ص 248

(5) يوسف شلحت – مرجع سابق- ص 162-161

دور كبـير ومؤثـرا في الفكر الديني، فمـن خلال البيئة استمـدت المعاني والأشكال الرمزيـة والطقوس في حضارات الشعـوب القديمة، فكما يقول ميريشيا إلياد " إن كل الرمـوز والطقوس التي تتعلق بالمعابد والمدن والمنازل تشتق في اخر المطاف من التجربة البيئية للحيز المقدس"[1].

ففي بلاد الشرق الأدنى القديم كان لتلك العوامل بالغ الأهمية في تشكل الديني والإلهة واشكاله الرمزية فكان لكل مدينة في البداية الإله الخاص بها، ظهرت آلهه أخـرى بجوار الآلهة الاقدم، واندمجت الأشـكال الرمزية المحلية مع الآلهة القومية لتعبر عـن الوحدة القومية لشعوبها، فكانت البيئة العنوان الأصيل التي تستمد منه الشعـوب القديمة أشكالها ورموزها الدينيـة وانفردها وتميزها الديني، فنجد بأن الكتابـة الهيروغليفية المصريـة في مرحلتها التصويرية عبرت عـن اصالتها حيث عبرت عن مظاهر البيئة المصرية الصميمة[2].

تعـددت الرمـوز الدينية من ناحيـة أشكالها ورمزيتها حيـث تأثرت بشكل كبير في المعتقـدات الدينية لتلك الشعوب القديمة، ومحاولة إبرز المعاني الخفية واصالة المعتقـد الدينـي ورمـوزه وإبـراز عظمه وقـوة وتوحيد المجـال، ومحـاكاة الطبيعة بأصباغهـا صبغة دينية مميزه عن أي من الأشكال الطبيعية، بحيث يكون لها أصل في الأرضـ وفي السماء، فكانت الرموز الدينية في العصور القديمة تعبر عن الحياة بـكل تجلياتها، فـإذا قدر للإنســان أن يعبر عنه بصـورة مادية أصبـح رمز للإله وصفاتـه ، فاحتلت فكـرة الحياة بعد الموت والخلود وأساطـير الخلق والكون مكانة عظيمـة ونقطة مركزية في الأساطير القديمة، كما عـبرت عبادة الاوثان والطبيعة مـن محاولات الإنســان لسيطرة والتغلب على هواجسه وخوفـه والرغبة في الرضى النفسـي في إشفاء رغباتـه ونزواته ومشاعره في مقابل عجـزه أمام مظاهر الكون المختلفة والمصائب التي تصيبه.

(1) مرسيا إلياد - المقدس والمدنس - مرجع سابق - ص.50.

(2) أحمد أمين سليم - في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مصر .سورية القديمة — مرجع سابق- ص 43

فـى مصر الفرعونية شـكل الشمس والنيل وعقيدة الحيـاة بعد الموت والخلود نقطـة اساسية في المعتقد المصري، وتمخض عن اعتبارهم بقداسة الشمس والنيل والفرعـون بـأن تكون الآلهة المصريـة تدور في فلكهما، وفي بـلاد فارس كان صعود الزرادشية في المشهد الديني ابرز (اهورا مزدا) ككبير الآلهة ووحد المجال سياسيا ودينيا، وأما في بلاد الرافدين برزت فكرة خلود الآلهة ومعأناة الإنسان للبحث عنها والحياة بعد الموت ومحاولة توحيد المجال مما ابرز تعدد مجمع الآلهة، فآشور الإله الوطنـي وصار اعلي مـن كل الإله واعطي اسمه إلى العاصمة اشور[1] ، وأما عبادة مـردوخ (مـردوك) فانها كمـا يقول الاب سهيل قاشـا بإنها كانت قضيـة سياسية تخصـ الدولة قبل الشعب، لذا بقي حمورابي ورعيتـه يعبدون آنو وإنليل وآيا وسين والشمس وعشتار وأكثر من من الف إله غيرهم[2].

تقـارب عقيدة الاشوريين مع البابليين، الا أن الديـن قد تأثر عند الاشوريين في بلاد الرافدين بالإله الوطني آشور الذي نظم البلاد والعاصمة والذي حل تدريجيا مكان الإله البابلي مردوخ[3]، فنجد بأن الإنسان السومري اضفي الصفات الإنسانية البحتـه علـى آلهته حيـث كان يهدف من وراء ذلـك لتقريب الصـورة الإلهية من وجهـة النظر الإنسانية حتى يستطيع الإنسـان العادي الاعتقاد بها دون صعوبة[4]، لقـد جسد الإنسان الكائنـات الغير بشرية الفوقية وصفـت وجسدت بصفة بشرية كالرجـال والنسـاء ، يأكل ويشرب وتنجـب ولكنها على خلاف البشـر خالدة، كما ساعـدت الأساطـير والمعتقدات في تدعيم صـورة الآلهة الشبيـة بالبشر في اذهان الناس[5].

....

(1) سهيل قاشا - مرجع سابق - ص 10

(2) نفسه - ص 49-48

(3) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق- ص 79

(4) أحمد أمين سليم ، دراسـات في حضـارات الشـرق الأدنى القديـم ، مصر- العراق ايـران ، – مرجع سابق - ص 261

(5) انظر جعفري بارندر – مرجع سابق- ص 12 ، وكذلك انظر ص 54

لقد تعددت الأشكال الرمزية في حضارات الشرق الأدنى القديم، وتزاحمت بين أشـكال حيوانية ونباتية وخرافية وكائنات أخرى تعبر عن اندمج الحيواني بالآدمي بالاضافـة إلى رمزيات اخري، ويصف بيروسوسـ اللوحات في معبد بيلوي في بابل بكونها فوضوية أكثر منها كونية وبأن الأشكال الغريبة المركبة من حيوانات متوحشة ذات أشـكال غريبة والاتحاد الحيواني والأدمي وبطريقة غريبة مختلطة بالأسماك والثـيران والكلاب والزواحف والوحوش وغيرهــا ومتعددة القوائم والأجزاء فيقول " لم تكن تلك الأشكال المركبة عملا من نزق الفنان، بل وضعها على أسس نظرية كونيــة، تشكل من خلها تجسيدا مرنا وتصويرا تجسيديا "[1]، وعموما لا يمكننا أن ندرس جميع الأشكال الرمزية في كتاب واحد، لذلك سوف نقوم يالقاء الضوء على بعض أشكال الحياة المادية التي اكسبها الإنسان معاني ودلالات رمزية دينية، والتي تـبرز علاقة الصورة بالتصــور وبكون الإنسان كائن رمزي غائــر في القدم، لذلك ســوف نحاول أن نوضح أبــرز الأشكال الرمزية ودلالاتها، بــأن نقسمها على النحو التالي:

1. رمزيات حيوانية:

- i - الحيوانات الداجنة
- ii - الحيوانات العليا
- iii - الحيوانات الزاحفة
- iv - الحيوانات المجنحة (طيور)
- v - الحيوانات المائية والبرمائية
- vi - الحيوانات لافقارية (حشرات)

....

(1) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق - ص 40

2. **رمزيات نباتية**

3. **رمزيات الألوان والمعادن**

4. **رمزيات أخرى**

1. رمزيات حيوانية :

I - رموز الحيوانات الداجنة Domestic Animals:

1 - البقريات[1] :

شكل الثور أحد الرمــوز الدينية كثافة في حضارات العالم القديم، منذ العصور الحجرية الحديثة (النيوليتي) كما في سورية وجنوب الأناضول، غالباً ما كان الثور في الفن القديم رمز القوة والقدرة وذلك منذ عصر ما قبل التاريخ ، وقد كان ابيس APIS منــذ عهد الأســرة الملكية المصريــة الأولى الإله الزراعي رمــز التوالد والقوة والمخصبــة وكان موضوعــا للعبادة وكان كهنتــه في ممفيس في ظــل الإمبراطورية القديمــة يبحثون في البرية عن الثور حامل العلامات الألهية[2]، واعتبر الثور رمز للفرعــون، فصــورة الثور يصارع أعداءه فهــي تمثيل لقوة وانتصــار الفرعون ضد أعدائه.

كان الثــور رمز للخصوبة ففي الشــرق الأدنى كان الإله نفسه المرموز إليه بالثور في بلــدان السهول هو التيس في البلدان الجبلية والوعل في مناطق الغابات [3]، لقد كان الثور رمز للخصوبة في تحولات عده كالإله أو القربان جالب الخصوبة والنفع، وغالبا ما مثل الثور أو العجل مرسوما أو منحوتا في التصوير الايقوني المسيحي.

....

(1) يقصد به : الثور- البقر- العجل

(2) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 49

(3) نفسه- ص50

يعتبر الثور والأسد من الرموز الشمسية الأكثر انتشار في حضارات الشرق الأدنى القديم، ويعتبر ذو صفات مشابة للأسد، حيث اعتبرا رمزا الآلهة العليا الحارسة، كما أن صراع الأسد والثور فيرمز إلى صراع الابراج الكونية مرمزة لها بالحيوانات، أو ربما الانتصار على الامراض وصراع الخير والشر، وكذا الاله متيرا الفارسي نراه يذبح الثور في الكهف، والتي تعتبر انتصار النور على الظلمات والخير على الشر، ولكن بشكل عام يمثل ذلك الصراع صراع التضاد والقوة بين طرفين، كما وجدت معركة بين الأسد والثور وكان غالبا ما ينتصر الأسد حيث يتكرر في العديد من النقوش البديعة لقصر (الاخمينيين) في بيرسيبوليس[1]، ويعتبر الثور والبقر والعجل رمز التضحية الأعلى في الشرق الأدنى القديم[2]، وغالبا ما كان الثور في الفن القديم رمز القوة والقدرة وذلك منذ عصر ما قبل التاريخ.

عبر الثور في كثير من الحضارات الشرق الأدنى القديم برمزية الشمس ، فالحيثيون حكموا في الالفية الثانية ق.م فكانت الشمس ملكت السماء والأرض وهي الراعية الأولى للدولة وملك الملوك رب الصلاح والعدل وكان إله الطقس الزوج الرسمي للآلهة الشمس الذي صور في العديد من المدن في صورة ثور، كما كان المعبد بيت الاله[3]، وفي الحضارة الفرعونية كان البقر في الفن الفرعوني المصري تتسم بالغزارة فهنالك حاتور أو هاتور **Hathor** الربة الحامية للفرعون أو مرضعتة التي تعطيه اللبن الإلهي المقدس ليصبح سليل الآلهة، كما أن الثور (ابيس) يمثل احدي تجليات الإله الشمس (رع) لديهم.

ومثل الإله القمر (ود) عند المعينيين وهو الإله الرئيس عندهم برمزية الثور، ولعل ذلك بسبب قرنية اللذان يشبهان الهلال، لذلك عد الثور من الحيوانات

---

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 51

(2) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ البقرة : 67

(3) جون.ر.هينليس John R.Hinnells - مرجع سابق- ص 315-314

المقدســة التــي ترمز الآلهة، وقد دعــي القمر (ود) في بعضـ النصوص ثورا ونجد صــورة رأس الثورة محفــورة أو مرسومــة في النصوص الجاهليــة معبرة عن الاله القمــر[1]، فيذكر الأستــاذ خزعل الخالدي نقــلا عن كتاب آرثــر كورتل (قاموس اساطـير العالم) بأن المعني الحــرفي لمردوخ هو عجل الشمس – ابن إيا، ويظهر أن مــردوخ كان إلهــا للسحر والتعويذ ومنــذ البدء يجسد برأســين يرمز إلى أحدهما كبعل أو السيد المعرف بإنليل Enlil الإله السومري القديم، الذي يرمز للقوة.[2]

لقــد مثــل التــاج المقــرن (ذو القــرون) رمزيــة الآلهــة في التصويــر النحتية والتصويريــة الا إن الملــك الاكادي نرام سين قام في استخدامه بالاضافة إلى تلقبة بلقب ملك الجهات الاربعة ووضع رمز النجمة المسماري بجانب اسمه وذلك الرمز كان عــادة ما يسبق اسماء الآلهة وبداية تأليه الملوك الذي اتبعه من بعده واتخذهم معابــد تكرس لعبادتهم[3]، والنجــم رمز تعبر عن الإله في حضارة بلاد الرافدين، فوجــد الهلال والنجمة التي كانت رمز لعشتار في بلاد الرافدين، ولقد صور قدماء المصرين الشمس اعظم الإله لديهم والملقب رع Ra احيانا بصورة عجل مقدس يولد مــرة في فجــر كل يوم ويمخر عباب السماء في قارب سمــاوي ثم ينحدر إلى الغرب في كل مســاء واحيانــا اخر يصــور بشكل باشق يطير في عظمــة وكبرياء في السماء ويشرف من أعلي السماء على الكون، حتى أصبح فيما بعد رمزا متواترا من الرموز الدينية والملكية[4].

يعتــبر الثــور من الرموز الحامية التــي تشابة رمزية الأســد والعنقاء أو النسر، فالثــور المجنح رمز آشور والماثل في اور منذ الالف الثالث ق.م، كان يرمز إلى القوة والحكمــة والشجاعة والسمو، وقد اشتهرت الحضــارة الآشورية بالثيران المجنحة،

(1) جواد علي- مرجع سابق- ص 12

(2) خزعل الماجدي - ميثولوجيا الخلود – مرجع سابق- ص49

(3) محمود أمهز- مرجع سابق- ص 183-170

(4) دل ديورانت- قصة الحضارة- - الجزء الثاني- المجلد الأول -ص 157-156

ولا سيمـا مملكـة آشـور وقصور ملوكهـا في مدينة نينـوى وآشـور في شمال ما بين النهريـن والذي غدا رمزا مـن رموز هذه الحضارة التي كانـت تعتمد القوة كمبدأ في سياستهـا وانتشارها، فكانت تلـك الثيران تعتبر رموز تشخيصية للجبال قواعد العالم، وكانت فيما سلف تعتبر في الحضارات القديمة في الشرق كالجاني الحارس للأبـواب والقصـور وغرضها إرهاب الأعـداء كدعامة للبنـاء[1]، لقد كانت تلك الثـيران الضخمة ذات الرؤوسـ الآدمية نسخ طبق الاصل لبوابـة القصر كحراس لبوابات الشمس عند الشروق والغروب [2]، وكانت يبتغي منها رمزية سحرية حامية للمدينة التي اعتبرت مقدسة في بابل واشور.

والبقـر في كثير مـن الحضارات القديمة توازي رمزيـة الأرض – الأم وقرونها تأخذ رمزية القمر وحلبها رمز الاخصاب والحياة والمطر[3]، والبقر من الحيوانات المقدسة في الديانة الهندوسية ، كما يعتبر الثور في الديانة البوذية رمز للحكمة .

2 - **الاغنام :**

اعتبرت الاغنـام منذ القدم إحدى أهم رؤوس الأمـوال لدى البشر، كما شكلت إحـدى أهـم الرموز الدينيـة، وفي الأديان السماويـة كانت الكبش فـداء السماوي لسيدنـا إبراهيم عليه السلام لابنه ﴿وَفَدَيْنَـاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[4]، لقد وجد الكبش في الرسوم الفرعونية ففي الكرنك من مصر العليا اعتبر الكبش رمز (آمون – رع) الإله الشمسي الكبير في الإمبراطورية الفرعونية الجديدة، كما كان في طيبة مصر رمـز الإله خنوم **khnum** الإله الخـزاف الذي يضع على دولابة جسد الإنسان المتولد

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 227

(2) وليام ريتشارد ليثابي-ص 174

(3) Miranda Bruce - op.cit -P54

(4) سورة الصافات : 107

حديثاً من وحل النيل كما توضح ذلك نصوص سفري الجامعة والأمثال[1]، فخنوم هو الإله الفرعوني المكلف بخلق الإنسان لديهم.

لقـد قدس الفراعنة اغلب أشكال الحيـاة الطبيعية في مصر الفرعونية، فكانت الحيوانـات من أهم الرموز الدينية للآلهة، فـكان المصرين يقدسون المعز والعجل والوعـل ويعدونهما رمز القدرة الجنسيـة الخارقة[2]، وغالبا ما شكلت الاغنام في حضـارات القديمـة رمزيـة للخصب والحياة، ففـي الشرق الأدنـى كان التيس في البلـدان الجبليـة والوعل في مناطـق الغابات يقابـل رمزية الثـور[3] ، أما في بلاد الرافديـن فقـد شكل الكبش والجـدي والخروف رمزيـة الإله إيا(انكـي) ، فعلى امتداد الحضارة العراقية يقول الأستاذ الماجدي بأنه" كان الإله ايا (إنكي) امتداد للأشكال الحيوانية الأليفة كالخروف والسمكة والسلحفاة، حيث تشير تلك الرموز إلى الآلفة والخير والعطاء والخصب"[4].

كمـا يرتبط الكبش والوعـل برمزية الإلـه إنانا Inana (عشتـار) رمز الخصب والحـب والحرب ، أمـا صورة المختلف عليهـا حول شخصية المـرأة التي تقف فوق اللبـوة وبجانبهـا البـوم هل تعود إلى إنانـا Inana (عشتار) رمـز الخصب والحب والحـرب أو أرشكيجال رمز الظلمات والموت والجذب، فأنا في اعتقادى انها إحدى الرمـوز الكثيرة المنتشـره لعشتار في الـتراث الرافدي، وبأنها ترجـع إلى أسطورة التضحيـة العشتارية وصراعها في عالم الظلمات ضد اختها الجانب المظلم المضاد (أرشكيجـال)، حيـث نزول (إنانـا أو عشتار) للعـالم السفلي وملكتـه أرشكيجال (أخت إنانا) لانقاذ حبيبها (تموز أو دموزي)، وتموز هو شهر الربيع وبرجه الحمل رمز الفحولة .

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 67

(2) دل ديورانت -قصة الحضارة- - الجزء الثاني- المجلد الأول – مرجع سابق - ص 159

(3) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص50

(4) خزعل الخالدي - ميثولوجيا الخلود- مرجع سابق - ص 51

لذلـك فصــورة المرأة المجنحة والتي تقف على الحمل أغلب الظن إنها تعود إلى (إنانــا) بالإضافــة إلى أن تصوير إنانا باللبوة هو الرمــز الأنثوي للقوة رمز (إنانا -عشتــار)، وتعتبر في رمزيات وحضارات عدة رمــز أنثوي للإله القمر والآلهه الأم كمــا الحال في مصر الفرعونية والربه الفرعونية (سخمت Sekhme) الربة المحاربة حامية الفرعون، والتي تأخــذ رمزية اللبوة أيضاً، ويوضح فيليب سيرنج بأن الأسد رمز عشتار حتى ولو كانت مستلقية عليه كمظهر لعظمتها وقدرتها[1].

3 - القطط :

في المــوروث الشعبــي تكتســب القطــه الســوداء بعيونها الحــادة رمزيــة الشؤم والارتبــاط بالسحر والعالم السفلــي ومخلوقاته، ومازالت القطــط تكتسي معاني رمزية (فالقطط ذات سبعة ارواح)، والقطة من الحيوانات الأليفة التى استأنسها الإنســان منذ القدم، ومن جانب آخر كانت من الكائنــات التي تساعده في محاربة الفئــران الضارة ، لذلك نرى بأن البشرية اضفت القداسة على الطبيعة التي تقدم خدمــات لها ومنهــا، القطط في مصــر القديمة لأنهــا كانت تقدم خدمــات جليله بكفاحهــا ضد الفئران إحدى مصائب مصر حيث جري تقديرها إلى درجة تحريم معاملتهــا بشكل سيء وتحريم تصديرهــا للخارج نظرا لما اضفي عليه من احترام ثم عبد فيما بعد[2] ، فكان القط هو الحيوان المقدس الإله (باستت Bastet) والذي اعتبر احيانا كرمز الإله القمر الفرعونية[3].

كمــا أن القطــه غالباً ما تحاكي في مصــر الفرعونية برمزية الإلــه الأنثى التي تحاكــي وترتبــط بالربة سخمــت Sekhmet ربة الحــرب التي تدمر أعــداء الفرعون

(1) فيليب سيرنج - مرجع سابق - ص87
(2) نفسه - ص 73

(3) Miranda Bruce – op.cit -p.19

وأعدائها بالنار، وكلاهما يرتبطان برمزية الآلهه الأم.

4 - الكلب :

الكلب عبر تاريخه اعتبر الحيوان الصديق الوفي للإنسان وفي الابراج السماوية الصينية كذلك رمز العاطفة والوفاء والاخلاص، كما اعتبر رمز الإله (انوبيس Anubis) رب التحنيط والجبانة إله الموتى وحامي ارواحهم حتى يوصلها إلى العالم الاخر، ففي عملية التحنيط أو تشميس الميت يكون الكلب رمز لتحنيط الميت في سرير الأسد الجنائزي، والأسد رمز شمسي وبالتالي فإن التحنيط يكون ذو صفة ومباركة للرب رع – امون، وبمعونة ومباركة رب التحنيط.

5 - البط والأوز :

نراها في الآثار الفرعونية مرتبطة بالإله الفرعوني ازيس Isis إله الموت، وربما كانت تعتبر قربان جنائزي للموتي، ويمثل البط الروح الشريرة فيها، وإذا قتل الفرعون بطه في المستنقعات فانه عمل سحريا يتخذ رمزية مزدوجة، حيث ينتصر الفرعون على القوى الشريرة ويستبعد تهديدات أعداء الامبراطورية[1] ، وكذلك ينتصر على الموت .

أما الإوز فأنها اعتبرت إحدى الرموز الخاصة بالإله الفرعوني (جيب Geb) إله الأرض، ويعتبر الأوز حيوان ذو رمزية شمسية تتبع الإله (آمون) في الحضارة المصرية، وبالتالي يدخل ضمن نطاق الآلهة العليا لمصر الفرعونية، لذلك فوجود ريشتين كبيرتين من اوزة على جرن إله مصر يتيح المضاهاة بآمون[2].

(1) فيليب سيرنج –مرجع سابق - ص 186

(2) نفسه - ص 187

II- رموز الحيوانات العليا Higher Animals:

1 - الأسد :

الأسد رمز القوة والشجاعة وملك الغابة، عند الحديث عن القوة والاستحواذ أو الشجاعة أو العظمة أو القيادة فيظهر الأسد كأحد الشعارات الأكثر دلالة ورمزية إلى يومنا [1]، وغالبا ما شكل احد الأشكال الرمزية المعبره عن الشمس كرموز حامية في الأبواب والمداخل في الممارسات والعادات العامة عند عامة الشعوب إلى الآن، تلك الرموز كان الغرض منها اثارت الرعب في الاعداء ورموز حامية، كما أن وجود الأسود على أبواب المعابد كرموز حامية وطارده للأرواح الشريرة ورموز للقوة والشجاعة[2]، وغالبا ما صممت أبواب المعابد والقصور لتشكل وتبرز العظمة والقوة والهيبة والمجد، فيقول نبوخذ نصر عن معبد بابل(بوابة المجد التي صنعتها براقة الشمس).

الأسد رمز شمسي معبر عن عشتار أو أشتار أو إشتار أو عشروت أو عشتروت أو إنانا إلهة الحب والإنجاب والحرب عند البابليين والكنعانيين ومنهم الفينيقيين، ترمز بشكل عام إلى الآلهة الأم الأولى منجبة الحياة، ورمز للقوة والخصب، ومن اشهر رموزها الأسد. ومعبدها الرئيسي كان في نينوى قرب مدينة الموصل ، والأسد له دلالات تختلف حسب الأحوال والثقافات ومنها القوة والشجاعة والقدرة والسلطة والملك والخلود والحماية.

(1) هامش: بريطانيا واستكلندا وويلز وايرلندا وغيرها مازالت تستخدم الأسد شعار لها كرمز للقوة والملكية.

(2) Miranda Bruce -op.cit -p.131

كما نري تمثال أبو الهول المصري شامخ وهو جالس كحارس كنصف أسد ووجه بشري دلالات للقوة والسلطـة والحماية والوقاية من الاخطار والامراض. وفي عهد رمسيس الثـاني (القـرن 13 ق.م) وجدت برميـل جنائزي يحمل صـور لأسدين جالسـين ظهرا لظهر مع علامة الافق والمتضمنة الشمس المشرقة بينهما[1]، وتؤكد مدام(ديسروشـ- نوبلكورت) ومساعديها بأن تلك الصـورة تتعلق برموز شمسية للاسـود وليس برمـوز جنائزية بمعنـي الكلمة، وذلـك لكونها ممثلـه للاله(هورا أكهتـي) الذي هو احد مظاهـر الشمس، كما تظهر الإلـه (سخمت Sekhmet) تحت شكل امرأة ذات رأس لبوة ومعممة بقرص الشمس[2].

اعتـبر الأسـد رمز الإله الفرعوني رع، وكذلك رمـز للإله عشتار (إنانا Inana) والربـة الكنعانية -الفينيقي الـلات، والإله الفارسي للزمن زورفـان zurvan ويحيل لـون شعر الأسد بالشمس ، وتظهـر الربة الفرعونية سخمـت Sekhmet بشكل إمرأة بوجـه لبوة والتي تعتبر مـع الأسد رمز شمسي، والأسـد في الابراج السماوية منذ القدم يعتبر برج شمسي[3]، ولكن عندما يظهر صراع الملك أو الملك المؤلهة والأسد ومحاولة صيده أو التغلب عليه أو يمسك به فانه يرمز للصراع الخير والشر ورمزية المرض والشفـاء والتي غالبا مـا ينتصر به الملـك، والأسد يعتـبر ترميز للمقدس وتعويذة سحرية كحامي للبلاد ومداخلها وابوابها، وتلك الرمزية نراها منتشرة في اقطار العالم،(كما في مدينة رأس الأسد في باقيو بالفلبين و معبد الأسد Sigiriya في سيرنلانكا).

في حضـارة الشـرق الأدنى القديم كان رمزية أبو الهـول ورمز عشتار الأسد في بوابـة بابل . وفي البوذية التقليدية يعتبر الأسد إحدى اقوى الرموز الدينية البوذية التقليديـة، ويرتبط مـع قوة الأسد بالملـك والسلطة. حتى أصبـح كأحد رموز بوذا

(1) Miranda Bruce -op.cit -p.67

(2) فيليب سيرنج- مرجع سابق - ص 91

(3) نفسه - ص91-90

ويشـــار أحيانا إلى تعاليم بوذا إلى (زئير الأسد) ، دلالاله على فعاليتها وقوتها ، كما يمكــن أن يتحد جســد الأسد مع الادمي وحيوانات أخرى كما في الحضارة المصرية الفرعونيــة والتي عرفـت بالإغريقية بأسم السفيكســ Sphix or Sphinx تعرف أيضاً باســم Theban ، والكلمــة جاءت من فعل Sphingo بمعنى شــد بقوة[1] ، ولقد جاء ذكر السفيكســ في ملحمــة أوديب ومملكة طيبــة الأغريقية ، حيــث كان يعبر عن القوة والحكمة والبطش وغالبا هناك ثلاثة أشكال رئيسة لذلك التطور:

ت	المسمى	الشكل	الصورة
1	Criosphinx	جسد اسد برأس كبش	Kriosphinx.
2	Hierocosphinx	جسد اسد واجنحة ورأس الباز	Hieracosphinx.
3	Androsphinx	جسد اسد رأس بشري (فرعون)	

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق - ص232

إن مـن الملاحـظ بأن جسـد الأسد هـو المعني الرمـزي المشترك بـين الأشكال الثلاثـة، حيث يرمز الأسـد عادت كرمز شمسي والمعنـى الأصيل في تلك النماذج، بينمـا الكبش من الرموز الشمسية المتأخـرة في الامبراطورية المصرية ورمز للإله الفرعـوني خنـوم، والباز كذلـك رمز شمسي ورمـز للإله حورس، أمـا جسد أسد برأس بشري (فرعون)، فهي كما أشرنا سالفاً هي تمتد ضمن اطار الملوك المؤلهة، وبالتـالي كانـت الصور الاربعـة في تشخيص الإلـه المقدس (الملـك المؤلهة –الثور -الأسد –العقاب أو الباز) من المعالم الأساسية الرمزية في الشرق الأدنى القديم، ويوضـح فيليب سيرنج " بأن تلـك الأشكال الرمزية الشرقيـة سوف يمتد تأثيرها لتصبح مقطعة بنوع ما لتكون معتمدة في المسيحية من خلال رؤية حزقيال "[1].

2 - **القـردة :**

اكتسبت القردة في حضارات عدة رمزية المسافر والحكمة والمعرفة، ففي البوذية الصينية يمثل القرد صورة الملك القرد الحكيم **Sun Wugong**، وفي بلاد الشرق الأدنى القـديم، اعتـبر القرد ذو رمزيـة مزدوجة، قمـري / شمسي ، حيـث أن القمر في الحضـارة المصرية الفرعونيـة مجرد إحدى تجليات الرمزيـة للشمس، ففي معبد سمبل يظهر 22 قردا، والظاهر بأنها ضمن معبودات الاقليم النوبي ضمن نطاق الاقليـم المداري، ويذكر فريزا بأن تلك الحيوانات كانت تستقبل بالصراخ بأصوات متناغمة الشمس قبل شروقها.

وقـرد البابون (الكلبي) المصري مـن الحيوانات المقدسة لديهـم ،وكان يسمى هيجـاور **Hedjwer** بمعنى الابيض الكبير، ونظرا علـى سلوكه باتجاة الشمس اعتبر ضمـن حرس الشمـس ومستشار الآلهة الشمسية إلى تفتـح الباب للشمس، وحكيم

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق - ص229

الآلهــة الــذي يلقن اله الكتابة تحــوت الحكمة والمعرفــة[1]. وفي الأساطير الهندية كانت القرود هانومان Hanuman ضمن الآلهة الكبار خدم وجنود لراما Rama الذين قاتلوا معه ضد الشرور.

III - رموز الحيوانات الزاحفة Reptiles Symbols:

1 - الثعبان:

يعتــبر الحيــوان الأكــثر رمزية وغزيــرة وانتشــارا في حضارات العــالم، ويتسم رمزيات الثعبان حول العالم بعدة رمزيات، منها بانه رمز الحكمة والمعرفة والشفاء والطــب(Ninazu) والاغــواء ورمز انثــوي جنسي ورمز الخداع والسحــر والتنبوءات والشؤم والشــر وصاحب اللعنات والملكية والقوة والحماية ، ورمز الخلود والخصب والآلهة –الأم باعتباره رمز ارضيا بالمقام الأول.

ففي مصر يكتسب رمز المعرفة والحكمة ويزيين تاج الفرعون، فالثعبان برغم أنه حيوان أرضي ورمز قمري في العديد من الشعوب إلا أن في مصر الفرعونية لا يكتسب القمر فعالية وأهمية كالشمس، فالثعبان الكوبرا لديهم ذلك الكائن الأرضي القادم مــن الظلمات والمسافر في كل مكان ليكشف أســرار الأرض والعلم للآلهة الشمسية، ويعتــبر كذلك رمز الملكية الفرعونية والحامــي الموجه ضد أعداء الملك، فكان رمز الثعبــان في الحضارة المصرية الفرعونية كرمز للملكية الفرعونية التى وجدت على كافة البراويز والتماثيل والجدران، وغالباً على شكل كوبرا كرمز للحكمة والمعرفة، ومن مصر انتقل تلك الرمزية والدلالة الموضوعية إلى الشرق الادنى[2].

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق -ص115-114

(2) نفسه - ص 120

كمــا نجد بأن الثعبــان الكوبرا اخذ رمزية وتحولت عــدة اهمها الدور الحارس الحامي ضد اعداء الملك ، وهذا الدور بالنسبة لدارسي الآثار المصرية اكثر أهمية ممــا سواه، ففي بعض الحضارات يشكل الثعبان رمــز الحماية والحارس الحامي للمقدســ، وبحســب راي ميرشيــا إليــاد فان الحيــات تحرس كل طــرق الخلود اى كل وعــاء يوجــد فيه المقدس مركــزا[1] ، ويذكر جروهمــن Grohmmann بأن صورة الحيــة ترمز إلى الــروح التي في بدن الإنســان[2] ، لكن ربما تكمــن رمزية الثعبان باعتبــاره حيوان يرمز للقمر حيث يمتلك الثعبان نفســ صفات القمر حيث يظهر ويغيب ويتحول ويتولد دوريا ويذكر (بيلني) " بأن الثعبان ممثل القمر على الأرض وبصفتــه تلــك يوزع الخصوبة[3] ، كمــا أن الحية تجدد جلدها مــن حين لاخر فإن القمر يجدد نفسه كل يوم عن طريق اختلاف ايامه ومواضعه.

اعتــبرت الحيــات منذ القــدم أحدى الوسائــل لمعرفة الإرادة الآلهيــة وإصدار النبــوءات عن طريق مظاهر حركاتها، كمــا أن تعرجات الحية توحي بمجري الماء أي رمزيــة الحيــاة والشبــاب والخصوبــة والنور، وكثــير من الحضــارات القديمة صــورت الآلهة القمريــة كرموز للاخصاب والحيــاة والبعث والتجديــد ففي اللغة العربيــة الحيــة والحياة من مصدر واحــد تقريبا . كما في استراليــا ترمز الحية إلى الخصــب والحياة حيث نري في تمثيل مسرحي حقيقي لأسطورة الحياة يحاكي (الفاراموناغا varramunga) حياة السلف الاسطوري الخاص بكل عشيرة عن طريقة رمزيــة (الحية السوداء) حيث يتعمد اللاعبــون الظهور بجلد مكسو بالوبر الناعم والتــي سوف تتحرك بعنف لتنشر بذور الحياة من جسد الجد الأول وتوزعها في كل اتجــاه وبفعلهم هذا يضمنون تكاثر الحيات السود والتي تعني ضمنيا العشائر، ثم مــن بعد يقومون بأكل الحيــوان المقدس (الحية السوداء) لتجديد وإصلاح ذاتهم

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 140
(2) جواد علي – مرجع سابق - ص 39
(3) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص138

و تثبيت عمق علاقاتهـم الحميمة[1]. وتلك الطقوس انما محاكاة للثعبان في تغيير جلدها.

وبرغـم ذلك أخـذ الثعبان في بعض الاحيان كرمـز متناقض ومخالف للفكرة الايجابيـة حوله في بعض ثقافات الحضارات القديمة، حيث ظهر برمزية الشيطان والشـر والمراوغة والحيلة والاغـواء والظلام وكثير ما نرى ارتبـاط الثعبان بالمرأة كمـا في الأساطير اليونانية (لاميـا Lamia)[2]، ونفس الرمزيـة نجدها في التوراة الإصحـاح الثالث (كَانَت الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيع حَيَوَانَات الْبَرِّيَّة الَّتي عَملَهَا الرَّبُّ الإلهُ، فَقَالَـتْ للْمَـرْأَة: «أَحَقًّا قَالَ اللّه لاَ تَأْكُلاَ منْ كُلِّ شَجَر الْجَنَّـة؟» فَقَالَت الْمَرْأَةُ للْحَيَّة: «منْ ثَمَر شَجَر الْجَنَّة نَأْكُلُ،أَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَة الَّتي في وَسَط الْجَنَّة فَقَالَ اللّه: لاَ تَأْكُلاَ منْـهُ وَلاَ تَمَسَّـاهُ لئَلاَّ تَمُوتَا». فَقَالَـت الْحَيَّةُ للْمَرْأَة: «لَنْ تَمُوتَا! بَـل اللّه عَالمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَـأْكُلاَن منْـهُ تَنْفَتحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَان كَاللّه عَارفَيْن الْخَـيْرَ وَالشَّرَّ») ، فكلهما اعتبرا رمـزان للقمر في اغلب الحضارات القديمة. ومازال إلى الآن ترتبط المرأة بالثعبان في كثير من ثقافات الشعوب.

عنـد قبائـل الازتـك Aztec الأرض هي الأم واسمهـا كواتليكيـو Coatlicue، وتعني (قميص الثعابين) وتمثل امرأة ترتدي تنورة من الثعابين الملتوية وقلادة مصنوعة من قلوب البشر ذات مخالب وانياب ووجه مكون من اتحاد اثنين من الثعابين، لقد ارتبـط الثعابين دائما بالمرأة عـبر تاريخها، وكثير ما نرى أسطـورة المرأة الثعبان كمـا في الأساطير الاغريقية والهندية (Naga) ، كما ان الثعبان في الابراج الصينية رمز الاغواء، ففي الحضــارة السومرية مثل الثعبان (نمو) رمز الخصب والعذرية والتجديد والتي خلقت الكون بدون معونة ذكرية وخلقت (آن –انليل – كي).

في انجيـل متـى" كونوا حكمـاء كالحيات وبسطـاء كالحمام " رمـز للمرواغة

(1) روجيه كايوا – مرجع سابق – ص 157

(2) هامش: مخلوق ذو جسد افعي ورأس امراة.

والحكمة والمعرفة التي تبرز في النص التوراتي ودورها الفعال في الخطيئة الأولى، كما نتذكـر الارتباط اللغوي بين الحية والحياة، فالحية على تيجان الفراعنة المصريين مصدر للحياة والعمر والتجديد حيث الحياة غالبا ما ارتبطت في متالوجيا القديمة بالمرأة والحيـاة والتجديد، ففي ملحمة جلجامش عند اخـذ جلجامش نبته الحياة مـن (أوتنـا بشتيم) " ابصر جلجامش بركة ماء بارد فنـزل فيها ليغتسل بماءها فشمـت الحية شذى (نفس) النبات فعرفتها، فخرجت من الماء وتسللت واختطفت النبات وفي عودتها نزعت عنها جلدها، فجلس عند ذلك جلجامش وأخذ يبكي.[1]

لقـد شكلت مشكلة المـوت والبحث عن الخلود قد لازمـت النفس البشرية بشكل دائم فنها قد عولجت بشي من الفلسفة والسحر الشاعري كما في أسطورة جلجامش الرافدية، حيث كان الثعبان فيها رمز وسر الخلود بعد أن اكلت خلسه نبتت الخلود مـن جلجامش، فمـا أن تشعر بالشيخوخة حتـى تغير جلدها وتعـاود شبابها [2]،، وكانت الحية في أكثر الحالات في الشرق الأدنى القديم إلها خيرا للأرض وللاغذية النباتيـة والنباتـات النافعة الاخـرى التي تغطـى الأرض، وبالتـالي آلوهة للحياة، مرتبـط ببعـث الحياة، كمـا كانت الافعي في إيـران وبلاد السوز الحيـوان المقدس بامتيـاز للسكان الأوائل[3]، وبحسـب رأي (باشيلارد) فـإن الثعبان أهم الانماط البدائيـة (**Archetypes**) للروح البشرية وكان في بـلاد كنعان إله البعث والحياة قبل وصول العبريين[4].

الثعبان كان رمز للحيـاة والخلود والشفاء، فكثير ما نلاحظ في الوقت الحاضر تواجـد علامة الثعبان والكأس دلالات عالمية حول هـذا المعني بالاضافة إلى دخول الحيـة في تراكيـب الـدواء في العصـور القديمة. فأصبح رمـز الصيدلة اشتقاق

---

(1) طه باقر- ملحمة كلكامش- مصدر سابق- ص 194-193

(2) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 133-132

(3) نفسه - ص 129

(4) نفسه - ص 129

Pharmacy أو la Pharmacia (مـن اليونانيـة pharmacon بمعنـي السم) بصفة أن السم يصب في كأس، ففي حضارة بلاد الرافدين ينتمي الثعبان إلى إلهة العالم السلفي إلى الشفاء والحكمة كرمزية الإله ننكشزيدا والتي من اشهر رموزة العصا الملتوية بها اثنان من الثعابين، والتي هي رمز الطب التـي مازالنا نتداولها حتى الان حتى اضحت رمز عالميا للصحة[1].

كذلك عرف الثعبان كمدلول للشر والذي اتساعا بشكل شبه عالمي. فنجدها في الادب الدينـي لبلاد الرافدين حيث ياخذ الثعبان رمزية (الآلهة الأم نمو أو تيامت Tiamat) كمدلـول للشـر وقتله يعتبر انتصار الخير على الشـر، وفي الأدب البابلي عندما يصرع الإله مردوخ الثعبان (تيامت) رمز الشر، فإن ذلك كناية عن صراع الشـر والخـير، وكذلك الحال مع صـراع الثعبان والبـاز في الفن الدينـي البابلي، ويتشابـه الحال في مصر الفرعونية عنـد صراع الثعبان (ابوفيس Apep) مع الآلهة الشمس، وتمتد رمزية الثعبان كرمز للشر في الفن الديني الفارسي الزرداشي عند صـراع اهريمان رمز الشـر والظلمات مع (اهورا مزدا) كبـير الآلهة ورمز الخير والحكمـة والنـور والعدالة، وفي الأدب الرافـدي مثلت أرشكيجـال النصف الاخر المضاد لعشتار بصورة تحيط بها الثعبان دلالات الشر والظلمة.

اقتبسـت المسيحيـة من التوراة دلالات الشر والشيطـان في رمزية الثعبان ففي التـوراة في سفر المزامير واحد وتسعون (عَلَى الأَسـد وَالصِّلِّ تَطَأُ. الشِّبْلَ وَالثُّعْبَانَ تَدُوسُ) كما كانت نقود الامبراطور قسطنطين الأول تحمل على وجهها راية صليب المسيـح تخترق ساريتهـا ثعبانا[2]، وفي مصـر الفرعونية مثل الثعبـان آباب apap كرمزيـة تمثل قوة الظلام التي تصارع إلـه الشمس رع أو حورس في عالم الظلمات أثنـاء مرحلـة الغروب والشـروق[3]، أما التنـين فانه الشكل خرافي معـدل للثعبان

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 149-148

(2) نفسه - ص 126

(3) وليام ريتشارد ليثابي- مرجع سابق - ص144

البدائـي، وجدت في أبواب بابل في مقابـل رمزيات اخرى، واعتبر التنين رمز للإله مـردوخ المنقوشة علـى جدران باب عشتار في بابل، وغالبا انـه ذو تأثيرات هندو – إيرانية، ويمثل رمزية الظلمات والليل وعالم الاموات للامكاني الاسطوري.

وعندمـا نشاهد مقاتلـة الآلهة الفرعونية أو الرافديـة أو الفارسية أو غيرها في حضـارات العالم تقاتل الثعبان أو التنين الـذي يحاكى الثعبان في شكله الاسطوري فانهـا ترمـز إلى صراع الخير والشـر، ويتمثل الملـك المؤلهة كبطل يقتـل التنين أو الثعبان أو يخضعه رمزية صراع الملك مع اعدائه، وكما يقول ميرشيا إلياد بأن تلك الأشكال الأسطورية انما هي سلسلة من الاحداث المعاصرة يتم استجلبها وتفسيرها وفقا لنموذج غـير زماني مستمد من أسطورة بطولية[1] ، فإن صور انتصار الآلهة بصورهـا المختلفة علـى التنين أو الثعبان مثـل صـراع الآلـــه الفرعونـي رع مـع الثعبـان ابوفيسـ أو صراع مـــردوخ مع التنين تيامـات هو صـراع بـين الظلـمات والعمـاء (Chaos) والأموات في مقابل النور والخير والشر، وتلك الرموز الاسطورية كما يقول ميريشيا إلياد يجب أن تتكرر رمزيا كل سنه؛ لتعبر عن تجديد خلق العالم كل سنة، كما تتكـرر عند كل انتصار للمدينة ضد الغزاة[2]. وعموماً يتخذ الثعبان في أغلب حضارات الشعوب رمزية وعلاقة تكاملية وحلقة مرتبطة بالمرأة (الأنثوية) وبالقمر عبر التاريخ .

2 - السلحفاء :

حيـوان برمائـي نـراه متأرجحا بين البحـر واليابسـة يحميه درعـه الحامي، ويضـرب بالسلحفـاة المثل بطول العمـر والبـطء، وفي الصين اعتـبرت السلحفاة ذات فـأل حسن تجلب السعادة والحظ السعيد وطـول العمر، كما اعتبرت نقل إلى

(1) ميرشيا إلياد-العود الابدي-ص 77

(2) مرسيا إلياد- المقدس والمدنس – مرجع سابق- ص 42

البشريـة مفتاح اسرار العالم، كما ان قوقعتهـا كانت من احدى العناصر الرئيسية لفن التنبؤ، والسلحفاة في الهند رمز (ياما) الرافد الرئيسي (للغانج)، وخصوصا أن السلحفاة هـي أحدى تناسخات فيشنو، والسلحفـاة العملاقة حاملة العالم[1]، وفي بـلاد الرافدين اعتـبرت السلحفاة احـدى رمز الإله السومـري للماء(ايا – انكي).

أمـا في مصر الفرعونية فان السلاحف اكتسبـت رمزيات مضادة عبر العصور بكونهـا مـن الرموز المائيـة للحياة والبعث، ولكـن من ناحيه أخـرى وربما في وقت متأخر كانت عدو وقربان جنائزي للإله الاعلى رع كما تظهر في كتاب الموتي.

3 - التمساح :

التمسـاح حيوان كان يكـثر في حوض النيـل، ويتميز التمساح بظهـوره النهاري علـى ضفاف الأنهار، بينمـا يقوم ليلاً بالمبيت بداخل المـاء، وفي العصور المصرية الفرعونيـة كان كل حيوان من حيوانـات حوض النيل والصحراء عبارة عن تجسيد لـرب أو ربة من الارباب أو الربات الذيـن يقومون بالوظائف المحددة المنسجمة مع الظواهر الناجمة من الترتيب الكوني العام[2].

لقـد مثل التمساح كأحـد الرموز الدينية للآلهة الفرعونيـة، فالتمساح هو الإله سوبيـك Sobek رمـز الإله المحلي في اسوان جنوب مصر وضـم إليه رمزية فرعونية للشمـس كرمز معبر للشمس حيث وجـدت أشكال رمزية للتمسـاح معبد كوم أمبو وجثة محنطه له، واعتبر ذو رمزية شمسية معبرة عن شروق الشمس وفيض النيل، وغالبا كان ضم الآلهة المحلية للإله الرئيسية تعبير عن وحدة الآلهة والامبراطورية الفرعونيـة المصرية، وفي التـوراة كان التمساح احدى رموز الفرعون المصري عدو

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق - ص163

(2) حنا عبود – مرجع سابق- ص 281

اليهــود العبريين.(تكلم وقل: هكذا قال السيــد الرب: هأنذا عليك يا فرعون ملك مصر، التمساح الكبير الرابض في وســط أنهاره، الـذي قال: نهري لي، وأنا عملته لنفسي)[1].

وتكتســب الحيوانــات المائيــة غالبا رمزيــة وظيفيــة تعبر عن الحيــاة والبعث ودلالالتهــا، عموما شــكل الماء رمز الحياة والتطهير والبعــث في كثير من حضارات العــالم، فكان ارتبــاط الكائنات المائية بــه، سبب لتأخذ تلك الرمزيــة، ففي الهند اعتبر التمساح رمز الإله النهر Ganga رمز التطهير والحكمة.

4 - **العقرب :**

كائن ارضي، وبالتالي كان ضمن الكائنات التي ترتبط رمزياتها بالبعث والحياة والمــوت، ارتبط في مصــر الفرعونية بالإله سلكــت Selket بالسحــر وككائن مفيد، ويرتبــط مع العالم الاخر، والغالب انها كان تعويذة وقائية للشعب المصري وكذلك لحفــظ الاموات من الشرور ومنها شيطان الشــر ابوفيس Apep ، واعتبرت لدغاتها ترياق كهنوتي سحري يجلب السعادة، وصورت على شكل إمرأة طويلة القامة، وفي ملحمة جلجامش فان العالم السفلي يحرسه الرجال العقارب الذين يبعثون الرعب والهلع والموت[2].

(1) التوراة-اسفار حزقيال-الإصحاح 29

(2) طه باقر- ملحمة كلكامش- مصدر سابق - ص152

IV - رموز الحيوانات المجنحة Birds Symbols:

1 - طيور جارحة[1]:

تعتــبر الطيــور الجارحــة رموز شمسيــة في معظم حضــارات القديمة، وتعبر عــن العلــو الروحي والسمو والقــوة، حيث أن حال تلك الطيــور في علوها وارتفاعها وسكناها في أعالي الجبال وتغطي بأجنحتها الأفق كسيدة السماء بلا منازع، جعلها تكتســب رموز للإله العليا، وكما اسلفنــا سابقا بأن قمم الجبال كانت تشكل رمزية عليا بالنسبــة للحضارات القديمة، كنقطة التقاء ما بين السماوي والدنيوي، وكثير مــا عبرت رمزية طيران للطيور بأنها رمزية وظيفيــة، باعتبار الطيور كالرسل بين الفردوس والأرض[2]، وفي مصــر الفرعونية اعتبرت رموز للالهة والملوك، فالنسر يمثل الربه نخبت Nechbet .

كمــا وجد البــاز رمز الإله حورس(سيد السماء) الإلــه الوصي على الفراعنة والحامــي لها، وتمثــل عينه رمز الحماية والوقاية من الشــرور والمرض، لذلك نرى امتــداد تلــك التأثيرات حتــى وصلت الينا ضمــن تأثيرات عــدة واضيفت إلى عين حورســ وهو رمز سحري وثني كدلالات وشعارات لطوائف ورمز للوقاية من السحر والعــين الشريــرة، فالشمس في كثير مــن الديانات القديمة هي عــين الالوهة للإله الكبــير بصورة عامة، ففي مصر الفرعونية يشاهد في كل مكان عين مزخرفة على الرســوم والمنحوتــات (عين الاودجــا Oudjat) تعتبر عين شافيــة مخصصة لوقاية الشخصيــات من الشرور وتؤمــن السعادة[3]، ويعتبر البــاز بالنسبة للهنود الحمر

---

(1) الباز (الصقر) والعقاب والنسر والبوم.

(2) Miranda Bruce -op.cit -P59

(3) Miranda Bruce -op.cit -P59 - 399

كرسول الاسلاف، أما العقاب فان الازتك اعتبره رسول الآلهة[1].

أمـا البـوم فتختلـف طبيعته عن باقي الطيـور، ففي حين أن بقيـة الطيور تخلد للراحـة والنوم عند غروب الشمس، الا أن البوم يبقي مستيقظ يبحث عن فريسته، ليصبـح ذلـك الطير بامتياز سيد وملـك الظلمات والليل، لقـد اكتسب البوم منذ القـدم دلالات رمزيـة تدل علـى الليل وعـالم الظلمات والشر والمـوت في حضارات الشرق الأدنـى القديم، كما اكتسب أيضاً رمزية الحكمة والمعرفة، وعموما اعتبرت البومـة رمـز انثوي لارواح المـرأة[2]، وفي مصر وجدت أثار للصـور البوم على قبر للرب حاتور **Hator**، وربما ارتبط إنانا بصورة مع اللبوة والبوم ترميز للنزول انانا – عشتار إلى عالم الظلمات والعالم السفلي .

أمـا في الزرداشية فتعتبر الطيور الجارحة ناقلـت لارواح الموتى للعالم الأخر، ففـي كهف جارستـين (أي كهف ذو أربعة أعمـدة)[3]، في مدينة دهوك كان الموتى الزرادشتيـين والمثرائيين يتركـون موتهم على مصطبـات ويضعونها في مكان عال حيـث تأتي الطيـور الجارحة وتأكل لحومهـا، بينما تبقي الرفات التـي تدفن فيما بعد[4].

2 - الحمام و طيور أخرى :

احتلـت فكرة الخلود لدى الفراعنـة المصريين نقطة مركزية ومكانة عظيمة، وربمـا يرجـع ذلك كما يقول الأستـاذ سيد عويس إلى تأثـر المصريين بتربة ومناخ مصر الـذي يستطيع الحفاظ على الجسم الإنسـاني بدرجة كبيرة بعد الموت، كما يضيـف سبب اخر بقوله "ما كان يراه في الأحلام من الأشخاص الموتى يخاطبونه

(1) Miranda Bruce -op.cit -P59 - 201

(2) هامش : محاولة لمحاكاة المتخيل حول العالم الدنيوي والسماوي.

(3) المغلوث،سامي بن عبدالله بن أحمد –أطلس الأديان- العبيكان - ط 2 - 2009 - ص 603

(4) سيد عويس - الخلود في التراث الثقافي- -الهيئة المصرية للكتاب-1999-ص 63-60

أو يغشــون الأماكن التي كانوا يعيشون فيه " ممــا جعلهم كما يقول (جميس هنرى بروستد) يرسمون طائر صغير له رأس إنسان وجسد طير يسمونه (با) على القبور وتوابيت الموتى يرفرف على المومياء، ويمد لانفها بإحدى يديه صورة شراع منشور، وهــذا الشراع هو الرمــز المصري القديم للهــواء أو النفس، في حــين يحمل في يده الاخري علامة هيروغليفية ترمز للحياة .

ويؤكـد بروستـد بخلاف غيره بـأن طائر (با) يظهر عند مــوت الإنسان وترمز للمتــوفي عند موتــه[1]، لقد كان ومازال الموت هاجس الــذي يؤرق البشرية جمعاء منــذ القدم، لذلك حاول القدمــاء المصريين الانتصار على فكرة الموت باختراعهم طريقــة التحنيــط، وبرغــم ذلك أعــلان الله عزوجل صراحــة بأن المــآل الطبيعي للإنسان في نهاية عمره الموت مهما عظم قدره فقال الله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.[2]

كمــا اسلفنا سابقا تتخــذ الطيور ومنها العصافير والحمــام رمزية متخصصة بالارواح والعلاقة بين السماوي والأرضي ، فنجد بأن العصافير والحمام تمثلت في الحضــارة الفرعونية كرمز لــلارواح، كما صورت في الفن الايقوني المسيحي كهيئة الأرواح على شجرة الجنة[3]. كذلك الحال مع طائر اللقلق الذي اعتبر رمز للروح والحياة الاخــرى ، وفي الحضارة السومرية شكلت الحمام (إياهو) بنفس الرمزية كرمز سماوي تمثل الاروح، أما في اوربا فقد اعتبر اللقلق جالب للاخبار السعيدة، والتــي ســوف نراها ترتبــط في المخيلة الاوربية حــول طائر اللقلــق يحمل الاطفال للناس والتى إذا رجعنا إلى الخلف سوف نرى جذورها الاغريقية الاسطورية والتي ترجــع إلى قداسية ذلك الطائر بالنسبة إلى هيرا **Hera** راعية الولادة في الميثالوجيا

(1) سورة الزمر الاية 30

(2) فيليب سيرنج – مرجع سابق - ص 173-172

(3) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 208

الاغريقية[1].

أمـا أبـو منجل فهو أحد رمز الإلـه تحوت Thoth الفرعوني إلـه الكتابة والمعرفة، وربمـا كان لشكل منقارة وطريقة التقاطه لطعامـه بالإضافة إلى رمزية الأجنحة، جعلته يكتسب تلك الرمزية ، كرمز للإله تحوت الفرعوني.

في حـين اعتبر طائر النحـام (البشروش ، الفلامنجـو Flamingo) كتمثيل للإله المصـري الأكـبر رع ، ولعل اللون ريشـه المتغيرة سببا في ذلك، أمـا المالك الحزين Snowy Egret (البلشـون) فإنـه طائر نهري تواجد في ضفـاف النيل، وبما أنه يرتبط في النيـل ويمتلك الأجنحـة التي يطير فيها في الأفق ويهاجـر ليلاً ويحط رحاله في الصباح، فاعتبر في مصر الفرعونية رمز للشمس الصباح والتجديد.

V - رموز الحيوانات المائية والبرمائية Fishes & Amphibians Symbols :

1 - الأسماك:

تأخـذ السمكـة رمزية الإلـه الماء التي جلبـت الحكمة المعرفة، كمـا في الوحش اوئنيس Oannes (جسد سمكة ووجه بشري) في بلاد الرافدين، وتحيلنا تلك الرمزية إلى صورة حوريات البحر وأساطيرها المنتشرة في حضارات العالم القديم الهندية والاغريقيـة، كما تأخذ والسمك في بعض الثقافات رمز الخصب والتكاثر والحياة والحـظ السعيد ورمـز سحري لتجاوز مصاعـب الحياة، لانها تسبـح ضد تيارات الميـاة للتجـاوز الصعاب في احيـان اخرى، كما في سمكة الشبـوط (koi) الصينية واليابانية.

وفي مصـر قدسـت سمكة الشبـوط والاكزيرينك وكان لك واحـدة معبد خاص

(1) خزعل الماجدي -متون سومر- مرجع سابق -ص100

بهـا حيث كان لـكل سمكة مقدسة محرمة عـن الأكل في المدينة التـي تقدس فيها، كمـا ان سمكة النهرية تبلابيـا نيلوتيكا، ترمز للميت في مسيرته نحو البعث ، ويرى بعض الباحثـين بأن الأسماك موصـل أرواح يعمل على مساعـدة أرواح الموتى على تجاوز النهر لتنقل للمقر الأبـدي[1]، فوجدت الربه الفرعونية **Hatmehit** التى كانت تأليـه لنهر النيل وصورت على هيئة امـرأة فوقها سمكة أو بصورة سمكة خالصة، وكان السمـك رمز الأضحية في بلاد سومر لدي الإله انكي (رمز إله الماء ثم أصبح رمـز إله الأرض والماء)، ولهذا لبس الكهنـة زي السمك وخاصة في العصر البابلي والآشوري[2]، كما أن السمكه (نانشة) تعتبر إحدى رموز الإله المائي ايا - إنكي.

2 - فرس النهر :

النيـل هبـة مصر كما قال هـيرودت شكل العامل الأساسـي في ظهور العديد مـن الآلهـة المصرية ومنها فرس النهر الذى عاشت في ضفاف النيل يوم من الأيام وانقرضـت، ولكـن مازالت اثار ذلك الحيوان بارزة في معـالم الحضارة الفرعونية المختلفة، ويمتلك فرس النهر قوة تدميرية في تخريب الاراضي الزراعية والسيطرة علـى المشهد المائي بوادي النيل، حيث يستطيـع أن يقلب بسهولة قوارب الصيادين المصريـين ويزهـق الارواح، انه حيوان مضـر في وادي النيـل، واعتبر تحت مسمى وحشـ النيل لذلك اللبس عباءة الإلهه باعتباره ذكـر فرس النهر ذو اللون الأحمر مرتبـط بالإله (سيث **Seth**) رمز الشـر الذي قتل أوزيريس والمرتبط بالإله أبـوفيس (**Apep Aphopis**) ثعبـان عالم الظلمات والشر، وفي المقابل علينا أن نميز بين الإلهين متقاربـين الا انهمـا مختلفـان في الرمزية، حيـث كان هنالك فرسـ البحر الانثي الإله تـاورت **Taweret** رمز الخصب ذات صدر متدلي وبطن بارز علامة على الحمل

---

(1) حنا عبود – مرجع سابق- ص 284

(2) Miranda Bruce - op.cit -p.87

وتشابـه مـع هذا الحيـوان، بسبب ارتباطـه وعيشه بالقرب من النيـل حيث كانت النساء الحوامل ترتدي تمائمه تبرك به وبولادة سعيدة والحماية.

3 - الضفدع :

اعتـبرت الضفـادع ابتـداء مـن حضـارة مصـر الفرعونيـة إلى الصين رمز التطهـير والسحر[1]، وغالبا ما تكتسب المخلوقات المرتبطة بالماء برمزية تطهيرية أو الحيـاة والخصب، والتـي تعبر عن الماء، الضفدع في مصـر رمز الربة المصرية هيكـت Heket رمـز الولادة والحيـاة المصرية، باعتبـاره الرمز الـذي يرجع الحياة للمياة والمستنقعات.

IV - رموز اللافقارية (الحشرات) Insects Symbols :

1 - النحل :

يتميـز النحل بالنشاط، وفي الحضارة الفرعونية عد النحل رمز لقوة الفرعون، فكمـا النحلة لهـا دور التلقيح والاخصـاب وبث الحياة، كان النحلـة رمز للفرعون الـذي ينبت الحيـاة الالهية في شعبه، كمـا يعتبر رمز الخلود والتجديـد والقيامة، ويعتبر النحل أحد الرموز الملكية عبر التاريخ، ففي فرنسا نجد بأن نابليون بونابرت قام باتخاذه شعار له.

....

(1) Miranda Bruce -op.cit -p65

2 - الجعل :

اختراع الفراعنة بعض الكائنات لتكون رموز طبيعية للاجرام السماوية الكبرى، وتحمل كتماتم وتعويذات ومنها الجعل أو الجعران الذي اعتبر رمز شمسيا في مصر وتعويذة حامية. فنجد بأن القرص المجنح في الحضارة الفرعونية تعبير عن الشمس، وقد يستعاض بالقرص بصورة الجعل أو نحوه من الرموز الشمسية التي ترمز للشمس كبير الآلهة المصرية على الاطلاق.

لقد عمل الفراعنة على محاكاة من حركات وصفات الكائنات وتمثيلها بصورة رمزية، فالجعل وهو يدحرج الروث يرمز للشمس لذلك استخدم الجعل كرمز الإله الشمس عند الفراعنة حيث استخدم كتعاويذ لجلب الحظ الحسن و البعث كما نقش على جدران المعابد والقصور والمخطوطات. لقد كان ربط الشمس بالجعل أو الجعران تصوير لرحلة الشمس النهارية، حيث كانوا يرمزون بذلك إلى ربط بين الشمس والحياة، فطمي الذي يخلفة النيل فتكثر وتنشأ الجعل (الخنافس) لتدحرج ذلك الطمي فيعرف الفلاحون أن الحياة عادت، فالجعران رمز الحياة ولكن لا حياة بدون شمس التي قامت بتجفيف الطمي وجعلت الجعل المقدس (الخنافس) يظهر للوجود[1]، فنجد بأن الشمس والنيل شكلا في مصر الفرعونية مجمل التصورات الإلهية والعقائد الجنائزية.

(1) دل ديورانت -قصة الحضارة - الجزء الثاني- المجلد الأول - مرجع سابق - ص 157

2 - رمــــوز نباتية Plants Symbols :

1 - زهرة اللوتس :

نبات الحقل السماوي كما وصفه الفراعنة المصريين، ويعتبر من الرموز النباتية الرمزية تعبر عن الحياة والبعث والولادة، واعتبر اللوتس عند قدماء المصريين من الرموز الهامة التي جعله لها مكانه واسعة سواء على مستوي الفني أو الديني، ففي الأساطير الفرعونية فقد خرج الإله رع إله الشمس من لوتس في بداية الزمن، فإذا كانت الشمس رع متولده من زهرة اللوتس (زنبق المستنقعات) فإنها زهرة الحياة ورمز البعث، فقد لاحظ الفراعنة تفتح واغلاق زهرة اللوتس مع حركة الشمس لتصبح رمز للحياة والبعث[1].

ويعتبر اللوتس رمز لمصر العليا في مقابل نبات البابيروس رمز مصر السفلي[2]، وعندما أصبحت مصر الفرعونية تحت الحكم الروماني انتقلت وانتشرت الإله المصري ايزيس Isis بعيدا عن موطنها الأصلي مصر، لكن برغم ذلك ميزت وكان يتعرف على ايزيس Isis من زهرة اللوتس الموضوعة على شعرها، فكما يقول دل ديورانت(فالمصريين لم يعبدوا مصدر الحياة فحسب بل عبدوا مع هذا كل صورة من صور الحياة فكانت بعض النباتات مقدسة لديهم)[3]، أما في الهند والديانة البوذية فاللوتس (بادما) من احدى الرموز الدينية الهامة، واعتبر رمز للنقاء والتوفيق والتطهير.

....

(1) وليام ريتشارد ليثابي William R.Lethaby- مرجع سابق-ص 22

(2) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث — مرجع سابق - ص 438

(3) ويام ليثابي- مرجع سابق - ص 109

2 - **النخيل (شجرة الحياة) :**

الشجرة رمز الكون في الكثير من حضارات العالم القديمة، وشجرة الحياة تعتبر رمز لقطبية ومركز العالم والكون وثمارها نجوم الكون، وجذورها العالم السفلي والسماء فروعها وأوراقها، أساطير شجرة الحياة انتشرت بشكل واسع النطاق، حيث عرف الشرق كله شجرة كهذه[1]، ولقد اعتبرت النخيل من أهم الأشكال الرمزية لشجرة للحياة في الشرق الادني، حيث متواجده بكثرة كشجرة الحياة في النقوش الرافدية.

لقد اعتبر النخيل في بلاد الشرق الأدنى القديم ذات رمزية شجرة الحياة بامتياز، تلك الشجرة التي انتشرت في اساطير وثقافات الشعوب منذ القدم، فنجد بأن شجرة الحياة في الشرق الأدنى والاوسط، ففي بلاد فارس وبلاد الرافدين والعرب ومصر كانت شجرة النخيل شجرة الحياة والخلود بامتياز، وتشكل شجرة الحياة الرابط بين الحياة والموت ورمزية النمو والتجديد والخلود بالنسبة لديهم.

أما الفن الايقوني المسيحي فإن شجرة الحياة تشكل جزء لا يتجزأ من ذلك الفن الديني التي زينت الكنائس على مر العصور والقديمة على وجه الخصوص، إلا أن رمزيتها تمتد إلى ازمنة قديمة وعلى نطاق عالمي، ويبين (مريشيا إلياد) رمزية شجرة الحياة وعلاقتها في الصليب وجذور المتناهية في القدم لرمزية شجرة الحياة وارتباطها بالخلود [2].

وتصف النقوش الكلدانية شجرة كتلك التي تنمو من مركز العالم وتتشكل السماء من فروعها البلورية التي تهبط بعد ذلك إلى البحر، ففي احدي معابد الاشورية في زمن مجهول وجدت كذلك نسخة للشجرة الذهبية بسماوات حاملة

(1) نفسه- ص22-21

(2) Martin Lings – op.cit-p30

الأحجــار الكريمــة والتي تعتــبر الأولى من نوعهــا[1]، أما الفينقيــون فقد تصوروا العالم كشجرة دوارة انتشرت فوقها سماء زرقاء لامتناهية مطرزة بالنجوم[2].

3 - **رمـــوز الألوان والمعادن** **Colors And Metals Symbols:**

تؤثـر الألــوان تاثيرا سيكولوجيــة في النفـس البشرية، وتكتسـب الألوان معاني ودلالات رمزيــة مختلفــة في الثقافات المختلفة، حيث تتميز الألــوان بقدرتها تمتاز بقدرتهــا العجيبة على إيصال معانٍ ومفاهيم تتخطى حدود الأعراق والبيئات على اختلاف، وتختلف رمزية الألوان من حضارة وثقافة لاخري حسب مدلولها الزماني والمـكاني والديني، وتكمن تأثيرات الألوان بأنها تخلـق اقصي تأثير واهتزاز للعين حسب درجاته[3].

اعتـبر اللـون الأحمر منذ القدم رمز للحياة والقوة والنــار والدم ، كما أن اللون الأخضــر في مصر الفرعونية لون القيامة وعـودة الحياة لإله اوزيريس، كما اعتبر اللــون الأزرق رمز ولون للسماء وغالبا ما مثـل السيدة مريم العذراء عليها السلام ترتــدي اللون الأزرق ولكن سوف يصبح رداؤها عند الارثوكس من اللون الأزرق مع معطف باللون الأحمر وذلك حسب الظروف، كما اعتبر اللون الأزرق والأبيض رمزا للنقــاوة والطهر والصفاء، واللون البنفسجي اعتبر في الطقس المسيحي رمز التوبة ويذكر أنــه كان رداء المسيح عندما صلب حسب الرواية المسيحية فكما يقول فيليب سـيرنج " للألــوان مدلول شامل مــن جهة وقيمة رمزية خاصة مــن جهة أخرى في الزمان والمكان[4].

(1) فيليب سيرنج - مرجع سابق - ص 419

(2) Martin Lings – op.cit -Pp 31-32

(3) برت إم هرو - كتاب الموتى الفرعوني -ترجمة عن الهيروغليفية: السير واليس بدج- نقله للعربية: د.فيليب عطيه- ص38

(4) وليام ريتشارد ليثابي- مرجع سابق - ص 195

كثـير من الشعوب القديمة ارتبط المقدس بألــوان معينة لديهم مثل الحضارات الفارسيــة والمصرية والاغريقية الرومانية، فنجد بأن الذهب بلونه الاصفر مقدس لها، كما أصبح اللون الأحمر مميز للإله اليوناني زيوس Zeus كبير الآلهة المستمده منــه الحياة والحــرارة والنار، وفي الديانــة المسيحية ارتبط اللــون الأزرق بتصوير السيــدة مريم العذراء والسماء والمــاء فأصبح أحد القــابها ملكة الســماء ونجمة البحر[1] ، وفي كتــاب الموتـــى بالفرعوني الذهــب هو ســطوع كبير الآلهة الفرعونية رع[2]، فكان العمود وجد Djed الذهبي وسيلة لجلب السعادة في العالم الاخر.

تمتــاز الألــوان بقدرتهــا العجيبة علــى إيصال معــانٍ ومفاهيــم تتخطى حدود الأعــراق والبيئات على اختلافها، فـنرى بان الأماكن المقدســة اصطبغت بالألوان التــي تحاكي الكون، فاللــون الأزرق غالبا حمل معنى رمزية بالسماء والجنان والتي اختصــت غالبا في الأماكن المقدسة[3]، ففي مصر الفرعونية زينت سقوف القبور والمعابد واغطية التوابيت باللون الأزرق رمزية للسماء، كما وجدت الإلهتين تبه Tpe ونوت Nut كرمزية للسماء بهيئة انثيين تتخذان هيئة مقوسة تعبر عن السماء واللون الأزرق يمثلهــا وبالطبع رمزية الانثي والسماء تعبير عــن رمزية الآلهة الأم الانثوية ذات الخصوبة والعطاء التي تحتضن كل شيء بعطاءها والتي تزينها النجوم، كانت االلــون الأزرق عموما لون للسماء والبحــر، ويمييز بينهما بالأشكال الدالة عليه من اجرام سماوية ونحوه أو كائنات بحرية أو نباتات في الماضي والحاضر.

لقد تأثرت أغلب الثقافات القديمة باللون الأحمر، حيث كان يأخذ رمزية القوة والبلوغ والطبيعة الخصبــة والدم والنار والشمس، فنجد بأن قدماء المصريين فقد رسموا الإله "سيث Seth" الإله العاصي باللون الأحمر . وكان يمثل عندهم أيضا

(1) أحمد أمين سليم -في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مصر .سورية القديمة- مرجع سابق - ص 54-53

(2) Miranda Bruce- op.cit -pp 30-31

(3) وليام ريتشارد ليثابي- مرجع سابق -ص119-118

لــون إلــه الشمس " رع "، في حين اعتبر اللون الاخضــر في الحضارة المصرية رمز للبعث والحياة الابدية.

إن الألــوان حياديــة المعني إلا أن اللــون الأصفر اكتسب قداسيــة خاصة لديهم حيــث أصبح اللون المفضل عن سائــر الألوان لانه يعكس المقدســ والتعالي ورمزية دينيــة مقدســة. فالملك الفرعوني (نــثر رخت) لقب (حور نــب) والتي تفيد معني (حور الذهبي) وتلك اشــارة لارتباط الفرعون بهذا الإله، ويذكر هنري فرانكورت أن استخــدام علامة الذهب في الالقاب الملكية في عصر الاسرات الثلاث يشير إلى أن هــذا اللقب يعبر عــن ألوهية الملــك يتجسيدها لحور الذي لا يفقــد لمعانه وتلك خاصية من خصائص الذهب وكذلك الشمس[1].

اعتــبرت النــار في عقيــدة زرداشت رمــز الإله، فالنــار تملك القــوة التدميرية وكرمزيــة للحــرب والفوضي، كمــا انها ترتبــط بالشمس وربمــا كان الباعث لتلك الاحالــة لقوة اضطرام ولهيب النار والمشاعر الملتهبة والتي تمثل باللون الاحمر[2]، إما في حضارة بلاد الرافدين فنجد بانها اتخذت من الألوان والمعادن كثيمات تعبر عــن الحياة الدينية فيقول نبوخذ نصر في احــدى نقوشه على احدى الزاقورات في بورسيبــا (**Borsippa**) التي قــام يترميمها حيث يقول" لقد أتممــت إصلاح وإكمال أعجوبة بورسيبا، معبد سمــوات العالم السبع،لقد شيدته من الطابوق الذي لبسته بالنحاســ، ولقــد غلفت معبد الرب بأنــواع مختلفة بالتتابع مــن الرخام والاحجار الثمينة الأخرى" .

لقــد بنيت الزقــورات وزينتها بشكل اساســي اعتمادا على طريقــة الألوان كما يقــول رولنسون(**Rawlinson**) " فالمستويات السبعة رمــزت إلى المدارات السبعة التي تحركــت فيها، وفقا لعلم الفلك الكلداني القــديم، الكواكب السبعة. وقد أسبغ على كل تصــور لكوكــب منذ القــديم، مسحة من لــون. فالشمس ذهبيــة والقمر فضي،

(1) Miranda Bruce- op.cit-p194

(2) Ibid -p45

أمـا زحـل البعيد، ويكاد يكون خـارج منطقة النور، فقد كان أسـود. والمشتري كان برتقاليا،(وفي الغالـب كان اختيار هذا اللون كما هو الحال بالمريخ والزهرة بسبب طيـف الألوان الواقعة على الكوكب)؛ فالمريخ النـاري كان أحمر والزهرة كان بلون أصفر باهت، وعطارد بلون عميق الزرقة[1].

نـرى غالبـا بأن المعادن تأخذ رمزية قوة الأرض، فالقلادة التي يلبسها الملوك والآلهـة في بـلاد الرافدين وسوريا هـي رمزية للآلهة وغالبـا مانشاهدها يلبسها الإلـه مـردوخ أو اشور[2]، لقـد كانت بدايات استخـدم المعادن من قبـل البشرية وانتشره عامل في تزايد القيمة المادية والمعنوية والرمزية له، واكتسب دلالات رمزية حسـب لونه ، فمعـدن الذهب هو رمز الشمس بامتياز الاعلـى قيمة ماديا ومعنويا، حيـث أخذ الذهب منذ القدم رمزيـة الشمس، واعتبر رمز للقوة ولون الذهبي رمز المجد[3]، وفي المسابقات والالعاب والمنافسات يعتبر تقليد الفائز بالذهب رمز للقوة والانجازات والمرتب الأولى والشرف، ومنذ القدم بحث كثير من الناس عن المدينة الذهبية الاسطورية الاردرادو **El Dorado** ، وللقيمة المادية والمعنوية كان الذهب العملة الرئيسية للبلدان بعد أن استبدلوا المقايضة بالعملة.

الشمسـ في مصر الفرعونية تلخص مجمل الحياة والتجربة البشرية والحياة الابديـة الاخري والخلود، مما جعلهم ينحتون ويقدسون الشمس ويرفعون من قيمة الذهب لبريقع الذي يشبه قرص الشمس والذي يرتديه سوف يبنعم بالحياة الابدية والخلـود، كما استخدم الأشوريين تمائم وتعويـذات المعدنية والتي كانت ترمز إلى الآلهة والمعدن إشارة إلى قوة وثبات الأرض[4].

(1) 227- ibid-p194

(2) انظر جعفري بارندر – مرجع سابق- ص 40-39

(3) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 265

(4) سيد عويس -الخلود في التراث الثقافي- -مرجع سابق - ص 65-64

4 - **رمزيات أخرى Symbols Others:**

قام المصريون القدماء بعبادة الاشياء الجامدة لا سيما في عهد الأسرة الفرعونية الأولى بحيث قاموا بصنع رموز للآلهة تعبر عنهم مثل قوس الآلهة (نايت Neith) المتقاطعين ومسلة هليوبوليس وتميمة الاله (مين Min) والذي يصورونه كإله الاخصاب الجنسي في صورة بشرية وفي صورة قضيب في وقت واحد [1]،

لقد تطورت أشكال الفن في مصر الفرعونية لاغراض دينية فكانت دقة تصوير نماذج والأشكال يعود إلى الرغبة الدينية في محاكاة المقدس وتنشط لتبلغها تأثيرها السحري.فالجعل ياخذ رمزية تجديد الحياة، وعين حورس (الودجات) التي تأخذ رمزية الحماية والكمال الروحي والمادي، والعمود الفرعوني دجد (Djed) رمز الاتزان والاستقرار والرسوخ، فمجمل الحياة تحمل في طياتها المعني الديني.

(عين الاودجا Oudjat) كما أسلفت سابقاً عين شافية مخصصة لوقاية الشخصيات من الشرور وتؤمن السعادة[2]، وتكمن الأسطورة حول تلك العين عندما خلعت عين الإله حورس حسب الأساطير الفرعونية اثر شجار بينه وبين الإله ست ولكن حورس استردها وأعطاها لوالده (أوزيريس) فلما تسلمها صار روحا[3].

إن الأديان جميعها مهما يكن من نبل أصولها لا تلبث أن تحشر فيها طائفة من الخرافات لا صلة بينها وبين مبادئها الأولى[4]، وربما حرفت مبادئه لتناسب معتقدات ورهبة وخوف وطمع الإنسان ، فالكف والعين احدى تلك الرموز التي ربما يرجعها اصلها إلى الديانات والمعتقدات الوثنية في الشعوب القديمة، فنجد عين الإله حورس(Ujdat) ، وربما كما تقول اليزابيث هيلفمان Elizabeth S.Helfma "إن عين

(1) دل ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثاني- المجلد الرابع -13 مرجع سابق- ص 128

(2) Elizabeth S.Helfman –op.cit - p.88

(3) سامي بن عبدالله بن أحمد المغلوث – مرجع سابق - ص 180

(4) محمد نمر المدني- مرجع سابق- ص74

حورس ورمزيتها مستمده من البدايــات الأولى(للعبادة) لدوائر الشمس[1]، حيث انتشرت بشكل واسع في اغلب الفن الفرعوني المصري.

وكمــا أن لحياتنــا أبــواب ومفاتيح كان للعــالم والحياة الاخري مفتــاح بالنسبة للفراعنــة المصريين، فنجد رمز الانــكا **Ankh** أو مفتاح الحياة الفرعوني، حيث عبر المصريــين بإيمانهــم بالحياة الاخري من خلال مفتاح الحيــاة(الانكا) والذي هو الصليــب الفرعوني، حيــث رسم على جــدران المعابد وكتمائم، فــكان رمز للحياة الابدية، أي والحياة بعد الموت[2].

اعتــبرت الشمس في الزرداشية رمز الرب المرئي حسب عقيدهم والنار مطابقة مــع النفس المقدسة التــي تسمي سبنتامو[3]، لذلك اعتبرت النار رمز مقدس يعبر عــن الألوهية، حيث يبرز شوقــي ابو خليل أهمية الديانــة الزرداشية وعبادة النار وتأثيرهــا البارز والعميق إلى النحات الفارسي حيث برزت النار كرمز للحق الذي يــدل على الألوهية[4]، كمــا وجد في الديانــات الفارسية القديمة إلهــه عدة أمثال **Zurvan** زورفــان ممثل في صورة الإله مجنح مــزدوج الجنس يخرج من كتفه توأمين وثلاثــة مواكب رمــوزا للاعمار أو مراحل نمو الإنسان وتقــدم له باحترام البرسوم **le barsomm** حيــث كان إلــه للزمن ، ويرحــج (ميريشيا إلياد) بــأن زورفان كان الها سماويــا ومصدر للزمــن وموزع الحــظ والتعاسة،وفي اخــر الأمر سيــد القدر[5]، لقــد اضفي زورفان بعــد مقدس للزمان لتفســير الكون والنشــأة، وربما وجد قبل الزرداشيه والآلهة أهورا مازدا **Ahura Mazda** وأهريمان **Ahriman** .

في بــلاد الرافدين عبر عن الآلهة باشكال وتعبــيرات مختلفة، وقد يكون للالهه

(1) -شوقي أبو خليل -الحضارة العربية الإسلامية—دار الفكر —بيروت/دمشق -1996-ص 73
(2) ميرسيا إلياد -تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث — مرجع سابق- -ص 341
(3) وليام ريتشارد ليثابي- العمارة والأسطورة والروحانيات-ص 73
(4) ميرسيا إلياد-المقدس والمدنس-ص98
(5) سورة الأنبياء : 30

أكـثر من رمـز، فالإله السومري ايـا – انكي، الإله الماء، ويأتـي بشكل جرة يفيض منها الماء، وهو رمز الحياة والتجديد، لقد حاول الإنسان في تفسير المطر وحركات المـد والجزر، وأنهـار الأرض الجارية، بافتراض نافورة (جـرة) أو نبع انها نبثقت اساسـا من السموات بأربعة جداول جرت على جوانب القبة السماوية وتسربت من فتحات محددة[1].

قيل قديما الماء هو الحياة، كما أن طفو الماء يخصب ويكثر إمكانية الحياة، كما يمكـن للماء أن يكون عامـل للفناء والموت والجدب، واعتبرت قصة الطوفان رمزية للبعـث والحياة والتطهـير، وكثير النافـورات نراها تزيين الأماكـن المعمارية، وفي الموروث الشعبي سكب الماء خير، ورمز للخير ووسيلة تطهيرية دينية منذ القدم.

إن فيضـان النهر والطوفان قد يعني برمزية مزدوجة الحياة والموت في آن واحد حسـب المعطى الثقـافي للشعوب، ففي الحضـارة الفرعونية كان إلـه النيل والماء يدعـى نان Nun والذي يعني اسمه الماء، في مقابـل كان إله فيضان النيل حابي Hapi ورمزيـة تطهيرية للأرض فقد شكل فيضـان النيل أهمية كبري في الحياة المصرية القديمـة ومنذ القـدم اعتبرت الشعوب وخاصـة في بلاد الرافدين بـأن الماء أصل الكـون يمثلـه الآلهة السومري القديم ايـا – انكي، وتلك نظرية حـول أصل الماء في خلـق الكائنات بـدأ يذبتها العلم الحيث تأكيد لقـول الله تعالى ﴿وَجَعَلْنَـا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَـيْءٍ حَيٍّ﴾ ، ومازال بعض مناطق الهند عندما يتلامسون يقولون(من أي ماء انت؟) ، وفي الشرق الأدنى القديم عادت ما عبر عن الماء بخطوطة متدرجه متكسرة متموجه دلالاله على الماء .

يرتبـط المـاء بالأرض، فكان النيل كما يقول هيردوت هبـه أهل مصر وفي بلاد الرافدين شكل نهرى دجلة والفرات المنطلق لقيام حضارات عريقة وخصوبة للتربة والاستقـرار والـذي سـوف يولد لدي بعضـ الباحثين نظرية بما يسمـي الاستبداد

(1) فيليب سيرنج -الرموز –-ص351-350

الشرقــي، وبالتــالي فهو رمــز للحياة والاخصــاب، وكثير من الشعــوب كانت تقدم الاضاحي ومنها البشرية لتجنــب فيضان النهر والرغبة في رحمته وخيره والتقرب منه، كما كان يحدث في مصر وقصة عروس النيل وعمر بن الخطاب ورسالته التي أمر بها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالقائها بالنيل حيث كتب فيه (من عبــد الله أمير المؤمنــين إلى نيل مصر) وذلك في ولايه عمرو بــن العاص. وعموماً اكتسب الماء عبر تاريخه ثلاث رمزيات أساسية الخصب والحياة والتطهير.

بعض الوقائع والأحداث في تاريخ الشرق الأدنى القديم

	5000 - 3000 ق.م	3000 - 2000 ق.م	2000 - 1550 ق.م	1550 - 700 ق.م	700 ق.م - بداية التقويم الميلادي
احداث تاريخية	• 5000 ق.م ظهور المدن الاولي في بلاد الرافدين واستخدام نظم الري والبدء في استخدمات النحاس فيها • 3500 ق.م بناء مدينة اور في بلاد الرافدين واستخدام المحرك والعجلة وتطوير الكتابة والحروف السمارية • 3500 ق.م استخدام القوراب في وادي النيل المصري • 3100 ق م توحيد مينا قطرى مصر الفرعونية • 3000 ق.م تطوير الكتابة الهيروغليفية • 3000 ق.م تقسيم اليوم الي 24 ساعة في بابل	• • 2500 ق.م استخدام الاوزان المعيارية في بلاد الرافدين. • 2750 ق م يصبح جلجامش ملكا على سومر • 2686-2182 ق م فترة المملكة القديمة في مصر الفرعونية.	• 2000 ق.م انتهاء سلطة السومريين في بلاد الرافدين • 1900 ق.م استخدام الحديد في بلاد الرافدين • 1792-1750 ق.م يصبح حمورابي ملكا علي بابل • 1700 ق.م تطوير الحروف الابجدية الاولي الفينقية. • 1595 ق.م هجوم الحيثيين علي بابل • 1567 ق.م بداية عصر جديد في مصر (عصر الاسرات)	• 1213-1279 ق.م يصبح رمسيس الثاني ملكا علي مصر • 1218 ق.م تتعرض مصر وبلاد شرق البحر المتوسط لهجمات الهكسوس • 1200 ق .م انهيار الامبراطورية الحيثية واستوطان اليهود بفلسطين	• 604 ق.م بختنصر الثاني يصبح ملكا علي بابل • 604-.562 ق.م بناء الحدائق المعلقة في بابل • 557 ق.م يصبح قورش ملكا علي فارس ويؤسس الامبراطورية الفارسية • 30 ق.م انتحار كليوباترا • • 4 ق.م – 30م تقريبا حياة المسيح.

الباب الثالث

المسيحية ورموزها

(الدلالات والمعنى)

"بالمحبة نـزل ،وبالمحبة عـلا ، وبالمحبة رسم الطريـق، فهـدى النـاس إلى السـلام ،وأهـدى المؤمنـين المسرة، اكتوى بنـار الأرض ،لينزل لنا برد السماء"

يوسف زيدان - عزازيل

الفصل الأول

البدايات الجنينية للرمز المسيحي

ولــد سيدنا المسيح عليه السلام في عالم تســوده الوثنية وعبادة الايقونات، ففي إحــدى الولايات الرومانية وغالبا في بيت لحم في فلسطين من عائلة يهودية، ضمن المجعتمات اليهود المنتشرين حول القدس والهيكل، بعد فترات من الشتات والنزوح، ومنخرطــين في العبادة التوحيديــة ضمن نظرية الإله الأوحــد للشعب المختار. ولد سيدنا المسيح عيسى ابن العذراء الصديقه مريم عليهما السلام.

لقد ترعرع وقضى شبابه متنقل بصورة بلازمية بين الناصرة والجليل وأرشليم وغيرهــا مــن محيط فلسطــين، في عالم ومجال تشــكل ضمن ثقافات عــدة هلينية وشرقيــة وثنيــة، تمتد من بــلاد البحر المتوسط وبــلاد الغال وغيرهــا من المناطق في أوربــا، ثقافــات اعتــبرت متمدنة مقارنة بغيرهــا من الشعــوب، ثقافات قدست التصويــر الايقوني وتشكلت بأساطير القرون السابقــة في عالم من الآلهة والرموز الوثنيــة ، وفي عمق التغلغل الوثني كان اليهود جماعــات تم خروجها وتهجيرها من مصر بقيادة نبى الله موسى عليه السلام، لقد ظلت تلك الجماعات مستقله تمارس عقيــدة التوحيد وطقوسها في فترة من الشتات ثم استقرت في فلسطين، الا أن جاء القــرن السادس قبــل الميلاد وفترة الأسر البابلي، ففقــدت استقلالها لمدة خمسين سنــة، ثم رجعت بعد سقوط الدولة الآشورية على يد الفرس، واستقرت مرة أخرى في فلسطين في القرن الأول قبل الميلاد تابعين للامبراطورية الرومانية.

لقــد كانــت الكراهية والشك والقلق بــين الطرفين اليهــودي والروماني متبادلة بــين شعب يعلن نفسه (شعــب الله المختار) ، وناقمين لفقدان استقلالهم ويتوعدون

الرومان وغيرهم (بالرسول المسيح القادم - المسيا، الماشيح) الذى تعد به التوراة، مع تزايد المظالم، في مقابل رفض روماني لعقيدة اليهود التوحيدية والشك في ولائهم للامبراطورية الرومانية والشكوك حول رغباتهم بالاستقلال والتمرد والثأر، ومن خلال تلك الاجواء المتوترة والفوضي السياسية والدينية والنفسية والاجتماعية، بين مشاعر عاطفية خائفة ومترقبة متوجسة وتشعر بالندم وتزاحم الخطايا وترغب بالخلاص والتكفير، بالاضافة إلى الاضطرابات والمناخ القلق العام بين الانتظار بمجئ المنقذ المسيح المنتظر والاسكاتولوجيا الاخروية، التي تبشر بقرب حلول آخر الزمان وبين الوثنيين الرومان المتحفزين للتجربة الدينية الجديدة والمتشككين والمعارضين لفكرة المسيح المنتظر والتي تعني في مفهوم ذلك العصر الملك المنتظر المجيد القادم الذي سوف يملكهم الأرض، ذلك الزعيم الذي يمتلك السلطة الروحية والدنيوية بالنسبة لاكابر اليهود واحبارها، وتتخوفه السلطة الرومانية.

ظهر المسيح من عائلة عرفت بالتقوي والصلاح والمكانة الدينية بين أواسط اليهود (آل عمران) ومن أحضان الإرث اليهودي بدأ ينشر دعوته منتقل بين المدن الفلسطينية، يدعوا بدعوته وينادى بتعاليمه ويصرح لهم بأن ليس بالخبر وحده يحيا الإنسان، فهنالك الجانب الروحي الأسمى والأعلى، كما تم تناقل معجزاته ونبؤته، فتجمع حوله الاتباع المؤيدين له، لقد كانوا حلقتين من الأنصار أو المؤيدين، حلقة ضمت عامة الشعب وبلا شك فئات ارستقراطية يهودية ذات نفوذ، وحلقة من البطانة المقربة كتلاميذ له وبلغ عددهم اثني عشر وسموا بـ (الحواريين)، الذين عهد إليهم المسيح عليه السلام حفظ الدعوة والرسالة الانجيلية التي تضم تعاليمه ووصاياه (أنصار الله).

لقد كانت تعاليمه بسيطة ولعامة الناس دعوات للمحبة والإخاء والإيمان التوحيدي الخالص لله والمساواة والمبادئ السمحة البسيطة في المعني، والمستمدة من الحياة اليومية والعامة وتحاكي النفس البشرية، في وسط يعمل غالبية أهله

بالزراعة وصيد الاسماك، لقد كان يتجول في الاسواق ويأكل من قوت يديه ويشفى المرضى ويذيع تعاليمه أمام جماهير الناس في جميع المناسبات والأعياد، فذاع صيته بوصفه المسيح المنتظر، وفي انجيل متى قيل بأن المجوس عند ولادة المسيح جاؤوا لمباركته على أنه ملك اليهود ، وإن الملك الروماني هيرودس أراد قتله للسبب عينه (وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ، فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ، إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ)، فكان الناس يهتفون بإسمه عند دخوله أورشليم على غرار الملك[1].

والحقيقة أننا لا نعلم بعين اليقين هل وضعت تلك التهمة والادعاء في مجال التآمر والسخرية؟ أم انه كان يستحقها بكونه ملك شرعيا من نسل الأنبياء سليمان ودواود عليهما السلام[2]، ولكن المسيح عليه السلام برغم ذلك كان يصطدم ويعاني من إنكار اليهود له ومحاربتهم له، لقد كانوا ينتظرون مسيحا ماجدا منتصرا (ملكا) يوافق تطلعات كبار الاحبار اليهود (احبار الناموس) الذين كانوا يجلسون في المحكمة اليهودية العليا (السنهدرين Sanhedrin).

كان تبشير المسيح عليه السلام تبشير روحي ديني بعبادة الخالق والمبادئ السمحة المثالية للنجاة والوعد للمؤمنين جميعا سواء كانوا يهودا أو غيرهم بمملكة "ليست في هذا العالم"، وبإمكان الإنسان الدعاء في أي مكان فلم تكن له أهداف سياسية ودنيوية، مما جهل كهنة الهيكل وأكابر اليهود يرفضوا ويثوروا لهذا التبشير الذي لا يوازي تطلعاتهم وطموحهم ورغباتهم التي تجعل محبة الله والاخاء بين

(1) توماس هوبزTomas Hobbes-اللقياثان Leviathan-ترجمة ديانا حرب /بشرى صعب-هيئة ابوظبي للثقافة والتراث(كلمة) ابوظبي بالتعاون مع دار الفارابي بيروت - ط 1 - 2011 - ص 566

(2) للمزيد انظر:ريتشارد لي،مايكل بيجنت،هنري لنكولن-الإرث المسيحي – ترجمة محمد الواكد-مراجعة د.حسن الباش-دار صفحات للدراسات والنشر - ط 1 - 2009 - ص36-35

الناس فوق الناموس[1] وتتجاوز الشعب المختار، إن تضارب الأهداف بين النبوة الربانية والرغبات والاطماع البشرية جعل الصدام والانشقاق والرغبة في التخلص من ذلك المسيح الذي لا تتماشى تعاليمه السمحة رغبات كبار أحبارهم.

لقد كان المسيح عيسى عليه السلام يشعر بذلك الجفاء والتذمر والكراهية والرغبة في التخلص منه من قبل أولئك الاحبار وأكابر اليهود، وكان يهاجمهم بشدة أمام الملأ، ويصفهم بالخراف الضاله، كما كان يشعر بالألم والمرارة والمعاناة النفسية ﴿فلمّا أحسَّ عيسى منهُمُ الكُفرَ قال من أنصاري إلى اللّهِ قال الحواريُّونَ نحنُ أنصارُ اللّهِ آمنّا باللّهِ واشهد بأنَّا مُسلمونَ﴾[2]، فأثار كبار اليهود والاحبار عليه السلطات الرومانية وضغطوا عليها باتهامه بالانقلاب والتآمر، واعتبروا تبشيره محاولة انقلابية لحركة ثورية سياسية كباقي الثورات اليهودية السابقة التي تحاول الاطاحة بالمصالح والنفوذ الروماني والاستقلال ومحاولة لإعلان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام (ملك لليهود)، لقد أدرك كبار اليهود بتنامي دعوة المسيح عليه السلام في اواسط اليهود بين عامة الناس، والذي تم تعميده من قبل احبار وأكابر اليهود من قبل وبوصفه المسيح المنتظر، لذلك كانوا بحاجة إلى يد أخرى ليست يهودية لتتلطخ بدمه، فكان الرومان هم الحل الأنسب للقيام بتلك المهمة عوض عنهم.

تزايدت الضغط من قبل كبار اليهود على السلطات الرومانية ، في مقابل خوف الرومان من الحركات الثورية والاضطرابات الداخلية في الولاية الرومانية، لذلك أمر الحاكم الروماني بيلاطس بالقبض على سيدنا المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بتعاون يهودي، وبحسب الرواية المسيحية فقد قبض عليه وقدم للمحاكمة بتهمة التآمر وكمارق وتم صلبه على رابية الجلجلة أمام الأشهاد، بينما يفند الإسلام تلك المزاعم حول حاثة الصلب والقتل استنادا إلى قوله تعالى ﴿وَمَا قَتَلُوهُ

(1) نور الدين حاطوم - تاريخ العصر الوسيط في أوروبة – جزء 1 - دار الفكر 1982- ص62

(2) سورة آل عمران: 52

﴿ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾[1]

إن الديـن المسيحـي برغم إنـه دعوات وتعاليـم سيدنا المسيح عليـه السلام إلا أنـه لم تنشر إلا على يـد القديسيين (الحواريين) وفي مجال غير يهودي، ولم تزعم تأسيس دين جديد بـل إتمام لدعوات الأنبياء السابقين وتعاليم العهد القديم، كما قـام القديسيين بنشر التعاليم التي نسبت للمسيح عليـه السلام (العهد الجديد) كما أضاف القدسيين إلى رسالة المسيح وحيا ممجدا وهو الموت، والدفن في القبر، وقيامه في اليوم الثالث من دفنه، وظهوره إلى تلاميذه قبل أن يصعد إلى السماء[2]، وكل تلك التشخيصات والرسالات والرمزيات سوف نراه من بعد مشخصه برمزيات عـدة في الفن الديني المسيحي، بينما تقوقعت الديانة اليهودية على نفسها وتعاليم العهـد القديم وتعاليـم الناموس[3] ونظريـة الشعب المختار والابتعـاد عن دعوات المسيح، الداعية إلى الأخلاق والمساواة والعفو والإله الرحيم الغفور الأوحد لجميع البشرية، لتتركها للعقلية اليونانية تشكله تصبغه بصبغها، وفي أواخر القرن الثاني الميلادي حكمت الكنيسة المسيحية عليهم بالكفر وأخرجتهم من حضيرتها[4].

كان لظهـور المسيحيـة أبلغ الأثر في اكتسـاب الرموز الدينيـة المسيحية طابعها الخاص بهـا، والتي استمـدت مقوماتهـا وبنياتها مـن التجرية المسيحيـة وتكرار شعائري لاحداث مهمة في حياة المسيح، فاذا انتقلنا بعد المسيح من يسوع (عيسى) التاريخـي النبي المرسل (عليـه السلام) التي شغلت أعمالـه وحياته ونبوته الكتب

(1) سورة النساء :157

(2) نور الدين حاطوم- مرجع سابق- -ص64

(3) يذكر الأستاذ جان كلود بارو/غيوم بيغو بأن طقوس الختان الذي كان حاخامات اليهود اجباريا في الدخول للديانة اليهودية أحدي الأسباب لنفور وعدم قبول الرومان والإغريق لذلك الأمر، في حضارة تمجد الأجساد الجميلة ،وبالتالي لم تستطع فهم ذلك العنف الجسدي،لذلك دخل قلة منهم اليهودية وسموا (التقاة)، لإلا ان بولس فقد طالب بالتخلي عن فرض الختان على الوثنيين الراغبين في اعتناق اليهودية، وقوله بأن النبي عيسى قال قبل قرون»أن الختان الحق في القلب«. للمزيد انظر: جان كلود بارو/غيوم بيغو – مرجع سابق - ص77

(4) ديورانت،دل- قصة الحضارة - جزء 3 - مج 3 - مرجع سابق - ص245

إلى مستـوي السيد المسيـح الذي سوف يصبح في نظر أصحابـه انه كان الله الذي ظهـر لهم في مظهر إنساني وتدريجيا من خلال اتباعـه تم بناء تلك الصورة شيئا فشيئا[1].

لقد انتشرت المسيحية عن طريق تلاميذ المسيح الحواريين (القديسين) والدعاة وطـرق التجـارة، والتـي كانت بـادره لعهد وعصر جديـد ونمو الكنسيـة المسيحية ورموزهـا، وإيذاناً باستبدال عقيـدة الوثنيين المحتضـرة بالمسيحية، ويمكن القول بوجه عام إنه لم يحل عام 300 بعد الميلاد حتى كان ربع سكان الشرق مسيحيا[2]، فبعد فترة اضطهاد عظيمة للعقيدة المسيحية في جميع ارجاء الامبراطوية الرومانية وخاصـة في عهـد الامبراطـور دقلديانوسـ، كان لوصـول الامبراطـور قسطنطين للحكم الامبراطوية الرومانية الأثر البالغ في تغير المشهد الديني والسياسي ، فقام بإصـدار مرسوم التسامح العام أو مرسوم ميـلان 313م والذي كان مكمل لمرسوم الامبراطـور السابـق جليريوس261 م ، والـذي يؤكدان فيه مبـدأ التسامح الديني العـام، والاعتراف بالمسيحية كإحـدى الأديان المعترف بها بداخـل الامبراطورية، كما يأمر بإعادة ما انتزع من أملاك المسيحيين اليهم في اثناء الاضطهاد الاخير.

كانـت تلك الاجراءات في ذلك الوقت تخضع لاعتبـارات واغراض سياسية قبل أن تكـون إيمانية، حيث سوف نرى بأن سياسته الدينية كان الغرض الأساسي منها الرغبـة بضم واخضاع تلك الفئة المسيحية المتزايـدة وكنيستها لسلطة الامبراطور والدولـة، وتقويه مركز الامبراطور قسطنطـين **Constantine** الذي كان في صراع في البدايـة مع مكسمينسـ وبعد وفاته تحول الصراع في نفس العام نحو صديق الأمس ليسنيوسـ، فقام بـإدارة وتمويل المجامع الدينيـة التي تخوضـ في ألوهية المسيح، وحـرم عبادة الاوثـان وتدمير معابدهم الوثنية وهياكلهـم مما جعله يظهر بمظهر

---

(1) هوستن سميث Huston Smith **– مرجع سابق- ص 401**

(2) دل ديورانت- قصة الحضارة - الجزء الثالث- المجلد الثالث- مرجع سابق- ص 289

حامي المسيحية والسلطة العليا بدون منازع، في الامبراطورية الرومانية[1]، حتى تم له اعتناق المسيحية بشكل رسمي واعلنت المسيحية كدين رسمي للدولة.

لقد برز قسطنطين كحامي للكنيسة والمسيحيين يملك بيده السلطة الزمنية والسياسية والدينية، مما دعى أليستير كي **Alistair kee** أن يقول عنه في كتابه (قسطنطين مقابل المسيح:1982) "ديانة قسطنطين تعيدنا إلى سياق العهد القديم.كأن ديانة إبراهيم لم تنجز أخيرا على يدي السيد المسيح، لكن على يدي قسطنطين"[2]، فكما يقول الأستاذ عمار علي حسن "عندما احتمت الكنيسة بسيف قسطنطين في القرن الرابع الميلادي ظهرت نظرية الحق الإلهي للملوك"[3].

قام قسطنطين ببناء مدينة جديدة سماها رومة الجديدة **Nova Roma** والتي سميت من بعد القسطنطينية حيث اتخذها عاصمة له عام 330م، وشيد أول الاباطرة المسيحيين كنائس كثيرة كرموز دينية تعبر عن بداية عهد جديد وانتصار المسيحية، واصبح الصليب أول الرموز الدينية المسيحية، لقد دمرت الهياكل والمعابد الوثنية، وزيلت الصور الوثنية وحلت محلها الصورة المتعلقة بالعقيدة المسيحية كفن معماري رمزي خاص بالمسيحية، فأرشليم التي شهدت حادثة الصلب تم هدم هيكل أفرديتى وأمر قسطنطين أن تشيد كنيسة الضريح المقدس(كنيسة القيامة) في المكان الذي صلب فيه المسيح حسب المعتقد المسيحي وبناء قبر رخامي أحمر، يفترض وفقا للتقليد الكنسي، انه دفن المسيح فيه قبل قيامته، وصعوده للسماء كما حفظت الأثار المقدسة في خزانة خاصة، ومنذ ذلك الحين بدأ العالم المسيحي يجمع مخلفات المسيح والقديسين و يعظمها ويخلدها[4]، وفي موقع ولادة المسيح كما تقول الروايات شيدت كنيسة صغيرة في بيت لحم على يد الامبراطورة هلينا

(1) دل ديورانت – قصة الحضارة– – الجزء الثالث– المجلد الثالث– مرجع سابق – ص 385

(2) ريتشارد لي،مايكل بيجنت،هنري لنكولن– مرجع سابق– ص61

(3) عمار علي حسن – مرجع سابق–ص 86

(4) Jonathan Hill -The History of Christianity -Lion Hudson 2009-Oxford-p76

Helena أم الامبراطور قسطنطين[1] .

لقـد بدأ العـالم المسيحي يبنـي عالمه ورمـوزه الدينية فلكل ديانـة رموزها منذ الوثنية وحتى العصور الحالية، فالرمز الديني يكتسب قداسيته من الأفكار الدينية والثقافيـة التي شحن بها هـذا الرمز ليكتسي طابع المقدس لـدى جماعات معينة، فكمـا قلنا فلا معني لاساطير القمر أو الشمس بدونهما ، لقد قام المسيحيون ببناء كنائسهـم فوق أنقاض وأطـلال المعابد الوثنية وقاموا باحتفالتهـم في أيام الأعياد الوثنيـة وذلك في محاولـة لالغاء وطمس الذاكـرة الجماعيـة واستبدالها بطقوس الديـن الجديد[2] ، وبالرموز الدينية المسيحية عبر عن الشخصية والثقافة الدينية المميزة للمسيحية عن سابقيه، وبدأ العالم المسيحي ينشئ عالمه ورموزه الخاصة .

ولكـن في عام 318م هـددت المسيحية ورموزها بتوجه دينى آخر، حيث قام أحد الأساقفـة في الاسكندرية ويدعـي اريوس Arius بالاختلاف مـع الأساقفة الغربيين في طبيعـة والوهية المسيـح أي كان الاحتدام في صلب العقيـدة المسيحية، مما اثار جدلا كبير بين الأساقفة المسيحيين ما بين مؤيد ومعارض ، فأريوس رأى بأن المسيح والخالـق ليسـا شيئا واحدا بل كان المسيح كلمة الله واصـر على ارائه، وبأن المسيح والأب ليسـا من مادة واحدة أي مختلفين، وبأن المسيح مخلوق ولا يرقي لمنزلة الأب ولكنـه برغم ذلك يشـتركان في القداسـة[3] ،أي طبيعة واحـدة للمسيح، مما اثار أسقف الاسكندرية وأثناسيوس Athanasius ضد تلك الأفكار، فدعاء إلى مجلس من الأساقفـة المصريـين في الاسكندرية، وطالب بانـكار آراء أريوس واتباعه وتجريده مـن منصبه، ولكن بعضهم أظهر عطفا وميـلا لاراء اريوس مما أحدث ضجة بين رجـالات الدين وبـوادر انقسام الكنيسـة المسيحية، مما أوجـب تدخل الأمبراطور قسطنطين، والذي سوف يدعم مركزه في العالم المسيحي .

(1) دل ديورانت -قصة الحضارة-- الجزء الثالث- المجلد الثالث- مرجع سابق- ص - 401

(2) يان أسمان Jan Assmann –مرجع سابق- ص 135

(3) قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثالث- المجلد الثالث-مرجع سابق- ص 392

عقد أول مجلس (مجمع) عام للكنيسة عام 325 م في نيقية بالقرب من عاصمة نقوميديا في آسيا الصغرى، فاجتماع مع المتخاصمين في أحد القصور الإمبراطورية برئاسة قسطنطين، فأعلن هناك هرطقة اريوس وصدق آراء بابا الاسكندرية أثناسيوس Athanasius ، أما اريوس فلم يتزحزح عن آرائه وأصدر عليه فصدر بحقه قرار الحرمان ونفي من البلاد وصدر مرسوم بإحراق كتبه ويجعل من يحوز أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالموت، وكان ذلك بداية لسيطرة عقيدة الكثرة من رجال الدين والاتفاق بينهم على صيغة معينة للدين المسيحي والتي عرفت بالكنسية الكاثوليكية، ولكن برغم ذلك لقت أفكار اريوس في الشرق وخاصة بمصر وسوريه، رواج وتأييد وظل رهبان سوريا يعلمون الناس اليعقوبية، والتي أصبحت الدين القومي لمسيحي مصر وأثيوبيا وغربي سوريه وأرمينية بينما انتشرت أفكار نسطور فيما بين النهرين وشرقي سوريه[1].

سوف يؤدي تأييد المجمع الكنسي في نيقية لصالح البابا أثناسيوس بمباركة الامبراطور قسطنطين الذي ظهر بمظهر حامي الكنيسة والمسيحية جمعاء إلى ترسيخ وتغلغل وانتشار الرموز الدينية المسيحية الكاثوليكية على غيرها من المذاهب الاخري، فانشئت الكنائس التي تكتسي بطابعها الخاص بعيد عن الرموز الوثنية الرومانية، فقام المسيحيون ببناء كنائسهم فوق انقاض وأطلال المعابد الوثنية فكان ذلك إعلانا ببدء مرحلة جديدة تعلن انتصار المسيحية.

فإذا اتينا إلى المعاني الرمزية التي اكتسبتها الكنسية فنجد بان الكنيسة Church عند اليونان كانت تعني المجمع، وفي العهد الجديد استخدمت بشكل عام للدلالة على المجتمعات الفردية Individual Communities [2]، أما اصطلاحا فقصد بالكلمة المعني الرمزي للكنيسة بوصفها جسد المسيح الصوفي[3] ، فالكنسية الكاثوليكية

(1) دل ديورانت -قصة الحضارة - الجزء الأول- المجلد الرابع- مرجع سابق- ص 103-

(2) Jonathan Hill – op.cit -p24

(3) نور الدين حاطوم – مرجع سابق- ص 60

هــي الجسد الكامل للأمة المسيحية، فلا انفصام بين الجسد والروح إلا بالموت[1]، ومع مرور الوقــت وتفسيرات الكتاب المقدس أصبحــت الكنيسة باعتبارها شخص بذاته، أي تملك الإرادة، وسلطة إعلان المواقف، والإمرة، والقدرة على نيل الطاعة وسن القوانين، أو القيام بأي عمل[2] .

ولقــد اتسمــت الكنيســة الأولى بظهورهــا بالخفــاء والكتمان بداخــل البيوت والكهوف والأماكن السرية وبحيث تمتعت بالبساطة في التصميم والبناء والتجريد، كمــا مثلت الكنيسة للمسيحيين العالم المقدس[3]. فالكنيسة كمعمار ديني مسيحي كان غرضــه تجميــع المؤمنين المسيحيين في مــكان فذلك معنــي الكلمة الاغريقية الإكليزيا **Ecclesia** التي اعطت كلمة **Eglisa** المعنى الموازي للكنيسة، ففي القرن التاسع الميــلادي تبنت المجامع الكهنوتية فكرة ان الكنيسة أصبحت مصغرة لصورة عرش الله، وجنــاح الكنيسة **Lanef** الــذي يحتوي المؤمنين يعين إراديــا في الفن الهندسي البيزنطــي شكل مكعب رمز الأرض التي تعلوها القبة رمــز السماء[4]، وتعنــي لفظ الكنيســة في أسفــار الكتاب المقدســ أمور عدة ففي بعض الأحيــان (وليس غالباً) تعنــي اللفظــة بيــت الله، أي المعبد الذي يجتمــع فيه المسيحيون للقيــام بطقوسهم بصــورة علنيــة، ولكن هــذا القول هو من بــاب الاستعــارة للإشــارة إلى الجماعة المجتمعة، ومنذ حينه تستخدم اللفظة للاشارة البناء بحد ذاته، وللتمييز بين معبد المسيحيين ومعبد عابدي الأصنام[5] ، بينما كان الفن الايقوني المسيحي المنتشر في الكنيســة كان الغرض منها لتمثل الكنيســة كمجمع يروي تفاصيل الديانة المسيحية بشكل مصغر.

ســوف تكتســب الكنيسة مزيد مــن المؤثرات البصرية لتعبر عــن التجلي الإلهي

(1) - Jonathan Hill –op.cit -p50

(2) **توماس هوبز**Tomas Hobbes- **مرجع سابق- ص 454**

(3) **مرسيا إلياد - المقدس والمدنس- مرجع سابق- ص.48**

(4) **فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 409-410**

(5) **توماس هوبز**Tomas Hobbes-**مرجع سابق - ص 453**

والنقـاء، فزينت الكنيسـة والكاتدرائيات بالألوان والنوافـذ الزجاجية الملونة ،فما إن يخـترق الضـوء الزجاج الملون حتى يدفع تلك الألـوان إلى التفجر والتشعشع في سائـر أرجاء الكنيسـة، وحقيقة الأمر أن جميع الكنائس أريـد لها أن تصبح صورا منسوخة من أورشليم السماوية[1]، سوف تشهد الكنيسة ورجالتها مع مرور الوقت الهيبة والسلطة والقوة والثروة واحتكار التفسير الديني لنص المقدس والعلوم، مما سـوف يخلق تحاد مضـاد وحركة ثورية رافضة لتلك السلطـة التي رأوها لا تناسب تعاليم المسيح عليه السلام البسيطة والنقية، فبرزت بذلك بوادر لحركات الإصلاح الديني ابتداءا من القرن الخامس عشر .

كمـا اعتبر المذبح أو الهيكل أحد العناصر الرئيسة في الكنيسة المسيحية، المذبح أو الهيكل **Altar** في المسيحية يتمركز ليشكل نقطة مركزية تواجدت في أغلب ديانات العالم القديم ومازال يستخدم في العديد من الديانات الحالية البوذية والهندوسية وغيرهـا، فيعتبره المسيحيين بأنـه العلاقة بين الله والإنسان[2]، وكلمة الهيكل **Altar** كلمـة مشتقة من اللاتينية **Altus** بمعني الارتفاع، لذلـك نرى رمزية الارتفاع رمزية متكـررة في الثقافة الدينية لحضارات عـدة، فالبشرية عبر تاريخها وضعت أماكن معبودتهـا في الأعالي[3]، لقد ناقشنا فيما سبـق رمزية التعالي والصعود والارتفاع ورمزيتهـا الموحلـة بالقدم ، فنجد بـأن جبـل اوليبوس **Olympus** لـدى الإغريق هو موطن الإله الإغريقي زيوس وكذلك الحال في الزقورات في حضارة بلاد الرافدين والبوذية والزرداشية وغيرها الكثير كما اسلفنا في الباب السابق من الكتاب.

يكتسـب المذبح للقربـان والاضاحي، ولكن في المسيحية كان المسيح هو العنوان

---

(1) **هيرمان بلاي** Herman Pelij – **ألوان شيطانية ومقدسة(اللون والمعني في العصور الوسطي وما بعدها)- ترجمة د.صديق محمد جوهر- هيئة أبوظبي للثقافة والتراث(كلمة)- ط -1 -2010ص 24**

(2) Monsignor Di Falco And Others: Symbols of Catholicism-Assouline Publishing –New York-2000-p90

(3) -Monsignor Di Falco And Others: op.cit-p90
-ibid -p90

الرمــزي للتضحيــة بالاضافــة إلى انه المــكان المقدس الغــذاء المقدســ والقرابين والهدايــا، بالاضافة لهذا كلة المذبح أو الهيكل هــو الكائن الأعلى في الكنيسة الذي يكرمه المسيحيــين حتى قبل الصليب عند الدخول إلى الكنيسة، والمذبح في بدايات المسيحية وعهد الاضطهاد كانت تمارس طقوسه خفية وبطريقة سرية ويرجح بعض الباحثين بتوفر مذبح متنقل أو استخدام توابيت الموتى لممارسه الطقوس المسيحية، إلى أن وصــول قسطنطين الكبير للحكم كان النقطة البــارزة لانتقال المسيحية من فترة السريــة والكتمان إلى العلانية والظهور ومن عهــد الاضطهاد إلى عهد القوة والتمكــين، اما جرســ الكنيسة فقد أكتسب دلالات رمزية لــدي المسيحيين كإعلان للصــلاة ورمزية لانتقال من العالم الدنيوي المدنس إلى العالم المقدس، وقوة لطرد الأرواح الشريرة[1].

كمــا وجد بداخــل الكثير مــــن الكنائس الكاثوليــكيــة والارثوذكسية المسكن Tabernacle والتــي تقصد باللاتينية الخيمة والتي ترجع تاريخها وأصولها إلى العهد القديم (التــوراة) والشتات اليهودي في عهد موسى علــيــه السلام، ورمزية خيمة الاجتمــاع والحضــور الإلهــي[2]، وبذلك جعلــت اليهودية من الله تعــالى كما يقول يوســف زيدان ملتصقــا بالأرض لا السمــاء[3]، ولكن بالمسيــحيــة كان المسكن هو رمزيــة للمسيح والاندماج بين الله مــع الإنســــان (خيمة ليســت من صنع البشر)، والمســكن بالمسيحية Tabernacle هو مكــمن وصنـدوق مغلق لحفظ القربـان المقــدس Sacrament، والــذي كان يحفــظ سابقا خفية في البيوت والكهــوف وأماكن التعبد في عصــر اضطهاد المسيحية وقبل صدور مرسوم ميلان، وفي العهد الجديد والقديس بولس Paul يقارن إنسانية المسيح بالخيمة التي ليست من صنع يد البشر[4].

....

(1) Miranda Bruce - Op.cit -p.129

(2) Monsignor Di Falco And Others-op.cit - p100

(3) يوسف زيدان -اللاهوت العربي- مرجع سابق- ص59

(4) ibid-p100

ولقـد اتسمت في بداياته بالبساطة إلى الزخرفـة والاهتمام والحجم، وتضاف إلى المؤثـرات الضوئية والألوان والزجـاج الأحمر الذي يرمز إلى الروح التي تحرق نفسهـا خدمة لله، ويعـد المسكن عنصر اساسيا في الكنيسة ويعلق أو تكون بالقرب من المذبح.

وإذا رجعنـا إلى مفهوم الرمز بشكل عام، فنجد بأنه تصورات وخلفيات ثقافية ونفسيـة هـو الفكرة في شكلهـا المجسد المـادي، ففكـرة صلب المسيـح في العقيدة المسيحيـة جسدت بصورة مباشـرة فكرة الصليب كأول الرمـوز المسيحية لتصور الصلب وخلفياته الدينية وتصوراته وذكرياته وعواطفه، يقول كروزر "يجعل الرمز بشـكل ما حتى الإلهي مرئيـا.... فهو يجلب إليه بقوة فائقـة الإنسان الذي يعانيه، ويستـولي على روحه كأنه الأمر المدبر لشأن العـالم[1]»، لقد كانت حادثتى الصلب في المعتقد المسيحي فرصة بأن يكتسب الصليب رمزية خاصة بالنسبة للمسيحيين، وبرغـم من أن عملية الصلب كانـت تطبق على اللصوص وقطـاع الطرق والعبيد، بينمـا تعاملت روما مع أعدائها بالسيف وبالسم مـع أشرفها[2]، وبالتالي لم يحمل الصليب أي شحنات أو دلالات دينية، إلا أنه مع المسيح عليه السلام اكتسبت حادثة الصلب معاني ورمزيات دينية.

ويعتـبر الصليب مـن أحد أوائـل الرموز الدينيـة المسيحية التـي حيكت حولها الأسـاطـير وبدايـة عهد جديـد، فالصليـب يظهر كرمـز ديني في الوعـي ولاوعي المسيحـي، فقسطنطين يشـاهد صليبا ملتهبا في السـمـاء وعليه العبارة اليونانية **En touti mika** ومعنـاه (بهذه العلامة انتصر)[3]، ورسم المسيحيون علامة الصليب

(1) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص247

(2) جان كلود بارو/غيوم بيغو – مرجع سابق - ص73

(3) دل ديورانت- قصة الحضارة- - الجزء الثالث- المجلد الثالث- مرجع سابق - ص 384-

كذلك انظر : Jonathan Hill –op.cit- p72

وهي قصة ماخوذه من كتاب The life of Constantine لصاحبها Eusebius of Caesarea أوسابيوس من قيسارية الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي.

ليتقـوا شر الشياطين الخبيثة والشـرور، والصليب ذكري ورمز ديني لمعاناة المسيح وتضحياتـه وحادثـة الصلـب بالنسبة للمسيحيـين[1]، وبالصليب قـام المسيحيين بتجديد وإعادة خلق للبلاد المكتشفة، وذلك بنصب الصليب كما حصل مع الاسبان والبرتغاليـين الذين اقاموا بأسم يسوع المسيح في الاقاليم التي احتلوها واكتشفوها في القرن السادس عشر[2].

كمـا استخدم الصليب كشعار للمسيحيين في الحـروب الصليبية ضد المسلمين ابتـداء مـن أواخر القرن الحـادي عشر، بدعوا مـن البابا أوربان الثـاني **Urbain II** (أوربانوسـ الثاني) إلا أنه أهمية الصليـب لدى المسيحيين كانت لقيمته العظيمة في الوجـود المعاش للعالم المسيحـي الواسع الذي وحده الصليـب، حيث استطاعت رمزية الصليـب في مقابل دعوات استعادة الأرض المقدسة أرشليم (بيت المقدس) بـأن يجعل عامل الارتباط والتلاحم الديني الاجتماعي الاقوى الذي يشد ولاء وازر جميع الذين شاركـوا في تلك الحروب ، وليست الوحدة العضوية والانتماء العرقي، هنـا تكمن قـوة وفعالية الرمـز الديني عندما يستغـل لاغراض أخـرى غير دينية سواءا كانت اقتصادية أو سياسية، وبالتالي يتضح بأن كل علاقة دينية ورمزية هي بالدرجـة الأولى عبارة عن تنظيم علاقات بين البشـر بعضهم ببعض بغض النظر عن أهدافها البشرية، في مقابل تنظيم علاقتهم جميعا بالإله المتعالي المقدس.

يعتبر الصليب رمزي رئيسي في الديانة المسيحية، والذي يشير إلى صلب المسيح وإلى الخلاص، وكانت تستمد رموز أخرى من الحيوانات والألوان والاشياء المرتبطة بالمسيـح ومريم العذراء والقديسين[3]، لقد اتخذ الصليب في المسيحية عدة أشكال

(1) الهامش: يذكرنا القرآن الكريم ان المسيح عيسى ين مريم لم يصلب ولكن شبه لهم بشخص اخر يشبهه وان الله رفعه اليه، قال تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ النساء : 157

(2) مرسيا إلياد -المقدس والمدنس- مرجع سابق-ص.32

(3) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق - ص 331

وتحويـرات عدة في طريقـة التعبير عنه، وأمل في جلب حيـاة افضل[1] ، ربما وجد أشكال قريبة من الصليب في حضارات القديمة في الشرق الأدنى وغيرها فيما قبل المسيحيـة ، حيـث يرى المؤرخين وعلمـاء الآثار وغالبية الباحثين بـه رمزا شمسيا، ومن الجائز ان يكون له مدلولات دينية أو سحرية أو مجرد انتماء فقط أو توقيع[2]، إلا أنـه لم يتخـذ معنى ديني واضح ومميـز الا مع ظهور المسيحيـة كإحدى الرموز الأولى في الديـن المسيحي المتعلقة في حادثة الصلب. وربما كان الأقباط المصريين من أوائل من بدء باستخدام الصليب ذو العروة كرمز ذو دلالات مسيحية.

يذكـر فيليب سـيرنج بـأن الصليب من أكـبر الرمـوز المسيحيـة الا ان مدلولة تغـير عـبر العصور ولم يعد محافظا على ذات المعنـي، حيث لم يكن الصليب اقدم الرمـوز المسيحيـة حيث أن علامة الصليـب لم ترسم على الأقل منـذ القدم، وأن تحديد الصليب كرمز مسيحـي خالص من الصعب تحديد تاريخه. وكذلك برزت علامـة تشـي رو Chi– Rho كتعبير وشهـادة عن الإيمان، وكانت تلـك العلامات من الصعـب على خـارج المسيحية معرفتها في بدايات الدعـوة المسيحية واضطهادها، فحـرف X وحـرف P هما الحرفين الأولـين لأسم المسيح في اليونانية[3] ، ويقال بـأن قسطنطـين قـام بنقش تلـك العـلامة على دروع قواتـه في اثناء صراعه مع ماكسينتيوس (مكسيمنس) ، فكـان نصـر قسطنطـين تمثيلا لنصـر أعجوبي للمسيحيـة على الوثنية[4]، بينا يفنـد آخـرون بأن قسطنطين مـن أسس شـعار شثي رو Chi– Rho ؛ لأنه جـرى العثور على نقـش لهذا الشعار في قبر في بومبي Pom-peii الايطالية يعود تاريخه إلى قرنين ونصف قبل ذلك[5].

(1) Elizabeth S.Helfman- op.cit-pp 85-86

(2) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 389

(3) Miranda Bruce –op.cit-p.178

(4) ريتشارد لي،مايكل بيجنت،هنري لنكولن-مرجع سابق ص56

(5) نفسه- ص58

كما استخـدم الرسم في الديانة المسيحية كرموز (علامات) ايقونية ذات ابعاد ثقافية دينية مرتبطة بالديانة المسيحية ورموزها المقدسة والتذكير بمسيرتها وذلك عـن طريق استنساخها عن طريـق الرسم[1]، وكما كان الصليب أو الرموز الدينية التـي انبثقت عـن معتقداتهم بصلب المسيح إلى برز مباشـرة أول رمز مادي ديني لخص بالصليب، كمـا كانت السمكة Ichthus من اوائـل الرمـوز الدينية المسـيحية والتـي نشأت كرمـز ديني خاص بالمسيحية أثنـــاء الحظر الرومـاني والتي تعني الانتبـاة وجعلوها سـرية[2]، وهـي اختصار للحـروف الأولى اليونانية من العبارة Jesous Christos Theou Uios Soter (يسوع المسيح ابن الله ،المنقذ)[3].

ويعتـبر رمـز السمكة رمز خفـي استعملت للتعبـير عن للمسيحيـة والسمكة في اليونانيـة تعنـي Icthos [4]، فكان الشخص يقوم برسم جزء القوس السمكة ثم يأتي الاخر فيكمل القوس الباقي للسمكة[5] ، فرمزية السمك في الفن الايقوني المسيحي غالبا يعود إلى عهد المسيحية الأولى وفترة الاضطهاد تلك الفترة التي كان المسيحيين مكرهيـين على إخفـاء ديانتهم الجديدة والاختباء وإضفـاء بعض الرموز الخاصة بهـم لتعرف فيما بينهم، فالكلمات الاساسيـة التلقينية تعني يسوع المسيح ابن الله المخلص تشكل الكلمة الاغريقية التي تعني سمك أيضاً فقد أصبحت السمك علامة الاعتراف بالنسبة للمسيحيين الأوائل وفي الوقت ذاته كرمز للمسيح[6].

بـلا شك فإن تجسيد الرمـوز الدينية بالرسم والتماثيل والنحت قد تأثر بالبيئة السائدة في الحضارة الرومانية الوثنية الهيلينية، والمحافظة إلى تجسيد التصويري، ولكـن برغم ذلـك ليس من المؤكد كما يقـول جوناثان هيـل Jonathan Hill بأن يكون

(1) للمزيد حول العلامات الايقونية ومعانيها انظر: العلامة- امبرتو ايكو- مرجع سابق- ص 99-97

(2) Elizabeth E.Helfman op.cit- p 85

(3) ديورانت،دل- ج-3مج-3 مرجع سابق - ص 286

(4) Jonathan Hill –op.cit -p54

(5) Miranda Bruce –op.cit-p.176

(6) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 211

تأثيرات الأديان التقليدية الرومانية الوثنية هو منبع نشأت رموز الأسماك المسيحية أو استعارة تلك الرموز من الأديان التقليدية وتفسيرها مسيحيا [1]، وكذلك الحال مع باقي تصوير الرموز الدينية المسيحية، ولكن فن تجسيد الرموز الدينية كما هو الحال مع القديسين وشهداء المسيحية تأثر بالصبغة الهلينية .

مـع الاعتراف بالديانـة المسيحية والبدء في تكوين أسسهـا وتعاليمها ورموزها، بـدء العالم المسيحــي يتخذ منحى اخر من السريــة إلى العلانية مع وضوح المعاني الخفيــة للرموز الدينيــة وتأسيسها ، فكان الكتاب المقدســ **Holy Bible** القاعدة التي انطلق منها الفن الايقوني المسيحي ، لقد أصبح الكتاب المقدس المسيحي **Holy Bible** الذي يحوي نصوص مقدسة من العهد القديم والعهد الجديد (الأناجيل الكنسية الاربعــة المعــترف بها لدي الكنسيــة الكاثولكية وهــم أناجيل متــى **Matthew** مرقس **Markus** أو **Mark** ولوقا **Luke** ويوحنا **John** ، أو **Johannes**) بالإضافة إلى أعمال الرسل، والتــي كانــت تطرح بأسلــوب خطابي قصصي رمــزي والتي كانــت مألوفة في بلاد الشــرق[2]، والحقيقة بأن هذه الأناجيل هــي أناجيل مجمع نقية الكنسي والمجالس الكنسيــة الاخــرى، في حين أن هنالك أناجيل أخرى غــير كنسية (غنوصية) كثيره منها انجيل برنابا وانجيل توما وفيليب وبطرس ويهوذا ومريم المجدلية، والحقيقة اننــا لانــدرى عن الأسبــاب الكامنة وراء اختيــار الأناجيل الأربعــة ورفض الأخرى ووصفها بالهرطقة والزور والغير قانونية .

لقد كان عدد حواريي المسيح عليه السلام إثنا عشر حوارياً، حيث سيكون الرقم إثنا عشر ذا قيمة ورمزية ودلالات لدى المسيحيين وذلك يعود إلى أيام سيدنا موسى عليه السلام عندما قسم القبائل اليهودية إلى إثنى عشر قبيله وعلى رأس كل قبيلة سبــط وكفيل يعلمهم الديــن والذي تكونت بهم من بعد الجماعات اليهودية ﴿ وَلَقَدْ

(1) Jonathan Hill –op.cit-p54

(2) ديورانت ،دل-قصة الحضارة - جزء 3 - مج 3 - 224

أَخَـذَ اللّهُ مِيثَـاقَ بَنِي إِسْرَائِيـلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَـيْ عَشَرَ نَقِيباً وَقَـالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِـنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللّهَ قَرْضاً حَسَنـاً لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُـمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْـدَ ذَلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَـوَاء السَّبِيلِ ﴾[1]، كما أن المسيح بلغ عدد حواريه اثني عشـر وكانوا يسمون في بداية الدعـوة المسيحية فيما بينهم بالاثني عشر[2]، فكان طبيعيـا إذن أن يكـون لدينا على أقـل تقدير اثني عشر انجيـل، ولكن مجمع نيقية الكنسـي عام 325م، سوف يحسم الخلاف ويعلن بأن الأناجيل الاربعة هي الصيغة الكنسيـة الرسمية للديـن المسيحي، ومما لا شك فيه بـأن أي كتابات كانت تشكك وترفضـ فكرة آلوهية المسيح عليه السلام، ولا تتفق مـع الأناجيل الاربعة المعتمدة من طرف الكنيسة تم رفضها في مجمع نيقية.

لقـد أخذ الكتاب المقدس، بشكل خاص الإنجيـل يصبغ الحياة الدينية في عالم المسيحـي، باعتباره البشارة، فالإنجيل **Gospel** كلمة تعني البشارة السارة[3]، وهي تناظـر كلمـة اليونانية **Evangelium** وتعنـي حسب المعتقد المسيحـي بالمفهوم الروحي للبشـارة بمجئ المسيح عليه السلام وتقديم نفســه ذبيحة فداء على الصليب نيابة عـن الجنس البشـري[4]، سوف تشـكل الأناجيـل الانعكاس المباشر بـين الصورة والمتخيـل الجماعي للعـالم المسيحي، سوف يخلق المسيح بعـدة تصورات وتشكلات رمزيـة تنتقل حسب المذهب بكون المسيح عليه السـلام (صورة الله) أو (نبي الله

(1) سورة المائدة: 12

(2) Jonathan Hill –op.cit -p22

هامش: يذكر الطبرى بأن العباسيين بقياة محمد بن علي ارسل رسول واحد الي خراسان سنة102 او 103هـ وتبعه سبعون ولكنه انتخب اثني عشر نقيبا من بينهم ، وهي اشارة إلى الآية القرانية في قصة موسى عليه السلام ، ولعلها من الروايات التي قيلت عن بني العباس وتبرير طريقة وصولهم للحكم ، وخاصة ان اغلب الروايات التاريخية كتبت في العصر العباسي .

(3) **في اللغة الانجليزية القديمة** Godspel

(4) **جون.ر.هينليس** John R.Hinnells – **مرجع سابق - ص 278**

وكذلك انظر: -سامي بن عبدالله بن أحمد المغلوث-مرجع سابق- ص 180

البشـــري) أو (ذو الطبيعتين معا)، وبذلك نـــرى بأن الديانة المسيحية تدور كلها في فلـــك المسيح عليه السلام ابتداء من الإسم وانتهـــاء بالذهنية والممارسة والطقوس المسيحية.

الفصل الثاني

العالم الرمزي للميسحية

(الفن والروحانيات)

يتصل الدين بالحيـاة الاجتماعية اتصالا وثيقا ، فالصور والايقونات والتماثيل في الكنائس مـا هـي الا تعبير عن ذلـك الترابط الوثيـق بين الحيـاة الاجتماعية بالحيـاة الدينيـة، وكذلـك الحال في جميـع الديانات سـواء الديانـات البدائية أو السماويـة الرسوليـة، فمع ظهـور المسيحية اكتسبـت الرموز طابعهـا الخاص بها والمستمـدة مـن التجرية المسيحية وتكرار شعائري لأحـداث مهمة في حياة المسيح، ويعطينـا كارل جوانـغ(CARL G. JUNG) مثـلا حول أهميـة إدراك معني الرموز، بذلك الهندي الذي زار وشاهد في إحدى الكنائس القديمة في انكلترا صور ونقوش للنسـور والأسود وثـيران، فاستنتج بـأن الانكليز يعبدون الحيوانـات[1] ، ولكن إذا ادرك ذلـك الهندي بأن تلـك الحيوانات مجرد دلالات رمزية مستمدة من التجربة الدينيـة والكتاب المقدس المسيحي، حيث شكلت رؤيا حزقيال(Ezekiel) ورؤيا يوحنا في الكتاب المقدس لأربع حيوانات غريبة[2] ، منطلقا إلى نماذج تصويرية رمزية في

(1) CARL G .JUNG- AND OTHERS –op.cit- P.20

(2) هامش: رؤيا حزقيال :(وَمِنْ وَسْطِهَا شِبْهُ أَرْبَعَةِ حَيَوَانَاتٍ. وَهذَا مَنْظَرُهَا: لَهَا شِبْهُ إِنْسَانٍ.، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَوْجُهٍ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ أَرْبَعَةُ أَجْنِحَةٍ. وَأَرْجُلُهَا أَرْجُلٌ قَائِمَةٌ، وَأَقْدَامُ أَرْجُلِهَا كَقَدَمِ رِجْلِ الْعِجْلِ، وَبَارِقَةٌ كَمَنْظَرِ النُّحَاسِ الْمَصْقُولِ. وَأَيْدِي إِنْسَانٍ تَحْتَ أَجْنِحَتِهَا عَلَى جَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ. وَوُجُوهُهَا وَأَجْنِحَتُهَا لِجَوَانِبِهَا الأَرْبَعَةِ. وَأَجْنِحَتُهَا مُتَّصِلَةٌ الْوَاحِدُ بِأَخِيهِ. لَمْ تَدُرْ عِنْدَ سَيْرِهَا. كُلُّ وَاحِدٍ يَسِيرُ إِلَى جِهَةِ وَجْهِهِ. أَمَّا شِبْهُ وُجُوهِهَا فَوَجْهُ إِنْسَانٍ وَوَجْهُ أَسَدٍ لِلْيَمِينِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ ثَوْرٍ مِنَ الشِّمَالِ لأَرْبَعَتِهَا، وَوَجْهُ نَسْرٍ لأَرْبَعَتِهَا. فَهذِهِ أَوْجُهُهَا. أَمَّا أَجْنِحَتُهَا فَمَبْسُوطَةٌ مِنْ فَوْقُ. لِكُلِّ وَاحِدٍ اثْنَانِ مُتَّصِلاَنِ أَحَدُهُمَا بِأَخِيهِ، وَاثْنَانِ يُغَطِّيَانِ أَجْسَامَهَا)

وكذلك رؤيا يوحنا في سفر الرؤيا للعهد الجديد الإصحاح الرابع(.وَقُدَّامَ الْعَرْشِ بَحْرُ زُجَاجٍ شِبْهُ الْبَلُّورِ. وَفِي وَسَطِ الْعَرْشِ وَحَوْلَ الْعَرْشِ أَرْبَعَةُ حَيَوَانَاتٍ مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا مِنْ قُدَّامٍ وَمِنْ وَرَاءٍ:، وَالْحَيَوَانُ الأَوَّلُ شِبْهُ أَسَدٍ، وَالْحَيَوَانُ الثَّانِي شِبْهُ عِجْل، وَالْحَيَوَانُ الثَّالِثُ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ وَجْهِ إِنْسَانٍ، وَالْحَيَوَانُ الرَّابِعُ شِبْهُ نَسْرٍ طَائِرٍ.، وَالأَرْبَعَةُ الْحَيَوَانَاتُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ حَوْلَهَا، وَمِنْ دَاخِل مَمْلُوَّةٌ عُيُونًا، وَلاَ تَزَالُ نَهَارًا وَلَيْلاً قَائِلَةً: «قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، الرَّبُّ الإِلهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي)

الفـن الايقوني المسيحي كرمز لأناجيل الأربعـة سواء كان بشكل منفرد أو مشترك فيمـا بينهـم ويحيطه المسيح، ويلاحظ ذلك في الشـكل الرباعي في نقوش اللوحات ورواقات الكنائس[1].

لقـد استنبطت من خلال الكتاب المقدس المسيحـي ايقونات مسيـحية تعبر عن الديـن المسيحـي وتفاصـيله عن طـريـق الفـن سواء كـان رسـم أو نقشا او نحتا، فـاذا نظرنا إلى الكتاب المقدس المسيحي، ســـوف نجد بـأنه ككـتاب ديني قــام بعملية تأثير بالغت الآثر في الفــن والأدب المسـيحي فكـما يقــول (نورثروب فراي Northrop Frye " الذي لا يعرف الكتاب المقدس لن يفهم قدرا كبيرا مما يجري فيما يقرأ "[2]، حيث سوف يغوص في بحر من الرموز والاستعارات والدلالات التي سوف نــرى طغيانها في الأدب والفن والدين، فالكتاب المقدس كما يصفه (نورثروب فراي Northrop Frye ") أشبــه بمكتبة صغري أكـثر منه كتاب حقيقي يقرأ كوحده واحدة، ويعزى ذلك لصعوبة تناوله والاحاطة به "[3].

ســوف نجد بأن كل رسم ايقوني مسيحي يختــزل ويمثل جزء أو لقطة مع صورة كبـيرة تحكي الديانة المسيحية، فمـع انتشار المسيحية ووصــول قسطنطين للحكم واعلانــه مبـدأ التسامح العام أو مرسوم ميلان سنة 312م ثم في سنة 324م اعلان المسيحيـة الدين الرسمـي للدولة الرومانيـة، أخذت تزحف حـول طابعها الحالي بـدلا من رموز وتصورات العالم الروماني الوثني، وبذلك بدء العالم المسيحي ينشأ رمـوزه الدينيـة المستمده من طقوس العهد القديم ضمــن فلك المسيح خلال أقواله وسيرته، مع مرور الوقت صار ينظر إلى الفن الايقوني المسيحي بوصفها تصويرات ايقونية مقدسة، كانت الصور المقدسة تعتبر كرموز تنتشر في كل مكان في الكنائس والاديـرة والمنازل وفي الشوارع والحوانيت وفي كل جزء من مناحي الحياة في العالم

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 229

(2) نورثروب فراي- مرجع سابق - ص18

(3) نفسه- ص19

المسيحـي، وأخذت المدن عندما يتهددها أخطار الوباء أو المجاعة أو الحرب تعتمد على قوة ما لديها من الآثار الدينية أو بما فيها من أولياء وقديسين[1].

كريستـوف فولف يؤكد "بأن الصورة تستمـد قوتها من المماثلة بحيث أنها تنتج التماثل مع ما تمثله"[2]، لذلك سوف نرى قوة التأثير التي سوف تصنعه الصورة في مقابل التصور، مما سوف يجعل الايقونات تكتسب رمزيات ومعاني خاصة وقداسة تسمتـد قوتها مـن التجربة الدينية للمسيحية ، فإذا رجعنـا إلى معني كلمة المسيح عليـه السلام، فسوف نجد بـأن الأسم يعني المسحة الواحـد ايحاله إلى معجزات المسيح في شفـاء وإحياء الموتى والعلاج (بأمر الله) عن طريق المسح[3]، وقد تعني ببساطة أيضاً الشخص المدهون بالزيت[4]، وكان اسم المسيح عند اليونان **Christos** أو **Christ** التي اشتقـت من المسح ومنها اشتق اسم المسيحيين[5]، بينما كلمة يســوع (**Jesus**) كلمـة يونانية وليست يهودية الأصـل، حيث كان المسـيح ينـادى بين شـعبه (**Yeshua**)، وهـي ببساطة كلمة مألوفة في الكتـاب المقدس بأسم يشوع (**Joshua**)[6]، في النص القرآني كان اسمه (عيسى) عليه السلام.

صور المسيح بالشخص المداوي والمعالج بيديه أو المشرف على المرضي والموتي أو كهيئة كالراعي الحاذق الذي يحمل الاغنام على اكتافه تعبيران للطريقة التي يحمل بهـا روح المؤمنين، كما صـورت بعض الرموز المشتركة في الديـن المسيحي والوثنية الرومانيـة كالحمامة تعبيران للروح القدس وعبر عـن المرساة بصمود الشخص الميـت، وكذلك تماسـك المسيحيين في مواجهـة عواصف الحيـاة[7]، كما تم احياء

....

(1) **قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثالث- المجلد الرابع -14 مرجع سابق- ص 158**

(2) **كريستوف فولف- مرجع سابق- ص 341**

(3) Jonathan Hill –op.cit -p19

(4) **ريتشارد لي،مايكل بيجنت،هنري لنكولن-مرجع سابق- ص67**

(5) Jonathan Hill –op.cit -p24

(6) **ريتشارد لي،مايكل بيجنت،هنري لنكولن- مرجع سابق - ص67**

(7) Jonathan Hill –op.cit -pp75-76

صـورة الطائـر الأسطوري الذي بعـث في أواخر القـرن الأول المسيحي وأستخدمه المسيحيين كرمز وتصوير ليوم القيامة.

يقـول جوناثـان هيـل Jonathan Hill بأنـه ربما موت القديسـين القائدان بولس Paul وبيـتر Pater في سبيـل الدعـوة المسيحيـة في رومـا جعل تلك المدينـة (روما) تكتسـب تلـك الأهمية البالغـة في تاريخ المسيحية، وفي نفس الوقـت ربما بدأنا نرى تطـور الرموز المسيحية، فمـع إعلان المسيحية كدين رسمـي للدولة تطورت عمارة الكنيسـة بما يناسب المجتمع الكنسي، التواصل لنقل الأفكار بين بعضهم البعض[1]، لقـد تطـورت الكنيسة من الخفـاء إلى العلنية ومن البساطـة إلى الفخامة والفن الهليني فاستخدم الرخام والفضة والذهب وفي الأدوات والمواضيع المتعلقة بالعبادة مثـل الكؤوسـ والصحون المقدمة للقربان المقدس التي بدأنـا نشاهدها تصنع من الذهب والفضة مع غنـى ووفره في التزيين والزخرفة، فرسمت الاصداف والقواقع في المسيحية الأولى كرموز للبعث أو الروح والخلود لانها تبقي بعد الحيوان كما تبقي الروح بعد مغادرتها للجسد، لهذا نرى الكثير من التزيينات من القواقع على الآثار المسيحية الأولى كما في كنسية تيبيسا Tebessa بالجزائر[2].

لقـد بدأت المسيحية تبني عالمهـا ورموزها الدينية وبدأت الكنيسة تأخذ مكانها في المجتمـع المسيحـي بوصفها المجمـع المقدس، جسد المسيـح وكذلك عبر عنها في الكاثوليكيـة الرومانيـة كأداة للاسـرار المقدسـة (Sacraments)، فكانت الصلوات والهدايـا التي تقدم للكنائس المشادة على الأماكن التي لاقوا فيها شهداء المسيحية الأولى العذاب والتنكيل كانت تعتبر في القرن الثالث وسيلة ناجعة لتأمين وساطتهم القـادرة على كل شيء[3]، ففي أواخر القـرن الثاني نمى القداس المسيحي بصورة بطيئـة بالاعتماد علـى صلاة الهيكل اليهوديـة، وعلى الطقوسـ اليونانية الخاصة

(1) Miranda Bruce –op.cit-p.179

(2) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 221

(3) نور الدين حاطوم، نور الدين- مرجع سابق - ص 144

بالتطهير، والتضحية البديلة، والاشتراك عن طريق العشاء الرباني في قوى الإله القاهرة للموت، حتى صارت في أخر الأمر مجموعة من الصلوات، والقراءات والمواعظ والترتيلات، وأهم من هذا كله التضحية الرمزية للمسيح عليه السلام[1].

بدأت الكنائس ابتداء من القرن السادس[2]، تمتلئ بالصور والتعابير الايقونية المسيحية التي تعبر عن التجربة الدينية بدا الناس يتوافدون ليجدوا الكنيسة مجمع ومستودع الأسرار المقدسة، ومصدر الإلهام الإلهي الروحي ومنبعه، وصورة حية للكتاب المقدس في صورته التصويرية التي تحاكي التجربة الدينية المسيحية، مما اكسبها مع مرور الوقت الهيبة والقوة والثروة في مواجهة السلطة الزمنية ، فكما يقول جون هينليس "كانت الكنائس مليئة بالصور، التي كانت تعتبر بمثابة الكتاب المقدس لعامة الشعب الاومي"[3].

لقد كان لتأثير الكتاب المقدس اثر واضح في التنوع والغنى الرمزي للفن الايقوني المسيحي، وكما يقول ميراندا بروس **Miranda Bruce**: "لقد اسهمت قصص الكتاب المقدس المسيحي في بزوغ مجموعة من الرموز"[4]، وبرغم أن الموقف المسيحي في القرون الأولى حول التصوير البشري كان أكثر صرامة ورفضا وكان مرتبطا بالمعارضة المتنامية ضد الحكم الرومان، والذي جعل اليهود يقوم بممانعة أي شكل من أشكال الصور[5]، وبلا شك فإن تجسيد الرموز الدينية بالرسم والتماثيل والنحت قد تأثر بالبيئة السائدة في الحضارة الرومانية الوثنية الهيلينية، والمحافظة إلى تجسيد التصويري .

---

(1) ديورانت،دل-قصة الحضارة-ج-3مج-3 مرجع سابق - ص283

(2) فداء حسين أبو دبسة/خلود بدر غيث –الفنون ما بين الحضارات القديمة والحديثة – دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع- الأردن- ط-1 -2011ص 101

(3) جون.ر.هينليس John R.Hinnells –مرجع سابق- ص 68

(4) 516 - Miranda Bruce-op.cit -p.179

(5) Anders Hultgard - Religious symbols and their functions-'' Man as symbol of God''- -Almqvist & Wiksell international-stockholm/Sweden-1979-pp.110-111

ولكن برغم ذلك ليس من المؤكد كما يقول جوناثان هيل **Jonathan Hill** بأن يكون تأثيرات الأديان التقليدية الرومانية الوثنية هو منبع نشأت رموز الأسماك المسيحية أو استعارة تلك الرموز من الأديان التقليدية وتفسيرها مسيحيا[1]، وكذلك الحال مع باقي تصوير الرموز الدينية المسيحية، ولكن مع ذلك فإن تجسيد الرموز الدينية كما هو الحال مع القديسين وشهداء المسيحية قد تأثر بالصبغة الهلينية، وبالتالي فإن الفن الايقوني المسيحي كرموز دينية يجب تفهم ضمن الاطار الذي نشأت فيه والذي يعبر عن المسيحية وتاريخها.

سوف يشكل الكتاب المقدس المسيحي منطلقا لبروز وتنوع وانتشار الرموز الدينية المسيحية في العالم المسيحي برغم الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لتلك الشعوب، حيث يؤكد ترولتش (**Troeltsch**) بأن الانجيل بما يحتويه من اعتقادات خاصة بصلب المسيح ورفعه لسماء والإيمان باليوم الآخر كشيء مقدس، قد أثر في المؤمنين به بغض النظر عن أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية[2]، سوف نشاهد تأثير الكتاب المقدس المسيحي ، وكما سوف تصبح الكنيسة على حد قول ميريششيا إلياد بمثابة العالم المقدس[3]، فنجد بأن هنالك عناصر من الحياة أكسبها الإنسان المسيحي دلالات رمزية لتعبر عن المعتقد الديني المسيحي.

يؤكد العهد الجديد في الكتاب المقدس المسيحي على الخبز والخمر القرباني وتكاثر ارغفة الخبز على يد السيد المسيح، لذلك برزت تلك الخلفية في الفن الايقوني المسيحي في الكثير من اللوحات والنقوس وبصورة كبيرة وفي الكنائس البيزنطية بشكل كبير، حيث يدلل (فيليب سيرنج) بأن النقطة الجوهرية في تصوير القربان المقدس وتكاثر الارغفة هو مدلول المعجزة الذي هو رمز القربان المقدس كما أن كروم العنب ضمن الفن الايقوني المسيحي رمز ومدلول قرباني

(1) Jonathan Hill –op.cit -p54

(2) Troeltsch-The Social teaching of the Christian Churches- vol 1 - Westminster John Knox Press-1992-p999

(3) مرسيا إلياد- المقدس والمدنس- مرجع سابق-ص.48

لارتباطها بالخمر، فكما يقول (فيليب سيرنج) « فالخبز والخمر اللذان كانا حتى ذلـك الحين غذاء للجسد سيصبحـان بدءا من ذلك الحين غذاء روحانيا، فالعنب وارتباطـه بالخمر رمز لدم المسيح، لذلك فإن طقوس سكب الماء والدم في الكنسية تعتبر طقوس تطهيرية ترمز للحياة والميلاد والانبعاث[1].

لقـد أصبح الخبز والخمر اللذان كان يعـدان في الطقوس القديمة هدايا توضع على المذبح أمام الإله، تجسيد ورمزية لجسد المسيح ودمه بسبب تدشين القساوسة لـه، وأصبحا يقدمان لله بوصفهما تكرارا لتضحية المسيح بنفسه، على حد قولهم، كمـا اعتـبر الرمان في الفـن المسيحي الرمان، رمـز الاحسان الـذي ينتشر كبذور الثمرة عندما تنتفخ.

كمـا يدخل السمك في الفن الايقوني المسيحي كرمزيـة القربان المقدس بجانب الخبـز وتظهـر واضحـة في لوحة العشـاء الاخـير للمسيـح (La Cene) في سانت ابـو لينير الجديد (رافين) وترجع تاريخها إلى القرن السادس، إن القربان المقدس المتمثل في العشاء الرباني Communion حيث يرمز العشاء الرباني على عشاء الاخير لسيدنا (عيسى عليه السلام) مع تلاميذه اذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، فالخبز يرمـز على جسد (المسيح) الذي كسر لنجاة البشرية، ويرمز الخمر إلى دمه الذي سفـك لهذا الغرض فمن خلال أكل الخبز والخمر تكمن الرمزية، بأن ذلك دلاله لتمازج الأكل وبين المسيح وتعاليمه[2].

كمـا أن جانب اخر يعتقد بأن رمزية القربـان المقدس المتمثله في العشاء الاخير الربـاني أنما ترمـز إلى الحقيقة[3]، وفي العصـور الوسطي صـور الكأس المقدس المسيحـي (Grail) الذي قيل بـأن سيدنا المسيح عليه السلام استخدمه في العشاء الاخير بصـورة رمزية، بكونه يحمل المعاني المقدسة والقـوى الروحية وتنقلها؛ لان

(1) Monsignor Di Falco And Others: op.cit-p24

(2) سامي عبدالله بن أحمد المغلوث، - مرجع سابق- ص 278

(3) Miranda Bruce- op.cit -p.177

المسيـح قد شرب منها[1]، مما سيجعـل من هذا الكأس أداة تحاك منها الأساطير والتسـأولات في العالم المسيحي، ومنها عن الشيفـرة الخفية الرمزية للكأس والدم المقدس بوصفـه يحمل السـر المقدس لنسل سيدنـا المسيح عليه السـلام، وبرغم أن العشـاء الربـاني المسيحـي وجـد في الكثير مـن الديانات القديمـة التي سبقت المسيحيـة[2]، الا أن اكتسـب رمزيـات ومعـاني خاصة بالديـن المسيحي، والحال كذلك مع رمز الصليب الفرعوني (الانكا أو مفتاح الحياة).

كمـا أن القديسـين يشاهدون في الكنائس على أهبه صيـد الأسماك بصورة منحوته أو مرسومة [3]، ففي الكتاب المقدس المسيحي، يذكر انجيل متى الإصحاح الرابـع (وَإِذْ كَانَ يَسُـوعُ مَاشِيًا عِنْدَ بَحْرِ الْجَلِيلِ أَبْصَرَ أَخَوَيْـنِ: سِمْعَانَ الَّذِي يُقَالُ لَـهُ بُطْرُسُ، وَأَنْدَرَاوُسَـ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَـةً فِي الْبَحْرِ، فَإِنَّهُمَا كَانَـا صَيَّادَيْنِ. فَقَالَ لَهُمَا: «هَلُـمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا صَيَّـادَيِ النَّاسِ».)، لذلك نرى في الكنيسة الكاثوليكية تقليد لبس خاتم صيادي الأسماك، انما هو تعبير لمحاكاة رمزية السمكة في الديانة المسيحيـة والتـي تعود أصولهـا إلى القديس بطرسـ، لذلك فـإن اللباس المسيحي لرجـال الدين من (قلنسـوة والثوب الكهنوتي وقبعة الرأسـ)، بالاضافة إلى خاتم صيادى الأسماك فإنها رمزية تلاحمهم وتزاوجهم بالكنسية [4].

كمـا أن للحيوانات نصيب في المعنـي الرمزي المسيحي، فنرى بأن تمثيلات الايل عديدة جدا في الفن المسيحي وأقلها كان في القرون الأولى وهي ترمز للروح المسيحية مرتويـه مـن نبع الحياة، فمن خلال هـذا المشهد في المزمور الثـاني والاربعون من الكتـاب المقدس المسيحـي(كَمَا يَشْتَاقُ الإِيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَـاهِ، هكَذَا تَشْتَاقُ نَفْسِي

---

(1) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق - ص 281

(2) هامش: في الحضارة الفارسية الطائفة الميثرانية (عقيدة مثرا) حيث ذكر عشاء مقدس رباني لمثرا (ذلك الذي يأكل من جسدي، ولن يشرب من دمي، لن يكون معي، ولن أكون معه، ومن ثم لن يجري تخليصه): العبارة مأخوذة من كتاب مثرا للمؤلف فيرماسيرين.

(3) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 212

(4) Monsignor Di Falco And Others – op.cit -p55

إلَيْــكَ يَا اللّهُ») ونادرا جدا مــا يختصر الفن الايقوني المسيحي بأيل واحد وأما إذا آتى بصورة منفرده فإنه يرمز إلى المسيح.

الأيائـل تصــب المياة في براميــل التعميد، فإنما هو تشبيــة حيث يرمز التعميد ولادة للحيــاة المسيحية، كما اعتبر قرون الايائل في الفن الوثني لولادة جديدة ،لان قرون الايائل تعاود ولادتها في الربيع ، لذلك سوف نرى من بعد أن الايل الذي ظهر الصليــب من بين قرونه ســوف تحافظ على القيمة الدينية لقــرون الايل، ولكن مع توافق وتماشي مع المسيحية، حيث أصبحت رمزا للخصب الروحي[1].

تحيل الخراف والحمل في العهد القديم بتضحية إبراهيم بإبنه إسحق بخروف، في حــين في الإسلام والقرآن الكريم كان الذبيــح هو إسماعيل ابن إبراهيم عليهما الســلام والذي افتــدي بكبش عظيم قال تعــالي﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيــم ﴾[2]، إما في المسيحيــة كان الحمــل هو رمز للمسيح الذي ضحى مــن أجلٍ البشريةً في انجيل يوحنــا الإصحاح الأول يذكر يوحنــا المعمداني (وَفِي الْغَدِ أَيْضاً كَانَ يُوحَنَّا وَاقِفًا هُوَ وَاثْنَانِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ، فَنَظَرَ إِلَى يَسُوعَ مَاشِيًا، فَقَالَ: هُوَذَا حَمَلُ اللّهِ!) ، فكان تصوير المسيــح في الفــن الايقوني المسيحــي المسيح بصــورة الحمل إستعــارة كذلك بكونه الذبيــح المخلص والحمل الوديع الذي يتجنب العنف، فنجد تكرار تلك الصورة في سفــر الرؤيا كذلك فان الحمــل المحاط بهالة أو بصليب حســب الظروف المنقوشة علــى الفسيفســاء وعتبــات الكنائس انمــا تصوير للمسيــح ، وكذلك تمثــل نقوش وفسيفســاء تماثيل المسيــح على هيئة الراعي الصالح حاملا بــين ذراعيه حملا أو علــى كتفيــه بصورة خاصة أو قائمــا برعاية الغنم والخــروف أو النعاج والتي تعبر كما يقول فيليب سيرنج:» كرموز للإنسانيين أو المسيحيين وبدقة اكثر الرسل عندما يكــون عدد النعاج اثني عشر، فكان تصوير الحمــل مألوفا في رسوم الفن الايقوني

(1) فيليب سيرنج- مرجع سابق- ص 109

(2) سورة الصافات : 107

المسيحي، فالقديس يوحنا المعمداني يصور وهو يرتدي بصورة شبة دائمة لباس لجلد الخروف أو مصطحب لحمل أو يحمله بذراعيه أو يحمل بيديه كتابا رسم عليه حمل[1] ».

أما الأسد فنراه في الرمزية والفن الايقوني المسيحي يظهر بعده تلونات منها كرموز للشر عندما تواجه المسيح والأنبياء والرسل المسيحيين والتي تعبر عن انتصار الخير على الشر ولكن في رمزية أخرى يظهر الأسد في صورة الحارس الحامي لشجرة الحياة أو المجال، والأسد الأكثر شعبية في المسيحية هو أسد الانجيلي للقديس مارك الذي سوف يصبح رمز للقوة وللملكية المسيح [2]، كما رأي عدد من المفسرين لأسد القديس مارك رمزا اخر فيه وهو رمز الحيوية؛ لان الحيوان ينام وعيناه مفتوحتان، وكذلك رمز لقيامه الأيام الثلاثة؛ لانه يولد أعمى وينظر في اليوم الثالث فهي صور داله للمسيح الذي استيقظ في الليل من القبر منتظرا القيامة في اليوم الثالث، كما اعتبر الأسد رمز شهري تموز- آب في فلك البروج الذي طالما نحت على أبواب الكنائس أو الكاتدرائيات إشارة إلى المظهر الكوني للمسيح[3].

أما الحمام فقد تبنت المسيحية رمزيها الوثنية القديمة بوصفها ترمز للروح المقدسة، فالعصافير والحمام تمثلت في الحضارة الفرعونية كرمز للارواح، كما صورت في الفن الايقوني المسيحي كهيئة الأرواح على شجرة الجنة[4]، إما الديك فيربط في الفن الايقوني المسيحي بقصة المسيح عليه السلام والقديس بطرس من خلال الكتاب المقدس المسيحي إنجيل متى 26 (فَتَذَكَّرَ بُطْرُسُ كَلاَمَ يَسُوعَ الَّذِي قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُني ثَلاَثَ مَرَّاتٍ». فَخَرَجَ إِلَى خَارِجٍ وَبَكَى

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 70
(2) نفسه – ص 100
(3) نفسه- ص 95
(4) فيليب سيرنج –مرجع سابق – ص 173-172

بُـكَاءً)، وبالتـالي سوف نرى ارتبـاط القديس بطرس بالديـك في الرسم الايقوني المسيحـي، كما ان الغـراب إذا كان يحمل في منقره خبزا لرجـل فالرسم الايقوني يرمـز إلى (ايليا) أو القديس بولس الراهب[1]، لقـد كان لتأثيرات الرموز الوثنية والاستنبـاط منهـا وصبغها بصبغة دينية مسيحية الأثـر البالغ في بروز العديد من الأشكال الايقونية التي كان لها امتداد وثني قديم، ولكنها أصبحت الان في المسيحية تكتسب دلالات ومعاني مسيحية رمزية خالصة.

كمـا شكلت شجرة الحياة جزء لا يتجزأ مـن الفن الايقوني المسيحي التي زينت الكنائس على مر العصور والقديمة على وجه الخصوص، وشجرة الحياة في اغلب الحضـارات شكل رمـزي للخلود، حيث وتشـكل شجرة الحيـاة الرابط بين الحياة والموت، والسماوي والدنيوي ورمزية النمو والتجديد والخلود بالنسبة لديهم، ويبين (مريشيـا إلياد) رمزية شجـرة الحياة وعلاقتها في الصليب وجـذور المتناهية في القدم لرمزية شجرة الحياة وارتباطها بالخلود .

فالصليـب المصنـوع مـن خشب شجـرة الخير والشـر متماهيـة أو يحل محل الشجـرة الكونيـة (شجرة ترتفع من الأرض إلى السماوات)، كمـا يذكر بأنه ثمة نصوص عديدة من آبـاء الكنيسة وطقوسيـة تقارن الصليب بسلـم أو حبل وتعبر عـن الصليب كمركز للعالم ومتصل بالسمـاء كرمزية للخلاص، أي اكمال لمفاهيم التجـدد والتجديد الكوني المستمر والخصب والقداسـة والتي مؤدها الخلود، وكل تلـك المفاهيم تتواجد في رمزية شجرة الحياة[2]، كمـا ارتبطت في المسيحية فكرة البيضـة كرمزية للتجديد فكان يجري تبادل البيضات الملونة باللون الأحمر في عيد الفصح المسـيحي في بعض البلدان حيث اقتـرنت البيضة بجمـلة(بعث المسيح) حيـث اعتبرت البيضة رمز للقيامة برغم محـــاولات الكنيسية منـع هذه العقيدة

....

(1) نفسه - ص 192

(2) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث - - مرجع سابق -ص 438

منذ بداية المسيحية [1].

يمتلك الرمز الديني القوة الفاعلة التي تربط الجماعات الثقافية بعضها ببعض، التي تجعلهم يدركون بانتمائهم الثقافي لتلك المجموعة، فإذا كان الرمز والصور كما يذكر (ك.غ.يونغ) «بمثابة قوى وشحنات إيجابية رابطة للإنسان، فإن الرمز ارتبط تاريخيا بزمان وثقافة محددة ولكنها مرتبطه أكثر بالعالم الروحي الإيماني الذي يسمو فوق كل شيء والأكثر غنى واستمرارية من العالم التاريخي»[2]، لقد أبرز الفن الديني المسيحي مساحات شاسعة لتشكيل وإعادة إحياء لتاريخ المسيحية وقداسيتها في إطار فني ديني، تلغى به الذاكرة الوثنية الهلينية القديمة، بذاكرة جماعية تستمدة قوتها واستعارتها الفنية الدينية من الدين المسيحي الجديدة فمشاهدة القديس بطرس وهو يحمل مفتاح في يده كرمزية لمفاتيح الجنة[3].

لقد أصبحت الأمكنة والاشياء المقدسة (آنية للطاقة الإلهية) بالنسبة للمسيحي وبوصفها مصدر الخلاص الإلهي، وتكمن رمزية الايقونات ورفات القديسيين بأنها جعلت المسيحيين يعتقدون بأن من الممكن الاتصال بين السماء والأرض[4]، فنرى بأن النور عادة ما يكون رمزا للخير والقداسة عند مجمل الأديان لذلك فهالات النور المسيحية حول المسيح أو حوارية والقديسين ومريم العذراء انما تعبير عن تلك القداسة والمكانة، كما عبرت نور الشمس عند اخناتون الفرعوني بقداسة الإلهية، وكثير ما اقترن صورة السيدة مريم العذراء عليها السلام في الفن الايقوني المسيحي متبوعة بالقمر وبالهالة المقدسة، كما ترمز العذراء غالبا للكنيسة واتحاد السماء بالأرض[5]، لتشكل العذراء عليها السلام في المسيحية حلقة وصل بين

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 169
(2) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص257
(3) Miranda Bruce –op.cit-p.239
(4) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث – مرجع سابق- -ص 67
(5) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 243

المقدس العلوي والدنيوي بوصفها أم للمسيح عليه السلام، وعموما فالدائرة في الفن الايقوني المسيحي هي هالة القداسة التي تحيط ببعض الوجه المؤسسة للديانة المسيحية وفسرت في بعض الحالات كأنها المجد ، فهالة المقدسة كانت في البداية مقتصرة على السيد المسيح ثم انتقلت لتشمل وتحيط في القرن الخامس الميلادي على القديس الرئيس[1].

ترجع بعض الدراسات بأن تصوير تجسيد المسيحيين للسيدة العذراء وهي تحمل ابنها المسيح عليه السلام وفوق رأسها هالة من النور كرموز دينية استوحها الفن المسيحي من الإله ايزيس ربة القمر لدي قدماء المصريين، وكان يرمز لها بامرأة على حاجب جبين قرص القمر وعبدها المصريون القدماء والبطالمة والرومان، وكان لها معابد عدة في البلدان الرومانية، واشتهرت ايزيس بأسطورة أوزوريس Osiris، وقد اعتبرت ايزيس أم الطبيعة وأصل الزمن، فكان تشخيص ايزيس في تماثيل وهي حاملة ابنها حورس وفوق رأسها قرنان بينهما قرص القمر[2]، فكان لاستبدال الإله ازيس بالسيدة العذراء والقمر بهالة النور والإله حورس بالسيد المسيح عليه السلام.

يفسر (ميريشيا إلياد) ذلك بحالة الانبهار والشعبية الكبري للأسرار المصرية في القرون الأولى من العصر المسيحيين مما جعلهم يستعيروا بعض ملامح الايقونات وميتولوجيا العذراء مريم قد استعيرت من ايزيس isis، حيث يصف ذلك بإنه كان إبداع ديني رسمي وليس انبعاث مصنع ومستهلك[3]، لقد فهم كثير من المسيحيين الاقباط المصريين بأنه يوجد الكثير من المماثلة بينهم وبين العقيدة المصرية القديمة، فرمزية الثالوث الإلهي في الديانة المسيحية تماهي الديانة والإلهة الفرعونية المصرية القديمة (ايزيس حورس أوزيريس) مع إمكانية تمازج

(1) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 488
(2) عيسى الحسن – مرجع سابق –ص 151
(3) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث - مرجع سابق - ص 321

البشر بالإلهه الفرعون ابن الإله، والصليب المسيحي ما هو إلى امتداد لمفتاح الحياة (عنــج أو الانــكا، الصليب) الذي يعتبر جــواز البعث وانتظــار الحساب، وإنجاب السيــدة مريم العذراء بدون نكاح حسي توازي قصــة ايزيس التي تحبل من زوجها الميت[1] .

لقــد ساهــم ذلــك التقريــب في نشر وفهــم الديانــة المسيحية علــى نحو قبطي (مصري) خاص، كما أسهم في إبراز وتقريب الصور الرمزية للمسيحية على نحو مقــارب للتمثيــل الفرعوني القديم للإله (ايزيس حورســ أوزيريس) ، ولكن برغم ذلك تعتبر تلك الاستعــارات الرمزية نموذج للرجوع للطراز البدائي للرمز الديني التي تعيد تشكيل نفسها على مر القرون بمعاني تناسب معتقدات أصحابها.

تكمــن أهميــة الرمز أنه يعطــي دلالات، كاللباســ على سبيل المثــال، حيث كما يقول(امبرتــو ايكو) " فثوب الراهب لــة وظيفة اولية (انه يغطي الجسم ويقيه من الــبرد) الا أن استعمالــه في المراسيم الدينية يمنحه وظائــف ثانية:فهو يمكننا من التمييــز بين راهب دومنيكي واخــر بتندكتي"[2]، حيث الراهــب البنتدكتي يذهب إلى الابتعــاد عن الزخرفــة وصور الألوان، وهــذا السبب وراء خلــو أديرة الرهبان البنديكيــت من أية ألــوان وبقائها بيضاء جــرداء بدون شوائــب، وتشويش الألوان والصــور، كما تختلــف الألوان اللباس ورمزيته وتراتبيتهــا في المجمع الكنسي لدي رجــال الدين المسيحيين ففي المسيحيــة الكاثولوكية فاللباس الابيضــ يلبسه البابا وحــده، بينما رجال الأقل مرتبة بقليل من البابا وهم الكارادله **Cardinals** والأساقفة فيلبســون الــرداء الأحمر رمزية للاخلاصــ للبابا إلى حد سفــك دمائهم من أجل المسيــح والكنيسة[3]، فالأحمر لون الدم ويكتســب دلالات التضحية، بالاضافة إلى ذلــك كان اللــون البنفسجي الذي يحيــل بأنه كان رداء المسيح عنــد صلبه على حد

(1) يوسف زيدان – مرجع سابق- ص 82

(2)امبرتو ايكو- مرجع سابق - ص 72

(3) Monsignor Di Falco And Others –op.cit -p55 546-

زعمهم حيث يفند الله تعالى في قرآنه الكريم تلك المزاعم حول صلب المسيح[1].

يكمن تأثير الألوان بأنه يخلق اقصى تأثير واهتزاز للعين حسب درجاته[2]، ليعطي اشارات ودلالات نفسية ورمزية تضفي معاني للحياة وأشكالها المختلفة وتعبر عن الحالة النفسية والاستعدادت الذهنية لتأويل تلك الدلالات بنواحي ثقافية، لذلك سوف نجد بأن للألوان دلالالتها في المسيحية، فاللون الأزرق رمز ولون للسماء وهو اللون الشائع للسماء في أغلب الحضارات، سوف تتنامي رمزية وشعبية اللون الأزرق في المسيحية باعتباره لون سماويا وربانيا مقدسا تسعى البشرية إلى التفاخر به لأنه مرتبط بالأمجاد السماوية[3]، كما انه غالبا ما مثل السيدة مريم العذراء عليها السلام ترتدي اللون الأزرق ولكن سوف يصبح رداؤها عند الارثوكس من اللون الأزرق مع معطف باللون الأحمر وذلك حسب الظروف.

كما اعتبر اللون الأزرق والابيض رمزا للنقاوة والطهر والصفاء ، وفي مرسوم بابوي أصدره أنوسنت الثالث (المتوفي1216) حدد فيه الألوان الرئيسية للاعياد المختلفة: الأبيض لعيد الميلاد وعيدي الفصح والصعود، ولباقي الأعياد التي تمجد الرب والعائلة المقدسة والأحمر لأعياد العنصرة أو الخمسين والصليب المقدس، وأيام الشهداء، أما الأخضر فلأيام آحاد ما بعد الغطاس والثالوث الأقداس، وسائر أيام الأعمال، أما الأسود فلأيام الآحاد الأربعة السابقة للميلاد والصوم الكبير والجمعة الحزينة وعيد الموتي، فكان الربط بين الربط بين الأرض واللون الابيض، والربط بين البحر والارجوني وبين السماوات وزرقة الزبيق وبين النار والقرمزي[4]، ومن بعد صدرت عدة قرارات كهنوتية كنسية تحاول أن تكبح جماد

(1) هامش : (وَقَوْلهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّه وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذينَ اخْتَلَفُوا فَيه لَفي شَكٍّ منْهُ مَا لَهُمْ به منْ علْم إلا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقيناً (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّه إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّه عَزِيزاً حَكِيماً 158) (سورة النَسَاء)

(2) Martin Lings –op.cit-P30

(3) هيرمان بلاي Herman Pelij – مرجع سابق -ص 15

(4) نفسه - ص 27

الألوان والمبالغة فيها.

كمـا جاء الفيلسـوف توما الاكويني فيعزز تلك الألوان برمزيات وفضائل وقيم اخلاقية، فالبياض يعني الطهارة والأرجوني يمثل الاستشهاد ، في حين يرمز الأزرق إلى التحرق للخلود. أخيراً يجسد اللون الأحمر عاطفة الحب[1]، سوف يضفي الكتاب المقدس المسيحي معاني ورمزية للألوان في المسيحية، وتلك التأثيرات سوف تظهر جليـا في صفحات الحياة في العالم المسيحي والأدب المسيحي بكل تجلياته، فالمواقع والمؤسسات والعلاقـات الاجتماعية والملابس هي أشـكال رمزية (كاسيرير1923، لانجر 1953)، أودعها الإنسان تجربته لتصبح قابلة للابلاغ "[2].

كمـا أن تعابـير الجسـد أصبحت تشـكل معـاني رمزيـة ودلالات ، فنجد بأن المسيحيـة الكاثولوليكية تتميـز بإبرز تفاصيل الدقيقة الجسـد والمعني مثل ثنايات الملابسـ واتساع العين، في حـين أن الرسوم المسيحية الايقونيـة الشرقية االقبطي فإنهـا تركز على المضمون والرمز على حساب الشـكل، لقد أضحت تعابير الجسد تحكـي قصة حيـث رسمت وعينت لغة الجسـد بدقة لتعطي الرمزيـة المراد بها في الفـن الايقوني المسيحي مثل اتساع العينيين التي برزت لتؤكد رمزية العيون كنوافذ للروح[3]، كما نجد العين في احيانا أخرى رمز رمز الإله الأب[4].

كما أن الفن المسيحي استوحى من اسم المكان معني لتصوراتها فالمكان الذي يقـال انه صلب فيه المسيح حسب الديانة المسيحية يسمي بالعبرية **Golgotha** جلجلة التي تعني جمجمة وكالفاريوم **Calvarium** في اللاتينية، لذلك يمكننا أن نشاهد اثناء مشاهـدة الفن المسيحي الايقـوني حول حادثة الصلب في بعض اللوحات الكثير من

(1) هيرمان بلاي Herman Pelij – مرجع سابق -ص 27

(2) امبرتو ايكو- مرجع سابق- ص 203

(3) Miranda Bruce –op.cit--p.107

(4) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص 254

الجماجـم في الأرض عند قاعدة الصليب [1]، وربما كان هذا الموقع كان مخصص لتنفيذ احكام الصلب والاعدام أمام الناس لذلك كان يدعى بالجمجمة (gol–go–tha Golgotha) لكثرة القتلي في ذلك المكان أو لموقعه المرتفع الذي يشبة الجمجمة.

وأخـيرا نأتي لذكر إحدى الرموز المسيحية دلاله وهــى السبحة المسيحية Rosary والتــي تعتبر من أكثر الرموز الدينية المسيحيــة الواسعة الانتشار، ويرجع إلى كلمة rose – garden (باللاتينيــة rosarium) كرمز لتاج وشرف العذراء، ويتكون من خمس مجموعــات مفصولــة وكل مجموعة بها عشــر حبات وتخصص لتــلاوة الخمسين للسيدة مريم العذراء في الطقوس المسيحية[2]، والاشكال الأساسية لسبحة الصلاة المسيحية هي الكمبوسكيني أو شوتكي التي يستخدمها المسيحيون الأرثوذكس في عد تكرارات تسبيح يسوع، وتلاوة سلسلة من التأملات عن أحداث في حياة المسيح وأمه تــوزن بترديد قانــون الإيمان المسيحي[3]، وسوف نخوض في رمزية السبحة بشكل عام وبشيء من التفصيل، عند الحديث عن السبحة ورمزيتها في الإسلام.

إن التصويــر الايقوني المسيحي هي مجموعة من الرمــوز والصور والاستعارات التــي تتبــادل المواقع والاساليب لتعبر وتلخص مجمل الديانــة المسيحية، لقد حاول المسيحيــون إضفاء رمزيــة وإيحاءات وتشبيهات وإستعــارات ضمنية للرمز الديني بصــوره ملموســة مشاهدة للعيان تعكــس الدين المسيحي على شــكل رموز وأشكال فنية، فالمسيح هو الحمل والراعي الطيب وتصرفات المسيح تقاس وترسم وتستعار من الطبيعة بصورتها المسيحية، ومع ازدياد تلك الايقونات ظهر الاصوات المعارضه لها بكونها تعبير والرجوع إلى الوثنية وعبادة الصور والتماثيل، فكانت الحرب على الأيقونات إحدى مراحل الصراع بين معارضيها ومؤيديها.

(1) نفسه- ص 247

(2) Monsignor Di Falco And Others – op.cit-p110

(3) جون .هينليس- مرجع سابق -- ص613-612

الفصل الثالث

حرب الايقونات

(بين التدين الأمي والتدين الرسمي)

الرمــز الديني يتغلغـل في النفس البشرية، ليضفي عليها أبعــاد ثقافية، فالرمز ســواء كان كيــان تصويري أو غير تصويري يمثل من خــلال خصائصه الشكلية أو مــن خلال طابعه العرفي، حدثــا أو قيمة أو حدسا أو هدفا مثــلا الصليب (علامة الصليب)، المنجـل والمطرقة، جمجمة ميت (علامة شعارية) علامات البحرية[1]، لقــد أدى انتصار المسيحيــة في عهد قسطنطين على الوثنية، جعـل الكنيسة تمقت الصــور والتماثيل التي اعتبروهــا بقايا الوثنية، وتنظر بعــين المقت إلى فن النحت الوثني الذي يهدف إلى تمثيل الإلهة، وبرغم ذلك ظلت التماثيل والصورة المقدسة برغم حرمتها تقاوم هــذا التحريم، وظلت تلامس مجمل نواحي الحياة المسيحية، فهي رمزية ورسالة على حد قول (ماك لوهان)[2].

لقد كان لتأثير البيئــة والتقاليد والتماثيل اليونانية اكبر الاثر في القسطنطينية والشــرق الهلنستــي، كل ذلــك خفف من حــدة مقاومــة الأفكار الوثنيــة، ولكن مع تضاعف عدد القدسيين المعبودين، نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم، فظهرت لهم ولمريم العذراء كثــير من الصور، فعظم النــاس صور المسيح، وخشبة الصليب، حتــى لقــد أصبح الصليــب في نظر عوام النــاس طلسما ذا قــوة سحرية عجيبة، حتى حول الشعب المسيحــي الآثار والصور والتماثيل المقدسة إلى معبودات، يسجد لها ويقبلونها ويوقدون لها البخــور والشموع ويتوجونها بالزهور ويطلبون المعجزات

(1) امبرتو ابكو- مرجع سابق - ص37

(2) كريستوف فولف- مرجع سابق - ص 346

بتأثيرها الخفي[1].

لقــد حــاول اصحابهــا أن تعالج وتلمس المقدســ والدين والمشاعــر لدي المتفرج المسيحــي وتعيده إلى رمزيــة التمثيل وتوطن رمزيتها في الذاكــرة والمتخيل، وتجعل التماثيل والصــورة المقدسة كشئ مطلق القداسة والكمــال وتمثيل ومحاكاة للواقع بحيــث تختزل جميع أجزاء القصة والدين والمقدســ ككتاب مقدس يروى تفاصيل القصة بشكلها التصويري. فتجدها تعمل وتحلل "ما حصل من علاقات بين الاشياء والبشر فتنقلهم إلى عالم الظهور الخلاب" على حد قول كريستوف فولف[2]

لقد تمسك اللاهوت المسيحي بعقيدة ونتائج مجمع نيقية الثاني **Nicea II** الذي قرر بأنــه من المناسب توقير الصور المقدسة، مع مــرور الوقت وثبات وانتشار المسيحية صــار ينظر إلى الفن الايقــوني المسيحي بوصفها تصويــرات ايقونية مقدسة، مما جعل المسيحيون يقدسون الرموز الدينية والايقونات، حتى أضحت كما يقول روجية كايوا **Roger Caillois** "إن ألوهة المسيح حاضرة بالكامل في كل كسرة من كسر الخبز المقدســ"[3]، في القرون الأولى المسيحية كان موقف المسيحيين الأوائل من تصوير البشــري **Aniconism** أكــثر صرامــة ورفضــا وكان مرتبطا بالمعارضــة المتنامية ضد الحكــم الرومان، والذي جعــل اليهود يقوم بممانعة أي شكل من أشكال الصور[4]، ولكــن مع انتشار المسيحية ســوف تخفت الاصوات المعارضة وتصبح من غير نتيجة تذكر.

لقــد نــادت الكنسية مــرات عدة بــأن الصور ليســت آلهه بل هي تــذكار وعظه فحسب[5]، فالعهد القديم في الكتاب المقدس المسيحي يقف ضد ذلك التوجة وعدم

(1) دل ديورانت – قصة الحضارة– الجزء الثالث– المجلد الرابع 14 – مرجع سابق – ص – 157 – 158

(2) كريستوف فولف– مرجع سابق ص 346

(3) روجيه كايوا Roger Caillois – مرجع سابق – ص 40

(4) Anders Hultgard – op.cit-pp.110-111

(5) Jonathan Hill- op.cit - p140

تمجيـد الايقونات وعبادتها، ففي الوصايا العشـر المسيحية **Decalogue** وسفر التثنية الإصحاح الرابع عندما يخاطب سيدنا موسى عليه السلام قومه (احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَنْسَوْا عَهْدَ الرَّبِّ إِلهِكُمُ الَّذِي قَطَعَهُ مَعَكُمْ، وَتَصْنَعُوا لأَنْفُسِكُمْ تِمْثَالاً مَنْحُوتًا، صُورَةَ كُلِّ مَـا نَهَاكَ عَنْـهُ الرَّبُّ إِلهُكَ. لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هُوَ نَارٌ آكِلَةٌ، إِلهٌ غَيُورٌ.)، لذلك كان المسيحيون الأوائل يتجنبون التصوير والايقونات.

لكن هذا المنع سوف نرى من بعد بأنه سوف يتم تجاهله في الامبراطورية الشرقية بـدء من القرن الثالث عندما ظهـرت الرسوم الدينية الايقونيـة (صور أو مشاهد مستلهمـة من الكتابات) في المقابر والصـالات حيث يتجمع المؤمنين وهذا التجديد تبعه عن قرب انطلاق عبادة رفات الشهداء القديسيين وفي القرن الرابع والخامس تكاثـرت الصور وتنامي تمجيدها والدفـاع عنها، وأصبحـت الكنائس تمثل العالم المقدس، ومع ذلك لم تصبح الصور موضوع للورع والطقوس في الكنائس إلا بحلول نهايـة القـرن الرابع واثناء القرن السابع، فقد كان يصلـى ويسجد أمام الايقونات وكانـت تعانق وترفع أثناء الاحتفالات، وظهرت بعض الصور معجزة قيل عنها أنها ذات قوى خارقة للطبيعة استطاعت أن تحمى المدن والقصور والجيوش[1]، ويفسر محمـد عابد الجابـري ذلك إلى انه مظهر من مظاهر الصـراع بين الامبراطورية الرومانيـة المسيحية مع الحضـارة اليونانية وفلسفتها الاغريقيـة الوثنية[2]، ولكن سوف نرى ابتداء من أواخر القرن السادس الميلادي ظهور اصوات معارضة صارمة جادة وكثيره تدعوا إلى محاربة الايقونات وتحطيمها وازالتها.

لقـد وضعت عدة تبربـرات لذلك التوجـه في عبادة والتصويـر الايقوني، فبرر س.سـن. باسيل ويوحنا الدمشقي وتومـا الاكويني (1225 – 1274) احترام الصور وحاجوا بـأن العبادة موجهة إلى الحقيقة التي تمثلهـا الصور[3]، بينما أخذ بعض

(1) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث – مرجع سابق ص 65-66

(2) محمد عابد الجابري، - فهم القرآن الحكيم-القسم الأول – مرجع سابق - ص 383-382

(3) جون.ر.هينليس John R.Hinnells – مرجع سابق-ص 331

المسيحيين فتوي رجال الدين المسيحيين بأنه طالما أن الإله قد جعل من نفسه إنسانا في شخص يسوع فانه من المشروع تصوير الوجوه[1]، وعارضوا من ينكر تمثيل المسيح بايقونه حيث كانت حجتهم؛ بأن من ينكرون تصوير المسيح كايقونه ينكرون ضمنا حقيقة التجسد، ولكن برغم ذلك كان التاكيد من قبل يوحنا الدمشقي (749 – 675م) وتيودور الستوديت (759 – 826 م) بأن الصورة ليست مماهية في جوهرها ومادتها مع مثالها، لذلك فإن محاربي الصورة مجرمون بالتجديف عندما يعتبرون سر القربان المقدس كصورة؛ لانه بصفته متماهيا اساسيا وماديا مع المسيح، فإن سر القربان المقدس هو المسيح وليس صورته[2]، ويكتب يوحنا الدمشقي عندما يتحدث مدافعا عن ايقونات القديسين بقوله: "طالما كانوا أحياء، فإن القديسين كانوا ممثلين بالروح القدس وبعد موتهم ، فإن نعمة الروح القدس ليست بعيدة عن أرواحهم ولا عن قبورهم ولا عن صورهم المقدسة "[3].

بينما اعتبر معارضوا الايقونات ذلك التوجه بأن ذلك انحراف عن مبادئ المسيحية الاصيلة ونزوح ورجوع للوثنية ، وفي القرن الثاني عشر طالب برنارد كليرفو مؤسس المذهب البندكتي، بضرورة عدم التكلف في التزيين البشري ونادى بالبساطة، حيث شن حملة قاسية على رجال اللاهوت الذين كانوا يعتقدون بأن بيت الرب(الكنيسة) يجب أن تزيين بالاحجار الكريمة واللوحات والتماثيل المطلية بالألوان البراقة وزجاج النوافذ المزخرفة والمطلية بكافة الألوان[4]، وظهرت أصوات تنادي بأنه يجب على المسيحي أن يقرأ تعاليم المسيحية من الكتاب المقدس، وليس من الجدران، كما رأوا بأن الكنسية ابتعدت عن بساطتها، وعن تعاليم المسيح.

تعتبر الايقونات والتصوير بوصفها كرموز أحدى الملامح والوسائل التي

---

(1) جان كلود بارو – غيوم بيغو- مرجع سابق- ص 95

(2) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث - مرجع سابق- -ص 67

(3) نفسه - ص 67

(4) هيرمان بلاي Herman Pelij – مرجع سابق- ص 12

تشــكل الــذات البشرية، فكانت الايقونات قوة ذاتية تمتلــك المعني الرمزي الفوقي للقداسة، ويلاحظ ارنســت كيتزنجر بأن العقيدة بالسلطة أو القوة المافوق طبيعية للصــور والتي تفترض بعضـ الاستمرارية بين الصــورة والشخص الذي تمثله هي الأكــثر أهمية لعبادة الايقونات في القرنــين السادس والسابع، فالايقونة في نظرهم " امتــداد عضو من الألوهية ذاتهــا" [1] ، لقد كان المفهوم الديني المسيحي حول الصــور والإيقونــات المقدسة يندرج ضمن فكــرة التجسد فــاذا كان وجود الله مع البشــر في الأرض في صورة المسيــح عيسي وسيرتة التاريخية، الذي كان عبارة عن اندماج الله مع الإنسان واندراجه في الأرض، إذن من الممكن إظهار الصورة المادية المقدســة التــي تعــود لصاحبها وتحاكي التجســد، فيقول ابن العســال في تلخيصه قوانــين الكنيســة في الباب الثامن عشــر فيقول" الشهــداء والقديســون هم أخوة السيــد المسيح، ومسكن الــروح القدس، فأي نصراني ألقــي في عذاب أو حكومة أو نفــي من جهة المخالفين بسبــب الدين، فلا تتوانوا فيه، بــل من عرقكم الجسداني وتعبكــم الحقــاني، واحملوا لــه ما يحتاج اليــه، ومن ضمن كلامــه أيضا "كل من تهــاون بالصلاة عند قبور القديسينلاوالشهــداء وترك الاستشفاء بها وتهاون بمن يخدمها فليكن محرما"[2].

لقــد اضافت عبــادة ايقونات القديسين عاطفة تكامــل وعضوي بين المسيحيين، ومــع انتشارهــا رغــب المجتمع على ضــرورة وجود رمــوز للقديســين في متناول كل المجتمــع المسيحي من اقاصي الريف إلى المدن وهي بالطبــع كان للتأثيرات الوثنية للحضــارة الهلينيــة أكبر الأثر في تغلغل مثل تلك الأفــكار التي، تضفي شعورا دائما بالبركــة والشعــور الديني بتواجــد المقدس في الحيــاة اليومية مع سهولــة الوصول اليــه، مما أبرز قناعات وسمات لتشكل الدين الشعبــي المسيحي الآمي حول عبادة الايقونــات ورفض أي شكل من أشكال اقصائها مــن اللوحة الدينية المسيحية، لقد

(1) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث — مرجع سابق- ص 66
(2) يوسف زيدان- مرجع سابق-ص 97

جلب انتصار المسيحية بجماهير غير مهيأة بصورة كافية للحياة الجديدة فظلت هذه الجماهير نصف وثنية ورضيت بعبادة الشهداء القديسيين المسيحيين[1].

تمخضت من هذا الصراع بين مؤيد ومعارض للايقونات وتصوير القديسيين نشوب حرب الايقونات المسيحية في القرن الثامن الميلادي حول صراع الاصل / والمعنى بين الادراك الشعبي المسيحي للتصور الإلهي والرمز الديني وبين الادراك المؤسساتي، الذين خافوا من تعاضم دور الرمزي للايقونات التي يسجد لها وتكرم على حساب أصل العبادة (الرب الخالق)، فمؤيدو الايقونات كان يصرون بشده على انهم يسجدون ويكرمون المرسوم الايقوني للقديسين، في حين معارضى الايقونات رفضوا ذلك السجود والتقديس الذي وصل إلى حد ايصال الرمز الايقوني المقدس لمرتبة الإله الخالق، فكان النتيجة الحتمية الصراع بين الطرفين ، حرب خاضتها المسيحية لاجل رموزها الدينية.

فكانت بداية تلك المحاولات في عهد ليو الثالث **LEO III** للقضاء على هذه الظاهرة واستمالة النساطرة واليعاقبة وإضعاف نفوذ الأساقفة على الشعب والحكومة، وبمعاونة بعض رجال الدين، فكان مرسوم عام 726م الذي يقضي على إزالة جميع الصور والتماثيل الدينية من الكنائس وحرم تصوير المسيح والعذراء وأمر أن يغطي بالجص ما على جدران الكنائس من صور[2]، ومن الطبيعي أن نتخيل ردود الفعل الشعبية إزاء ما اعتقده الشعب أن تلك الاوامر اعتداء وتدنيس على الرموز الدينية والمقدس، ويمكن أن يجره ذلك الاعتداء من مصائب وويلات ربانية في اعتقادهم، كما كان من تبعات ذلك القرار أيضاً، أن اثير مواضيع جدلية في سائل الاصولية عن حقيقة التجسد وبشرية المسيح وطبيعة القربان المقدس **Eucha-rist** وتواجد المسيح في السر المقدس **Sacrament** وعبادة الصليب والآثار المقدسة[3].

---

(1) **نور الدين حاطوم- مرجع سابق - ص 146**

(2) **دل ديورانت - قصة الحضارة- الجزء الثالث- المجلد الرابع -14 مرجع سابق - ص 159**

(3) **جون.ر.هينليس** John R.Hinnells **مرجع سابق- ص 329**

قــاوم الرهبــان وبعضــ القساوسة تلــك الاجــراءات واحتجوا على القــرار وثار الشعــب، ونــادت قوات الثوار في بــلاد اليونان وخلقيدية بامبراطــور أخر، وسيروا أسطــولاً للاستيــلاء على العاصمة ، ولكن الامبراطور ليــو Leo دمر ذلك الأسطول وزج معارضيه في السجون، وفي المدن الايطالية التى كانت ترسخت ولم تنمحي منها يوم من الأيام اساليب الوثنيــة في التصوير والتماثيل والنحت أجمع غالبية الشعب على معارضة المرســوم وطرد عمال الامبراطور، وانضم بطريق القسطنطينية إلى الثائريــن في محاولــة لاستعادة استقــلال الكنسية الشرقية عــن الدولة، وتصاعد الأمــر إلى أن خلــع الامبراطور ليــو الثالــث 730م[1]، ولكن برغم ذلــك سار ابنه قسطنطــين الخامســ (741 – 775م) على نهــج ابيه، فجمــع الامبراطور الجديد قسطنطــين الخامس مجلس اساقفــة الشرق في القسطنطنيــة 754م وحرم عبادة الصــور والتماثيــل ووصفهــا بأنها "عمل ممقــوت" وقال إن " الشيطــان قد أعاد عبادة الاوثان إلى سابق عهدها عن طريق عبادتها"، ولعن كذلك " الفنان الجاهل الــذى يشكل بيديــه النجستين ما لايصح أن يؤمن به النــاســ الا بقلوبهم"، ووصف المجمع عبادة الايقونات بأنها وثنية مستترة في تمجيد الايقونات[2].

أمــر قسطنطــين أن يمحى أو يدمــر كل ما في الكنائس من صــور وتماثيل، ونفذ قسطنطــين هــذا القرار بشــدة وبلا رحمة فسجــن من قاومه مــن الرهبان وسلط عليهــم العذاب واشكال التعذيب والتنكيل والتمثيل حتى عذب البطريق وقطع رأسه 767م وارغــم قسطنطــين ابنه ليــو الرابع(775 – 780م) علــى السير في نهجه في محاربــة وتحطيم الصور والتماثيل، ولكنه فعل ذلك بعزيمة ونية ضعيفة ،ثم اختار ابنــة قسطنطين السادس البالغ من العمر عشــر سنين امبراطورا (780 – 797م) ولكونــه قاصر كانــت ارملته أيريني Irene وصية على العرشــ حتى يبلغ الامبراطور القاصر سن الرشد.

(1) دل ديورانت – قصة الحضارة – الجزء الثالث- المجلد الرابع -14 مرجع سابق- ص 159-158

(2) ميرسيا إلياد – تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث – مرجع سابق – ص 66

كان عهـد الملكـة أيرينـي Irene فـترة انتهـاء عهـد الاضطهـداد والتعذيب ضد التماثيـل والصـور، وسمحت بعودة الرهبـان إلى أديرتهم ودعـت إلى مجمع نقية الثـاني 787م ، حيث اعيـد تعين ثلاثمائة وخمسون مـن الأساقفة بزعامة مندوبى البابـا ونـادوا بتعظيم الصور لا عبادتها، وقالوا عن الصـور والتماثيل بأنها تعبير وتمثيـل مشـروع ومباح عن التقى والايمان المسيحـي، وبذلك كسبت الامبراطورة أيرينـي تاييد الكثيرين بذلـك القرار، عندما بلغ قسطنطـين السادس سن الرشد 790م لم ترغب امه التخلي عن السلطة فخلعها ونفها خارج البلاد، ولكن سرعان مـا ندم واعادها لتشاركه الحكم 792م ولكـن بعد خمس سنوات عملت على سجنه وفقء عينيه وانفردت بالحكم بوصفها امبراطور.

وخـلال حكمهـا أنشـات المؤسسات الخيريـة واهتمت بتجميـل العاصمة، ولكن الجيش خرج عليها بعد أن شاء أن تحكمه امرأة 802م، بالإضافة إلى نقمة وكراهية محطمـوا الصور والتماثيل، فخلعت وعين بدل لهـا وزير ماليتها نقفور امبراطورا، ونفيت الامبراطورة إلى لسبوس وماتت وحيدة ولا تكاد تجد درهما، ورفعتها الكنيسة إلى مقام القديسـين لتقواها وأعمالها ونصرتها لهم(1)، كما حاول بعض الاباطرة الرجـوع إلى تحريم الصور والتماثيـل كالامبراطور ليو الخامـس الارمني(813 – 820م) ولكنه اغتيل.

لقـد تجاهل محاربـي الايقونات بأن مجـال ظهورها كان مجـال وثنيا يعبر عن معتقدتـه عـن طريق تجسيـد الشـيء بالاضافـة إلى أن غالبية مؤيـدى الايقونات مـن المجتمـع كان الآميـين الذين يستطيعـون الحصول علـى الايقونـات والاشياء المقدسـة بـكل سهوله، وتشكل لهـم رموز دينية تمثـل الاعتداء عليهـا اعتداء على المقدسـ، حتى وصلت الايقونات الدينية لمستـوي العبادة ، كما أن الوظيفة الرمزية للايقونات جعل الكنسية تكتسب القوة والهيبة والثروة والتي جعلتها تزاحم السلطة

(1) دل ديورانت – قصة الحضارة–الجزء الثالث– المجلد الرابع –14 ص –161 159

الزمنية (الامبراطور) في اتخاذ القرار بوصفها الحافظة للإرث المسيحي المقدس، وأي فقدان لسلطة الكنيسة سوف يؤدى إلى تزعزع مكانتها في العالم المسيحي.

لقد كان إعادة انتاج الرموز الدينية المسيحية بشكل تصويري عاملا في تنشيطها عبر الاجيال والاستفادة منها وتوظيفها، في اكسابها معاني ومبادئ أخري وتفعيلها بعد إحاطها بمضمون رمزي فعال، التي سوف تعمل إلى تشكيل القيم والأفكار والسلطات السياسية والدينية والحركات الدينية عبر تاريخ المسيحية، سوف تستغل الكنيسة فعالية الرموز الدينية المسيحية في إعلاء مكانتها في العالم المسيحي، وبذلك سوف تقبل وتضم وتحتضن الكنائس ضمن تسامح يضيق ويتسع ما يقترحه الدين الشعبي أو ما يفرضه أيضا، وفق نظام تبادل متواصل وجدل دائم[1].

لقد أصبحت الايقونات المسيحية والأشكال الرمزية والألوان ذات حضور فعال في المشهد الديني المسيحي، حيث المشاهد المسيحي يستحضر تجلي غابر للتجربة الدينية المسيحية بكل تجلياتها، حيث يستدعي الرمز أصدائه من مستويات أعمق في الروح (العقل الباطن)، فالشموع وزخم الكنيسة والألوان والايقونات والبخور وصدي الترنيمات كل تلك التأثيرات سوف تخلق جوا من الفعالية بالنسبة للكنيسة ومعتنقيها، لذلك كان الرمز دائما ذات أهمية عظيمة، ليس فقط للكاهن والزعيم الديني، ولكن أيضا للفنان والشاعر والرسام، وخصوصا عندما يعمل بسلطته الكهنوتية[2]، لذلك غالبا ما كانت الرموز الدينية في جميع الأديان عرضة للاستغلال الايديولوجي والاقتصادي والاجتماعي والصراعات السياسية، ومحاولة كسب عطف الأتباع وأثارة الجماهير .

(1) سابينو أكوافيفا /إنزو باتشي – مرجع سابق- ص167

(2) ريتشارد لي،مايكل بيجنت،هنري لنكولن- مرجع سابق- ص188

الباب الرابع

الرمز الديني في العالم الإسلامي

"المسلمون يحجــون في الوقت ذاته، ويصومون الشهر ذاته، ويجتمعــون في صلاة منتظمة، وهو العمل الذي يميزهم بوضوح عن سائر العالم"

البرت حوراني / تاريخ الشعوب العربية

الفصل الأول

الآلهة ورموزها
قبل الإسلام

ظهر الإسلام في رقعة تفتقر لمقومات الحضارية والاقتصادية، في مجال فاقد لمقومات الدولة حيث تسوده البنيات والمؤسسات القبلية كنظام اجتماعي سياسي، وبؤرة للتضامن والتراتبية الاجتماعية بين افراده والنظام الابوي الذكوري والاعتزاز بالنسب والاجداد ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً ﴾[1] ، ونقصد بالقبيلة ذلك النظام الاجتماعي السياسي الذي يعتبر من أوائل الصور للنظام الاجتماعي الدائم – ويعرف (دل ديورانت) القبيلة بقوله "جماعة من أسرات ترتبط بإواصر القربي، وتشغل بقعة من الأرض على سبيل الشيوع ولها طوطم[2] مشترك وتحكمها حكومة بعينها وفق قوانين معينة"[3].

تشير القبيلة في كثير من الأبحاث بكونها جماعة من الناس تشترك فيما بينها بالعادات والتقاليد واللغة وترتبط بها بقطعة من الأرض، بالاضافة إلى رابطة القرابة، وبالتالي فالقبيلة رباط اجتماعي سياسية بدائي ما قبل الدولة الجامعة، بحيث يرتبط بالحيز الم

بانتمائهم إلى جد مشترك سواء كان حقيقيا أو افتراضيا، فتذوب شخصية الفرد

(1) سورة البقرة : 200

(2) الطوطم Totem: هو أي كيان يمثل دور الرمز للقبيلة، وأحيانا يقدس باعتباره المؤسس أو الحامي. وبرز في المجتمعات البدائية وجاهلية العرب أول من أدخل اصطلاح الطوطم إلى اللغة الإنجليزية هو الرحالة ج. لونك عام 1791 إذ استعمله في كتابه "رحلات مترجم هندي وأسفاره"، واستعمل كلمة الطوطمية في الدراسات الأنثروبولوجية لأول مرة العالم الإسكتلندي ج. مكلينين في عام 1870 عند كتابته مقالا بعنوان "الطوطمية"، وقد تمت مناقشته(الطوطمية) سابقا في الفصل الأول من هذا الكتاب.

(3) قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الأول-مرجع سابق - ص 40

في مقابل القبيلة، فتصبح القبيلة قائده لولائته وتصرفاته وافعاله، في مقابل الحماية والعصبة والتلاحم والتآزر القبلي.

لقد لامست الحضارة أطراف جزيرة العرب بينما ظل العمق الجيوبوليتك لها متماسك ببنياته القبلية وعقليته البدوية الهشة، وبرغم ذلك فقد عرف العرب الظاهرة الدينية منذ أمد قديم، اذ توضح البيانات الاركولوجية الآثرية والتاريخية، أن التفكير الديني ظهر بين العرب منذ الأيام الأولى للاستقرار البشري[1]، تحدث الاعرابي بقوله" البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير" بهذه الرمزية ادرك الاعرابي البسيط وجود اللّه الخالق، فلا شيء يأتي من فراغ، وفي وسط هذا المجال ظهرت مكة والكعبة في ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾[2] حيث تمركز وتموقع المظهر الديني لتشكل نواة للتجارة والحمس[3]، والعمرة والحج وكمجال ديني مقدس لدى العرب بوجود الكعبة، فكان العرب في جاهليتهم يقومون بأخذ حجر من الحرم تعظيما له ولمكة، وإينما حلوا وضعوه وقام بالطواف عليه كطوافهم بالكعبة[4]، وبفضل المكانة الدينية لمكة اكتسبت شهرة والثروة والهيبة التي كانت تجنيها قريش كمركز ديني للعرب حتى اضحت مدينة القوافل والحرم.

اختلف المفسريين والباحثين حول تحديد حدود الحرم في الجاهلية ارتباطه بالزمن (الأشهر الحرم) أو المجال المكاني التي ينتهي حسب مصادرنا بنمرة قرب مزدلفة ولا يصل عرفة لدي القرشيين، وهذا ما يفسر قولهم بأن القرشيين لا

---

(1) مصطفي عمر التير – مرجع سابق - ص 594

(2) سورة إبراهيم: 37

(3) هامش: عرف ابتعه العرب مبالغة والتشدد في التدين من خلال تعزيز الحرم وكان غرضه الأساسي تعزيز الاحلاف القبلية وتأمين طرق التجارة ، واستطاعت قريش من خلاله اكتساب الهيبة والنمو المادي والمعنوي كاهل الحمس وصاحبه سدنه البيت العتيق ومؤسس الحج ، وفي القاموس المحيط ويقال والحُمْسُ: الأَمْكِنَةُ الصُّلْبَةُ، جَمْعُ أَحْمَسَ، وهو لَقَبُ قُرَيْش وكنانَةَ وجَديلَةَ ومن تَابَعَهُمْ في الجاهليَّة، لتَحَمُّسهمْ في دينِهم، أو لالْتجائهم بالحَمْساء، وهي الكَعْبَةُ، لأنَّ حَجَرَها أبيضُ إلى السَّوادِ..

(4) هشام بن الكلبي-كتاب الأصنام ط 3 - 1995 - القاهرة - ص 6 .

يقفون بعرفة لانها خارج حرمهم، كما أن الصفا والمروة ليست من شعائر القرشيين في الجاهليـة، واتفـق مع هشام جعيط حول تحديد الحـرم ضمن الاطار الزماني والمـكاني الفضائي معا، حيث الفضاء الحرام علـى الدوام مكة وما حولها في حين تقـوى تلك الحرمـه في الأشهر الحـرام[1]، وبالتالي ومن خلال ذلـك الإطار فإن الحرم الديني الذي يضم بداخله مؤسسة الحج العتيقة.

لقد حـدد إطار الحرم والفضاء المقدس، والتي تـزداد حرمته في أشهر معلومه (الأشهـر الحرم) حيث يتنفي في ذلك المجال القتال(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَـالٍ فِيـهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِـيرٌ)[2] وقوله تعالى (وَمَنْ دَخَلَـهُ كَانَ آمِنًا)[3]، وبداخل هـذا الحرم يوجـد الحمى، الذى يحـدده هشام جعيط بمخـزون للجماعة تتراكم فيـه النباتات والحيوان فهو مدخر وملجـأ للمجموعة البشرية يتداخل فيه العنصر الأساسي الا وهو العنصر الديني[4].

وفي حديـث رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم، جاءت كلمـة الحمي لتعبر عن مجـال المحرم (كالراعي يرعى حول الحمى يوشـك أن يرتع فيه ، ألا وأن لكل ملك حمـى ،ألا وإن حمى الله محارمه)، ويحدد يوسف شلحت الصلة بين الحمي والنار حيث الحمي من الحمية أي من الحرارة الذي قد يحرق كل من يدنوا منه لنجاسته أو لطهارتـه أي مـن يمتلك فعـل النار نفسها، فعليـه فأن الحرام ليـس الا نوع من القـوة والنار المحرقة التي تكون في الأشياء المقدسة أو النجسة وعكسه الحلال.كما نـرى بأن العرب في الجاهلية عبروا عن الآلهة (الشمس) بـ (ذات حمم) أي (ذات حميـم) أي ذات الاشعة التي تشبه الحميم من شدة الحر، ففي النصوص النبطية التي عثر عليها في حوران ورد اسم الإله (حمن) أي الشمس وكان هذا الاسم كناية

(1) هشام جعيط - تاريخية الدعوة المحمدية في مكة - دار الطليعة العربية- بيروت - 2007 – ط 1 - ص 105

(2) سورة البقرة: 217

(3) سورة آل عمران: 97

(4) هشام جعيط- مرجع سابق- ص 121-120

عن الاشعة الحارة المحرقة التي ترسلها خاصة في أيام الصيف[1].

لقد اعتبرت الشمس كمصدر للحرارة والدف والضوء والعلو والقوة الخارج سيطرة البشر، ففي جزيرة العرب حيث ترسل الشمس اشعتها المحرقة، اعتبرت الشمس كإحدى الآلهة، ولاحظ نورثروب فراي Northrop Frye بأن أسم شمشون الاسطوري ربما يشبه كلمات سامية مبكرة تدل على الشمس ولكن برغم ذلك يقول بأن العناصر الشمسية في تلك القصة الاسطورية تظل عناصر استعارية وبلاغية[2]، ومنهم من فسر (ذات حمم) بـ(ذات حمى) والحمى الموضع الذي يحمى ويخصص للإله أو المعبد أو الملك أو سيد القبيلة والمكان الذي يحيط بالمعبد، فيكون حرما امنا لا يجوز لاحد انتهاك حرمته، ففي جزيرة العرب جملة من المواضع التي يقال لها (حمى) ذكرها الاخباريون"[3].

تأخذ الرموز الدينية في جاهلية العرب (العرب قبل الإسلام) أشكال تتماهي من صراع البقاء القبلي وندرة وقلة العيش ومقاومة الفناء جرى مجاهل الصحراء الشاسعة واخطارها في مقابل الخوف من المستقبل وشيوع ظاهرة التطاير (تشائم) والضرب الاقداح والاسهم والكهنة والمتنبيين فالعالم لديهم ارضي بشري وعلوي يحكمه الإله متعالي خالق كل شيء الا انهم أشركوا في عبادته الأوثان والأصنام التي أقل منه مرتبة وتعتبر كوسيط مقدس إلى الله، وهنالك عالم الجن ذلك العلم الوسيط الغيبي بين العالم العلوي والسفلي التي عبد وقدس، حيث اعتبروا كل ما هو غيبي ويفرض سلطه في ذلك المجال مقدس ويحق أن يعبد وضمن دائرة المقدس.

فاعتبروا الملائكة بنات الله وصورت اللات بصورة انثوية، وعبدت كأنها بنات لله حسب ظنهم، ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾[4] ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ

(1) جواد علي- مرجع سابق- ص 21
(2) نورثروب فراي- مرجع سابق- ص 86-85
(3) جواد علي- مرجع سابق-ص 22
(4) سورة الصافات: 150

الَّذِيـنَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثـاً أَشَهِـدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْـتَـبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾[1] ﴿إِنَّ الَّذِيـنَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَـةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَى ﴾[2] ، فكرة العرب قبـل الإسـلام ورؤيتهم بتجسيـد الملائكة كإثاث، وبأن لله عزوجـل الإناث من دون الأولاد الذكور، فتكاثرت الآلهة والأصنام في جزيرة العرب، لقد اتسمت التصورات الدينيـة قبل الرسالات السماوية بالبساطة وتجسيـد والخرافات والأساطير والتي كانت عباره عن المتخيل الجماعي للآلهة[3].

جعلت المجتمعات القديمة معـاني رمزية للاشياء والطبيعة، ففي عقيدة الشنتو اليابانيـة يتـم تقديس واجـلال الصخـور المقدسـة في فوتامي غـاورا **Futamigaura** المشـددوة بحـبل سـميـك مقـدس والتـي ترمـز إلـى أسـطورة بالغة الأهمية من اتحـاد الزوج والزوجـة، فالصخر أو الحـجر كما تقـول كـاريـن امســترونغ **Karen Armstrong** " لا يرونـه مجـرد صخـرة جامدة لا قيمة لها بـل يرونه متضمنا لرمزيـة القـوة والاستمرارية والصلابة ونمط وجود مثالي فـكان الحجر التجسيد العمومـي للقداسة"[4]. فالسماء والاجـرام السماوية والأرض ازليه مبهرة وفاتنه علـى حد (رودلـف أوتـو1869 – 1937) والشجرة رمز للحيـاة والتجديد الذاتي، لقـد أوحت قوة الطبيعة وحضورهـا المؤثر في التجربة البشرية في مقابل عدم قدرة الإنسـان وضعفه امامها والرغبة في خيرها والخوف من شرها، بأن ينسج التصور البدائي الأولى للالوهية الطبيعة.

الا اننـا سوف نرى بـأن كثير من اصنام جاهلية العـرب آلهة قديمة معروفة في

---

(1) سورة الزخرف : 19

(2) سورة النجم: 27

(3) هامش: مازلنا نشاهد تغلغل الوثني في تصوير الغيبيات الدينية باشكال رمزية فظهر مثلا «إبليس» - وهو «أصل الشر» في الفكر الديني بشكل عام – على شاكلة حيوان خرافي أحمر الجلد مدبب الذنب وبيده رمح أسود، وفي مقابله صورت الملائكة على أشكال بشرية بيضاء البشرة كالأوروبيون وأجنحة بيضاء،وغالبا بأشكال انثوية.

(4) كارين امسترونغ- مرجع سابق-ص 13

حضـارات الشـرق الأدنى القـديم، بعل والـلات والعزى ومناة، وكذلـك الحال مع طقوس الحج ومؤسساته من خلال الكعبة وحجرها الأسود وعرفة ومنى ومزدلفة كما يوضح الأستاذ (هشام جعيط) بأن شخصية الإله السماوي وتسمية بالله عتيقة جدا ، ويرجع ذلك إلى نقوش أوغاريت/ رأس الشمرة حوالي 1400 ق.م على شكل "آل" وهي شخصية قديمة في التراث السامي ولكن محتواها تطور عبر الزمان ،وبالتـالي فنـه يستنتج بأن الدعـوة المحمدية لم تمس الطبقـة الترسبية الأبعد في الزمن والعربيـة المحضة وإنما وجهتها نحو الإله الاوحد ومنحتها معنى جديدا من دون المساس بهـا حيث أن تلك الطقوس موروثة عن زمن مـا قبل الآلهة، وهي غير واعيه بذاتها[1]، وهذا ما يؤكده الأستاذ يوسف شلحد عند تحليلة بنى المقدس عند العرب بأن المفهوم الآلهي كان موحدا إلى حد ما عبر العالم العربي القديم[2].

فكلمـة (الله) كلمـة ساميـة عتيقة تداولها العـرب منذ القـدم، فأسماء الآلهة منتشرة وتقديسا لهـا كانوا يسمون ابنائهم عليها تيمن وبركة وتقربا لها، فهنالك (عبـد ود) و(عبـد مناة) وغيرهـا، الا أن اسم (عبد الله) نـراه اسم عتيق غير متـداول بشكل كبـير بين العرب، فوالـد الرسول محمد صلى الله عليـه وسلم كان يسمـى (عبد الله)، وفي معلقة زهير بن أبي سلمة (توفي 608م) ينشد ما يدل على تواجد الكلمة والمعني للإله (الله) والحساب قبل الإسلام[3]:

فلا تكتمن الله ما في صدوركم ليخفى، ومهما يكتم الله يعـلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخـر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم

فالاسـم الآلهي (الله) عتيق يضرب جذوره إلى منذ العصور النيولتية السامية القديمة، ومع مرور الزمان وتقادمه ودخول الآلهة الوثنية في المشهد الديني لجزيرة

(1) هشام جعيط- مرجع سابق- ص 92-91

(2) يوسف شلحد بنى المقدس عند العرب- تعريب - د.خليل أحمد خليل- دار الطليعة – بيروت - ط 1 - 1996 - ص 72

(3) أحمد أمين الشنقيطي شرح المعلقات العشر- مصدر سابق-ص 75

العــرب، تمــت عملية الاشراك الوثنــي لصالح الآلهة الوثنيــة الجديدة، فاسم الله عــرف قبل الإسلام كأله عالي متعــالي بين العرب، ولكنهم اشركوا معه آلهه أخرى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[1].

إن فكــرة الإلــه المتعــالي الخالق الاوحد فكــرة عالمية، وان اختلفــت تعابيرها أو صيغهــا نشأت حتى في اقدم الشعــوب بدائية، فقد استنتج ويلهيلم شميدت **Wilhelm Schmidts** في موسوعتــه ذات الاثنــي عشر مجلدا المسمــاة **Ursprung Der Gotteside** أن كل قبيلــة بدائية حتى تأليفــه لذلك الكتاب (1912 – 1955) بانها كانت تؤمن بإله خالــق متعال يعمل في الكون مــن خلال مندوبيه أو نوابه إنســان[2]، كما وجدت في مصرعقيــدة (آتــون) التوحيدية التي تبناهــا الملك الفرعوني اخناتــون فاعلانها صراحــة في قصائــدة الحماسية بقوله: " أيها الإله الأوحد الذي ليس لغيره سلطان كسلطانة".

كمــا اعتقدت قبائــل البيجميز (**Pygmies**) والفيوجيانــز (**Fuegians**) الاسترالية بفكــرة الله السمــاء الأوحد والذي لا يمكن تمثيله بصــورة وليس له مقام أو ضريح أو كاهــن لأنــه منزه عن التقديس البشري[3]، ففكرة الإلــه الأعظم المتعالي الذي يخلق الآلهة وجدت بكثافة في الحضارات القديمة، باعتبار بأن الآلهة هم من ضمن ذاتيــة الإلــه ولا انفصام بينهم. كما اكتشــف اندرو لانغ بوجود إيمــان بدائي بإله أكــبر[4]، فكما تقول كارين امسترونغ « بدأ النــاس في اجزاء مترامية الاطراف من العــالم في شخصنة السماء، وبدأوا يخبرون قصصا عن الله السماء أو الله الرفيع (فكــرة المتعالي الاوحد) الذي خلق السماء والأرض بيد واحدة ومن لاشي» حيث أن تجربة التعالي جزء من التجربة البشرية »[5].

(1) سورة الزمر: 3

(2) هوستن سميث Huston Smith – مرجع سابق-ص 555

(3) كارين امسترونغ – مرجع سابق – ص 24

(4) ميريشيا إلياد – البحث عن التاريخ والمعني في الدين- مرجع سابق ص 125

(5) كارين امسترونغ – مرجع سابق-ص 13 ، وكذلك انظر نفس المرجع ص 23

عبدت الأصنام والاوثان في عهد قبل الإسلام، ومع ذلك فمعظم الآلهة البشرية قد كانوا – فيما يظهر- عند البداية رجالا من الموتى ضخموا بفعل الخيال[1]، لقد عـرف العـرب (اللّه) كإله خالق لكن مع مرور الوقت ادخلـت في عبادته وشاركوا معــه اصنام مؤلهه أقل مرتبــة فكانوا كوسطاء للإله العالي المتعالي فوجدت الآلهة الصنميــة الثلاثة الكبري الرئيسية لقريش اللات والعزي منــاة ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ، تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[2]، ويذكــر ابن جرير بــأن اللات اشتق اسمها من (اللّه) فقالــوا اللات، يعني مؤنثة منــه على حد زعمهــم[3]، ويذكر هيرودوت بــأن اللات بمثابة أورانيــا **Urania** (ربه الفلــك) اليونانيــة[4]، لقد اعتبرت الــلات وغيرها من الأصنــام وكذلك الملائكة (بنات اللّه) كما أشركوا في عبادة اللّه الجن فقال تعالي ﴿وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُواْ لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[5].

مــن المؤكد بأن العــرب استورت بعض اوثانها من المجــالات المحيطة بها والأكثر تمدنــا في بلاد الشــام أو الحضارة النبطيــة والتدمرية والجنوبيــة لشبة الجزيرة العربيــة، لقد كانت بعض اصنام جاهلية العــرب ذات مرجعية وعبادات موحلة في القدم كاسماء الأصنام ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا وغيرهم، كما إن بعضها وفد إلى جزيرة العرب والاخر من الحضارة الجنوبية اليمنية، فالصنم ود قيل أن عوف بــن عزه من قبيلة كلب جلبــه ليعبد في جزيرة العرب في أحــد أشهر أسواق العرب (دومــة الجندل) كما يقال، وبأنه أول من سمى ابنه (عبد الود)[6]، أما سواع فقد جلبــه عمرو بن لحي الحارثي من بــلاد الشام والذي كان الإلــه للقمر (الخصوبة

(1) دل ديورانت- قصة الحضارة- الجزء الأول- مرجع سابق - ص 108

(2) سورة النجم : 19 - 22

(3) ابن كثير- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)- المكتبة العصرية-ص 227

(4) هيرودوت- مصدر سابق-ص 220

(5) سورة الأنعام: 100

(6) Tanja Al Hariri Wendel - Symbols Of Islam -Sterling Publishing Co.Inc-New York-2002- p.35

والبركـة) كما جلب يغوث الذي نشره عبادته بين العرب وأصبح إله لقبيلة مذحج، وتتخـذه شعـارا لها، وربما اتي كلمـة يغوث من الغوث والمغيـث أي المساعد وكذلك جلـب يعـوق ونسرا الذي يعنـي النسر واتخذتـه قبائل الحميرية اليمنيـة إلها لها، ويعتقـد تانيـا الحريري ويدل Tanja Al hariri wendel بـأن هذا الصنم كان الطوطم الحيـواني للحميريين ويرمز النسر للذكاء وقوة البصر التي قد تعني البصيرة[1]، ويقال بأن أول من غير دين التوحيد ونصب الاوثان في جزيرة العرب هو عمرو بن لحـي بـن حارثة الازدي ، حيث كانت حجابة الكعبة بيـده بعد أن اخذها بالقوة من الحارث[2].

تكتسـب الإلـه القمريـة أهمية رئيسيـة في المشهـد الديني في بـلاد العرب قبل الإسـلام، ويستغرب هشام جعيط من أن الآلهة الكبرى في الحجاز اتخذت الصفة الانثوية ماعدا مناف الذي لم يعد يعبد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الإلـه العتيق الكبير التراثي عند الساميـين(الله)[3]، لقد كان هنالك رغبة وتوجه لاضفـاء صفة الانوثـة للآلهة الوثنيـة، وبمـا أن الانثي مـرادف للخصاب والخير والبركة وأقل مرتبة من الذكوري في المجتمع القبلي، فعدت الآلهة اناثا في بيئة تفتقر لمقومـات الحيـاة، تم ادراج الآلهة الانثوية الأقل مرتبة مـن الخالق كأبناء اناث لله ومنهـا الملائكة، فيستنكر الله عزوجـل ذلك التوجه في الاشراك وبطلان ادعائتهم فقال تعالى ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ﴾[4].

فالإله القمر كان يرمز إليه بلفظة(ود) عند المعينيين وهو الإله الرئيس عندهم، وقـد اتخـذ الثور من الحيوانـات رمز له، ولعل ذلـك بسبب قرنية اللـذان يشبهان الهـلال، لذلـك عد الثور من الحيوانات المقدسة التي ترمـز الآلهة وقد دعي القمر

(1) Tanja Al Hariri Wendel-op.cit - p.36-39

(2) ابن الكلبي، ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي-مصدر سابق - ص 8 وكذلك ص 54

(3) هشام جعيط – مرجع سابق - ص 102

(4) سورة النساء : 117

في بعض النصوص ثورا ونجد صورة رأس الثورة محفورة أو مرسومة في النصوص الجاهليــة معبرة عن الإله القمر[1]، كما عبد الثموديين (ود)، وعموما يعتبر (ود) الــه عــام في جزيرة العــرب حيث عمـت عبادته حتـى ظهــور الإســلام، فقـال تعالـي: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّاً وَلَا سُوَاعاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾[2]، حيث صنع لـ (ود) صنم على هيئة إنسان.

ففــي إحــد النصوصـ الثمودية كتــب أحدهم يمجـد ويذكر كلمــات في حب ود معناها(أموت على دين ود) ،(وبدين ود أمت)[3]، رمزوا له بصورة حية كما رمز إليــه العرب الجنوبيين بصورة رأس ثور، ويذكر Grohmmann بأن صورة الحية ترمز إلى الــروح التي في بــدن الإنسان[4]، لكن ربما تكمن رمزية الثعبان باعتباره حيوان يرمــز للقمر حيث يمتلك الثعبــان نفس صفات القمر، حيث يظهــر ويغيب ويتحول ويتولــد دوريا، ويذكر (بيلني) " بأن الثعبان ممثل القمر على الأرض وبصفته تلك يــوزع الخصوبة[5]، وقد ناقشنا سلفا المعني الرمزي المرتبط بالثعبان في حضارات الشعــوب القديمــة. في مقابل ذلــك تم العثور علــى أخشاب وأحجــار حفرت عليها أسمــاء ود أو جملــة (ودم ابم) أو ابم ودم) وذلــك فــوق أبواب المبــاني لتكون في حمايته وللتبرك باسمه والتيمن به،كما وجدت كلمة (ود) محفورة على أشياء ذات ثقوب تعلق على عنق الاطفال لتكون تميمة وتعويذه يتبرك بها[6].

أمــا ذي الشــرى أو ذو شرا الذي يــرد عند الاخباريين العرب مــن آلهة بطرا، ويزعم انه في منزلة ديونيسيوس Dionysos وعرف بـ Deos Arabikos في بعض الكتابات اليونانيــة التي عثر عليهــا في الاردن، ويذكر بأن له معبد في جرش ، في حين أن بعل

(1) جواد علي- مرجع سابق-ص 12
(2) سورة نوح : 23
(3) جواد علي – مرجع سابق-ص 15
(4) نفسه-ص 39
(5) فيليب سيرنج – مرجع سابق- ص138
(6) جواد علي - مرجع سابق-ص 12

الإله الاكبر في بلاد الشام وتدمر فكان المسيطر بكونه الإله الرئيس.

ويذكر ليذزبارسكي Lidzbarski بأن بعل أو بل كان إله تدمر الاكبر، ولمركزه الخطير دعاة اليونان زيوس [1] Zeus ، كما ذكر المسعودي في كتابه مروج الذهب بأن بعل كان له بيوت وهياكل ذات نقوش عجيبة محفورة على الحجر ، حيث كان يعبد في بلاد الشام[2]، لقد كان بعل من الآلهة الوافد من بلاد الشام إلى الجزيرة العربية ، وإنه إله المطر والسحاب والصاعقة والذي يعتمد عليه الناس به في معاشهم، وسيد الدورة الزراعية والخصوبة والإله المحبوب لدي الناس بارتباطها بالخصب والحياة[3].

غالبا كان بعل Baal الإله الخصوبة والمطر والخير لدي السوريين من أوائل ما جلب من الأصنامإلى مكة من بلاد الشام فيقول اللّه عزوجل ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[4]، وربما كان بعل في ذاته هبل، صنم قريش الرئيسي وهو إله الكعبة وكان يرمزإلى القمر حيث وضع على الكعبة على هيئة إنسان، وأمامه حفره عبر عنها بلفظة (بغبغ) وكانت يده اليمني مكسورة، فعوضته قريش بيد من ذهب، حيث يقول الأستاذ أنور الرفاعي بأن اسمه (هبعل=البعل) وبأنه صنم دخيل، حيث قارن بوظائف هبل الذي كان يشابه صفات بعل إله الخصب والرزق ومن ثم إله السعادة عند العرب، وربما أيضا إله الحرب[5].

بالإضافة إلى ما ذكره ابن الكلبي بأن اقدم الأصنام في جاهلية العرب كان مناة

(1) جواد علي – مرجع سابق-ص 53-52

(2) ابي الحسن بن علي المسعودي- مروج الذهب ومعادن الجوهر- مراجعة كمال حسن مرعي-المكتبة العصرية-صيدا/بيروت-2008- ص200

(3) فراس السواح - مغامرة العقل الأولى-دراسة في الأسطورة-سورية وبلاد الرافدين - - ط 11 - دار علاء الدين 1996 - ص 111 .

(4) سورة الصافات: 125

(5) أنور الرفاعي- الإسلام في حضارته ونظمه-دار الفكر-دمشق-2008-ص53

حيث كانت العرب تتسمي فيه فتقول عبد مناة، وزيد مناة[1]، كما كان له معبد في قديد بين مكة ويثرب، وقد صنع من حجر وكان معبود الأوس والخزرج وهذيل وخزاعة.

كما حفظت لنا نصوص المسند في بلاد اليمن اسماء اله ود أو المقه، ومن اشهرها معبد المقة الكبير بمدينة مأرب المعروف بمعبد (المقه بعل أوم) وتعرف بقايا هذا المعبد عند اهل اليمن باسم حرم بلقيس و محرم بلقيس[2]، كما أقيم للعزى في الجاهلية معابد عدة في الانباط حيث كان له معبد في بصرى دعي (بيت ايل) وعبر عنه بـ(كوكبنا) أي الكواكب وهو الهة انثوي، إما غطفان فأقامت له معبد ومن أشهرها معبد كبير في (بز أو بوز) والذي اقامته غطفان وعرف بكعبة غطفان.

كما عبدت شجرة في وادي نخلة زعمت انها العزى[3]، أما اللات فهو من أصنام الجاهلية الكبرى في جزيرة العرب بجانب العزى، وهو إله انثوي يراد به الشمس، حيث رسم في النصوص الصفوية بقطعة من الشمس رسمت بطريقة بدائية ورسم في بعض النصوص السامية الشمالية بشكل امرأة عارية[4]، ورمز إليه بصورة فرس في النصوص العربية الجنوبية، والفرس من الحيوانات المقدسة التي ترمز إلى الشمس عند قدماء الساميين وعند غيرهم من الشعوب ، لذلك كان يقدم لها قرابين وهدايا من تماثيل مصنوعة على هيئة فرس[5]. كما كان لقضاعة ولخم وجذام وأهل الشام صنم يقال له الأقصير، فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده[6].

(1) ابن الكلبي(ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي- مصدر سابق-ص 13

(2) جواد علي – مرجع سابق-ص 18

(3) نفسه- ص 43

(4) هامش: نلاحظ غالبا ما ارتبط القمر بالمرأة في كثير من الحضارات.

(5) جواد علي مرجع سابق-ص 48

(6) هشام بن الكلبي- مصدر سابق- -ص48

وجـدت العديد من الآلهة في جزيرة العرب ذكر أشهرها الكلبي في كتابه، لقد كان توزيـع تلك الآلهة في جزيرة العرب وممارسة طقوس عبادتها، وأضفى التشدد الدينـي لتلك الطقوس(أهـل الحمس) ، يحاكي القبليـة واستقلاليتها وتحالفاتها، فاضحي الصنم في الجاهلية كما يقول الأستاذ هشام جعيط "العنصر الميتافيزقي المجمع لشتات القبيلة"[1] ، في المقابل وجدت في بلاد العرب المقام المخصص للوثن أو الصنم يقارب المعبد لكنه أقل تعقيدا من المعبد في الحضارات الزراعية في بلاد الرافديـن أو مصر وتـزار ويحج ويطاف حولها ويتبارك بها وتقدم إليها الاضاحي والهدايـا، حيـث لكل قبيلة الها خاص به يتقرب إليـه ،كما لم يوجد الكاهن والمعبد بمعنـاه الواسـع كما في الحضـارات القديمة السابقة بل كانت احـدى القبائل ذات المكانة ورئيسها والكاهن والحافظ للمقدس وسادنها بالاضافة للحكم[2] .

كمـا يذكـر ابن الكلبي في كتابهـا بأنه كان لأصنام الجاهلية سـادن لها، فيذكر بـان عندما فتحـت مكة كان للعزى سادن يقال له (دبيـة)[3]، كما يصف الازرقي الحـج إلى صنم ذي الخلصة في تبالة بأسفل مكة فيقول: «فكانوا يلبسونه القلائد، ويهدون إليه الشعير والحنطة ويصبون عليه اللبن ويذبحون له، أما الأوس والخزرج في يثرب فكان صنمهم الأعلى (مناة) فكانوا كما يقول «فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا مـن عرفات وفرغوا من منى لم يحلقوا الا عنـد مناة وكانوا يهللون لها [4]»، فكانوا لا يـرون تماما لحجهم إلا بذلك، كما وجـدت في جنوب جزيرة العرب في الجاهلية معابـد الآلهـة، واشهرهـا معابد الإله (عشـتر) الـذي كان يتقرب إليـه بالقرابين والهدايـا، حيـث خصصت اشهر معينـة لذلك الغرض، كما وجـب على من يدخل

....

(1) هشام جعيط- مرجع سابق-ص 55

(2) نفسه - ص 56

(3) ابن الكلبي(ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي- مصدر سابق - ص 24 26-

(4) الأزرقي - أخبار مكة- بيروت — ج-1ص 124 ،

وكذلك: ابن الكلبي(ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي- مصدر سابق--ص 14

المعبد تطهير جسمه ولباسه[1].

عبـادة الأصنام كانـت عبده رمزية اضيفـت عليها هالات مـن القداسة تقدس ويتبـارك ويستنجد بها ويقدم إليها القرابين والنذر، لقد كانت العرب في الجاهلية تربط الروحي بالايقوني المتمثل بعدة صوركالأصنام والانصاب والصور والمنحوتات وكانـت تتقرب منهـا لقضاء حوائجهـم والتوسط بها مقابل طقوس وشعائر منها تقديم القرابـين بمصاحبه بعض الحـركات والأقوال والموسيقـي، فالأصنام رموز دينيـة للآلهـة ، وليست الآلهة بحد ذاتها كما ذهب إليـه بعض المستشرقين، فيقول الأستاذ الجابري في ذلك « لقد كانت الأصنام تعبد بوصفها رموزا للألهة»[2].

وربمـا كان الصنم شخصية ذو مكانة ورفعـه وحكمه ومع مرور الوقت والأجيال اضيفت عليهـا هالات من القدسة وعبدت، ويروي الازرقي في كتابه أخبار مكة بأن النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وجد فيها صور لأصنام على هيئة الملائكة وسيدنـا إبراهيم وعيسي وسيدتنا مريم العـذراء، وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم لما دخل الكعبة، وجد إبراهيم وإسماعيل مصورين فيها، وفي أيديهما الازلام[3] «فقـال :قاتلهم الله لقد علموا أنهما لم يستقسما بها ابدا»، كما أن بعض الحضارات الشرق الأدنى امتدت إلى جزيرة العرب كما هو الحال بالدولة الاكادية التـي استقـرت في بلاد الرافديـن (2350 – 2159 ق.م) وخاصة في عهد سرجون الأول الأكادي الذي جعل اكد عاصمة لملكه عام 2800 ق.م، وأسس أول امبراطورية

(1) جواد علي – مرجع سابق - ص 27-26

(2) فهم القرآن الكريم-القسم الثالث -محمد عابد الجابري-مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت-ط 1-2009- ص 61

(3) الاستسقام بالازلام: عبارة عن قداح ثلاثة ، على أحدها مكتوب : « أفعل « وعلى الآخر : « لا تفعل « والثالث « غفل ليس عليه شيء . ومن الناس من قال : مكتوب على الواحد : (أمرني ربي) وعلى الآخر: (نهاني ربي) . والثالث غفل ليس عليه شيء ، فإذا أجالها فطلع السهم الآمر فعله ، أو الناهي تركه، وإن طلع الفارغ أعاد الاستسقام.

معروفـة بالتاريـخ[1]، لقـد كان انتقـال الأفـكار وتجسيـد سيدنـا عيسـى المسيح ومـريم (عليهما السـلام) كأصنام إلى الجزيرة العربية ضمـن مؤثرات والتلاقح الاقتصـادي والثقافي بين الجزيرة العربية والعـالم المسيحي في مصر وبلاد الشام واطراف الجزيرة العربية، ﴿ لإيلف قريش إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاء وَالصَّيْفِ﴾[2].

برغـم ذلـك كان سكان جزيـرة العرب محافظـين لتراثهم وعادتهـم وتدينهم المنسجـم مع طبيعـة البئية والجغرافية لجزيرة العـرب، والمحافظة على طقوسهم التعبديـة برغـم التلاقح الثقـافي وجلب بعض الآلهـة والمعبودات مـن الحضارات الاخـري، حيـث ظلت الطقوس من حج وعمـره باقيـة في التدين العربـي، فيقول الأستـاذ هشام جعيـط « أن سكان الجزيرة العربية كانوا لمدة طويلة جدا حساسين للتاثـيرات الخارجية وكانوا يتبنونهـا ولو بأخرة، ولهم في نفس الوقت جذور عميقة ترمي بعروقها في التراث النيوليتي للساميين القدامى [3].

تردد المستشرقـين في توصيف دين العرب اهو عبادة طوطمية خالصة للطبيعة مـن أحجار وأخشـاب أو عبادة للارواح مـن جن وشياطين أو بأنـه دين مقام على تعددية الآلهة (الشرك) مع عدم نكران وجود خالق واحد حقيقي، فيصف هوستن سميـث **Huston Smith** ديـن العـرب في الجاهلية بأنه مـذهب تعـدد الآلهة ارواحي **Animistic Polytheism** أي الاعتقـاد بـان لـكل مـا في الكون لـه روح أو نفس[4]، ولكن في اغلـب الظـن بأن العرب في الجاهلية كانوا يؤمنون بتعـدد الآلهة وذلك استنادا لقول الوثنين في قوله عزوجل﴿أَجَعَلَ الآلهة إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[5] في مقابـل تضاربت الآراء حول توافق تلك الاية مع قوله تعالي﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ

(1) عيسى الحسن مرجع سابق- ص 106
(2) سورة قريش: 2-1
(3) هشام جعيط-مرجع سابق-ص91
(4) هوستن سميث Huston Smith – مرجع سابق -ص 467
(5) سورة ص: 5

وَالَّذِيــنَ اتَّخَــذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَــا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَــا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾[1]، وفي اعتقــادي بأن عرب الجاهلية كانوا مؤمنــين بالرب الأعظم (الله) وبجواره شركاء فعليون في الإلهية أقل منه منزله، لهذا كانوا يقولون في أثناء التلبية في الحج في أيام الجاهلية «لبيك لا شريك الا شريك هو لك تملكه وما ملك»[2].

يؤكـد الأستــاذ الجابري بــأن العرب آمنت بفكـرة بفكرة الــرب خالق كل شيء ولكــن والفرق بين معتقدتهــم والإسلام انهم كانوا يجعلون لــه شركاء من الملائكة والأصنــام[3]، فالتديــن الجاهلي تدين شركي يؤمنون بإلــه متعالي خالق كل شيء ولكنهــم برغم ذلــك يشركون به آلهة أخــرى، ويوضح الأستــاذ هشام جعيط حول طبيعــة التديــن العربي الجاهلي « بــأن الديانة العربية الجاهليــة لا تكمن في تعدد الآلهــة وتمثيلهــا باصنام وأوثــان، بل في الطقوســ العتيقة المتصلــة ببنية اللاوعي الإنساني والتي نجدها في عديد المجتمعات الأولىة[4]».

أمــا الطوطمية العربية فلعلها وجدت في جاهلية العــرب، نظرا للتأثيرات البيئة والجغرافيــة وطبيعتهــا، والطوطمية مــن سمــات البدائية للشعــوب، وساهمت في التقسيم والانتماء القبلي وإبرز التلاحم بينهم والعصبية القبلية، والطوطم حيوان أو طائــر أو شجــرة وغيرهــا، ولكن برغم ذلك تقــوم الطوطمية بشــد عصب تلك الجماعــات القبلية لاعتقادهــم بكونهم ينتمون إلى ذلك الجــد الطوطمي القديم، واعتقــد بأن الطور الطوطمــي البدائي كعبادة والتقديس، كان دور غابر من التدين قبــل بروز الكعبة والتدين الإبراهيمي وطقوسه عند العرب، ثم دخول عبادة العرب في الجاهلية لطور الوثني الشركي.

---

(1) سورة الزمر: 3

(2) ابن كثير- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)- مرجع سابق -ص 85

كذلك انظر: ابن الكلبي(ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي- مصدر سابق --ص 7

(3) محمد عابد الجابري - ص 86

(4) هشام جعيط- مرجع سابق - ص 105

لقــد توارث العرب الاسم وذابت الطوطمية الغابرة، ، وإن شواهد بقايا الاسماء الطوطميــة مــن ضبيان وكلــب وثور وغيرهــا، ظلت تمارســ نشاط مجــرد لادوار اجتماعية وسياسية تختص بها القبيلة وتميزها، ويبرز الأستاذ هشام جعيط فكرة الطوطميــة العربية ووجودها والمشخصة في اسماء عــدد كبير من أجداد القبائل : كلــب وثور وثعلبة ودودان وأسد وحتى قريش.. الخ، حيث يبين بأن التسميات بقيت والطوطمية اندثرت، وبأن الأسماء ما هي إلا شواهد على أن هذه الطوطمية الغابرة إنما كانت رموزا حيوانية على الاقرب وان تلك الرموز ذابت[1].

ويختلــف معني الصنــم والوثن من حيث بــروز الشكل والصــورة، فالصنم في (لســان العرب) : الصَّنَــمُ: معروفٌ واحــدُ الأَصْنام، يقال: إنه معــرَّب شَمَنْ، وهو الوَثَــن؛ قال ابن سيــده: وهو يُنْحَتُ من خَشَــبٍ ويُصَاغُ من فضــة ونُحاس، والجمع أَصنــام، وقد تكــرر في الحديث ذكرُ الصَّنَم والأَصنام، وهو مــا اتُّخذَ إلهاً من دون الله، وقيــل: هــو ما كان لــه جسمٌ أَو صورة، فإن لم يكن له جســم أَو صورة فهو وَثَن وقيــل: الفــرق بــين الوَثَن والصنــم أَن الوَثَنَ ما كان لــه جُثَّة من خشــب أَو حجر أَو فضة يُنْحَت ويُعْبَد، والصنم الصورة بلا جثة، ومن العرب من جعل الوَثَنَ المنصوبَ صنماً.

وروي عــن الحسن أَنه قال: لم يكن حيٌّ من أَحْياءِ العرب إلا ولها صنمٌ يعبدونها يسمونهــا أُنثى بني فلان (قولــه: ولها صنم يعبدونها: لعلَّه أنث الضمير العائد إلى الحيّ لأنه في معني القبيلة، وأنث الضمير العائد إلى الصنم لأنه في معنى الصورة) ؛ ومنــه قول الله عز وجــل: (إنْ يَدْعون منْ دونه إلاَّ إناثاً) ؛ والإناث كل شيء ليس فيه روح مثــل الخَشبة والحجــارة، قال: والصَّنَمةُ الداهيةُ؛ لقــد وجد الصنم والنصب في عبــادة الأوثــان في جاهلية العــرب إما الحجر على غير صــورة فهو النصب أي والنَصْبُ ما نُصِبَ فعُبِدَ من دون الله تعالى، حيث كانت العربي كما قيل ان لم يقدر

[1] هشام جعيط - مرجع سابق - ص 48

علـى اتخاذ صنم لهـا أو بناء بيت للعبادة نصب حجرا امام الكعبة أو في مطاف له قداسة معينة لديه ثم طاف حوله.[1]

اعتـبرت مكة قبـل الإسلام كمجمع الآلهـة العربية، حيث اكسبتهـا الكعبة تلك االمكانة بوصفه بيت الله، لقد وجدت الأصنام في كل مكان وبأعداد كبيرة ، وبوجود الكعبة كحرم مقدس في الذاكرة العربية من قبل الإسلام جعل احاطتها بالأصنام مـن قبل الحجاج والمعتمرين مـن القبائل العربية في الجاهليـة تكتسب أيضاً هالة مـن القداسة للحجاج بجميـع اطيافهم كمجمع الآلهة العربية التي كانت تحج إليها وتتبارك بها وتكون لها رمزيتها الدينية الخاصة لدي العرب.

بحيـث ذكر ابـن الكلبـي في كتابه الأصنـام عدد كبـيرا من أصنـام العرب في الجاهلية ما يفوق العشرين صنما ولكل قبيلة إلهها الخاص، فكان لقريش وغيرها اصنـام في جـوف الكعبة وحولهـا ، ويذكر أيضاً بأنه كان لـكل دار من مكة صنم في دارهـم يعبدونه، فإذا أراد أحدهم السفر كان أخـر عمل يصنعه التمسح والتبرك بالصنـم، ثم إذا عاد مـن سفره كان أول ما يفعله إذا دخل منزله التمسح والتبرك أيضـاً[2] ، وبالتـالي كانت أهمية مكة بالنسبة للعرب كمركـز ديني بالدرجة الأولى بوجود الكعبة والأماكن المقدسة والتي اضيفت إليها الأصنام في وقت لاحق.

إن اختيـار مكة لاقامـة قريش كمجال ديني مقدس وبالتـالي اختيار قبائل رحل لمـكان والاقامة فيه بصورة دائمة يعتبر قرار حيويا ورمزيا يربط جماعة برمتها في مكان وتنظيم جماعي حول مجال مقدس ديني، برغم قلة موارده وامكانيته ليصبح المركـز الديني لجزيرة العرب، لنكشف لدينا بجلاء دلالات عمق المكان المقدس في الحياة الاجتماعية.

....

(1) محمد عابد الجابري – مرجع سابق- ص 379

(2) للمزيد حول تكون ونشأت الأصنام في مكة وتسمياتها وطقوسها – انظر: ابن الكلبي(ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي-كتاب الأصنام – مصدر سابق.

إن الكعبة رمز الذاكرة والتجربة الإبراهيمية التوحيدية والتي تم اعادة تتداولها جيـل بعد جيل ضمن الذاكـرة الجماعية، فالذكرة كما يقول « بول ريكور B.Ricorur تسهـم في تعزيز الهوية السرديـة عند الأفراد وعند الجماعـات الإنسانية[1]، لقد اكتبسـت مكة طابعها كمـكان مادي إلى مـكان مقدس، منذ سيدنـا إبراهيم عليه السـلام وابنـه إسماعيل عليـه السـلام وفرض الحـج وتحديد الأماكـن المقدسة وشعائرها[2]، وبالتالي أصبحت مكة تكتسب اهميتها كمدينة دينية في المقام الأول، وبتواجـد الكعبة اضحـي لأم القري (مكة) بعدها الديني الخاصـ بوصفها مدينة مقدسـة، فكان الحج ينظم الطقوس الدينية للعرب قبل الإسلام وإن كان قد أدخل علـى تلك الشعيرة المقدسة بعض الممارسات الوثنية والشركية كجزء من المناسك، فـكان العرب قبـل الإسلام لا يقومون برحلة الا بأخذ حجـر من المكان المقدس من عنـد الكعبة ويقـوم بالدوار حوله كتمثيـل لشعيرة الطـواف في البيت وجلب الحظ السعيد التي استمرت تتنقل بعد سيدنا إبراهيم (عليه السلام) جيل بعد جيل[3].

إن كل ممارسة سواء كانت رقصة أو شعيرة أو طقس ديني هي حقيقة تاريخية تضـرب جذورها تاريخيا لحدث وشخصية مؤسسـه عتيقة، وبالتالي من الصعوبة بنـاء الرمـوز المقدسة إلى من قبل شخصية كرزماتية قـادرة على إضفاء القداسة للأشيـاء وإخضاع الأتباع وأعطاء الممارسـات أو الطقوس، فالحج ورموزه المقدسة غي مكة اسست من طرف شخصية كرزماتية وجدت في زمان ومكان معين واعطت

(1) جان فرنسوا دورتيه - مرجع سابق -ص 422

(2) يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: وإذا حكمنا المنطق والعقل وقرأنا قول الحق تبارك وتعالى:وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾(البقرة: 127) نسأل ما الرفع أولا؟ هو الصعود والإعلاء، فكل بناء له طول وله عرض وله ارتفاع.. ومادامت مهمة إبراهيم هي رفع القواعد فكأن هناك طولا وعرضا للبيت وإن إبراهيم سيحدد البعد الثالث وهو الارتفاع.. إن البيت كان موجودا قبل إبراهيم، ثم جاء الطوفان الذي غمر الأرض في عهد نوح فأخفى معالمه، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يظهره ويبين مكانه للناس. والكعبة ليست هي البيت ولكنها هي المكين الذي يدلنا على مكان البيت.

(3) Tanja Al Hariri Wendel-op.cit- p.29

الرمــوز الدينيــة قداستهــا وممارساتهــا وحفرت في الذاكــرة العربيــة ، وتناقلتها الاجيال، ومــن الطبيعي اذن أن شخصية المؤسس سيدنا إبراهيم عليه السلام، لم تكــن شخصية اسطورية وجدت في الذاكرة من فراغ، بل شخصية مؤسسه وفاعلة، وطــدت الفعل الديني وطقوسه لدى العــرب قبل الإسلام، وتم تداوله جيل بعد جيل من خــلال الذاكرة الجماعية، من فعــل الممارسة الطقوسيــة لشعيرة الحج، ولكن برغــم ذلك تلــك ممارسات الدينية في الحــج أيام الجاهليــة الأولى أضيفت إليها عــادات وثنيــة لتناسب عبادة الأصنــام التي اقحمت في الحج ، حيــث أن الطقوس موروثة عن زمن ما قبل الآلهة[1].

نلاحــظ بأن برغم ظهور الديانات السماويــة حول جزيرة العرب، الا انهم ظلوا وفيــين في عبادتهــم للالهتهم الوثنيــة التعددية، ولكن كان الأهم مــن تلك العبادة الوثنيــة الشركيــة، طقوس العبادة التي ظــل العرب في الجاهليــة محافظين عليها كإرث دينــي عتيق، إرث الذاكرة الجماعية للمقدس، إنها الكعبة والشعائر المقدسة المؤسســة للحج، فــكان مكة مركز ديني طقوسي نمت المدينــة حولها تباعا حيث ان اسمها مذكور في المدونة البطلومية Ptolemique (القرن 11 ق.م) ماكورابا ، وهو لفظ مشتق من ماكورابا السبئي بمعني (المعبد) أي البيت الأرضي للاله السماوي[2].

ومعنــي الكعبة البيت المربــع وهي البيت الحرام، والعــرب كانت تسمي كل بيت كعبــة، ومن الشائــع أن الكعبة بنيت ثم أعيد بنائها عشر مــرات ، ويذكر المسعودي بــأن بناها تم في ربوة حمــراء[3]، وكان حول الكعبة أصنام ومعبودات العرب اللات والعزى ومناة وغيرها ، وكان أحد أشراف مكة يختار لسدنة الكعبة

لقــد اكتسبــت الكعبة رمزيــة محوريــة خاصة بوصفهــا بيت اللّه، فــكان الحج

....

(1) هشام جعيط- مرجع سابق-ص 92

(2) ميرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية- الجزء الثالث - مرجع سابق- ص 75

(3) المسعودي،أبي الحسن بن علي- مصدر سابق - ص113

وشعائـرة تكـرار طقسي ديني لفعـل سيدنا إبراهيـم عليه السـلام، ويتبين المعني الرمزي للطواف حول الكعبة، والغرض منه فيتفق هشام جعيط مع جاكلين الشابي حـول أن الطواف حول الكعبــة يمثل طقسا من طقوس التطهير للمكان un rite lustral اكـثر من كونه صيغة من صيغ الاتحاد مع الإله[1]، كما استبعد فكرة أن الطواف أو الدوار تدور رمزيتها الشعائرية بالاتحاد مع الله، فهي فكرة سوف تستخدم بكثافة في وقت لاحق لدي المتصوفة حيث ان الدوار أو الطواف يمثل لديهم سبيل للالتحام والاتحاد بالله وذوبانه فيه، وفي ذلك فيقول إيريك جوفروا Eric Geoffory : "لا يعيش الصـوفي إذا حالة توحد بالمعني الحقيقـي، بما أنه لا وجود في الإسلام لاستمرارية جوهريــة بـين الله والخلق.إن غايته هـي "الفنـاء في الله".وبتخلصه من مختلف استثـارات العالم، يحصـل المريد عندها على نشوة الانشغـال بالحضور الإلهي"، وكثير من المصادر تصف المتصوف جلال الدين الرومي(1273م) يدور حول نفسه حتى يبلغ الشارع[2].

الكعبــة الرمــز الديني العتيـق كانت القبلــة الجامعــة لشتات القبائـل العربية رمــز ديني وجد منــذ الازمنة الغابرة، وببناء الكعبة من قبـل سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيـل عليهما السلام، وضــع الحجر الأسود في جوف الكعبة كرمز ديني قديم، ادمج بالكعبة واكتسب القداسة ومنطلق طواف الحجاج ، وحقيقة اننا لانعرف بعين اليقين، لماذا اكتسب تلك القداسة والرمزية.

في الموروث الإسلامي قصــة شائعة حول الحجر الأسود بأن هذا الحجر الأسود كان شديـد البياض، وبـأن سيدنــا آدم عليه الســلام هبط به مــن الجنة،فاسود مــن خطايا النـاس[3]، والحقيقة ليس من المعلوم على وجه الدقــه القيمة الرمزية

(1) هشام جعيط - مرجع سابق - ص 104

(2) جوفروا،إيريك Eric Geoffory التصوف(طريق الإسلام الجزنية) -ترجمة عبدالحق الزموري- مراجعة أبويعرب المرزوقي-أبوظبي للثقافة والتراث(كلمة)-أبوظبي-ص21 ، وكذلك انظر: ص 89

(3) انظر: ابن كثير ،البداية والنهاية ج 1 - المكتبة العصرية - بيروت / صيدا -2009ص191

والقداسة التــي اكتسبها الحجر الأسود، فعندما فتح الرسول صلى اللّه عليه وسلم مكة 629 م قام المسلمين بتحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة وما جاورها، ولكن ترك الحجر الأسود، حيث قام الرسول صلى اللّه عليه وسلم يتقبيله وإدراجه ضمن المعاني والرموز الإسلامية حتى قال عمر بن الخطاب حين اقبل على الحجر الأســود وقبلــه: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفــع، ولـولا أني رأيت النبي صلى اللّه عليه وسلم يقبلك ماقبلتك)[1] .

إن قداسية الحجر الأسود وموضعه والأصنام المنتشرة حول الكعبة جعلت بعض الباحثــين يرجح بأن العرب من عبادة الاحجار، ويفند الأستاذ هشام جعيط مقوله أن العرب كانوا عبدت الاحجار واستندا إلى تقديس العرب الحجر الأسود والنصب وغــيره، حيث يبين «بــإن قداسية الحجر الأسود اتت من كونــه رمز لمقر الإله منذ القدم، ومتداول في التراث السامي – الغربي لدى الكنعانيين، وبأن قداسية الحجر الأسود ازدادت مع اندماجه بفضاء الكعبة وبالتالي ظل يحمل صفة المقدس، وتنسي مرجعيتة المقدس وكيفية اكتسابها[2]»، وذلك ما يعلنها عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه، صراحة وعدم معرفته بدوافع لتقديس الحجر الأسود.

إن تاريخــه المقدســ غابر في القــدم، وفي الكتاب المقدســ المسيحي حديث حول حجــر مقدســ يتحدث عنه سيدنا المسيــح (الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّــاؤُونَ قَدْ صَارَ رَأْسَــ الزَّاوِيَــةِ) ، وقولــه فى الآيتــين 42 و 43 من الإصحاح الحــادى والعشرين من انجيــل متــى،:» لذلــك اقــول لكــم ان ملكــوت اللّه ينزع منكــم ويعطى لامــة تعمل ثمــاره»[3] . ويرى علماء المسلمين انه رمــز ديني لذلك الفرع من أبناء إبراهيم فرع إسماعيل وابنائه الذى نبذه بنو اسرائيل فكان منه أباء قبيلة قريش، وبغض النظر

(1) انظر صحيح البخاري (كتاب الحج)--ابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري-تحقيق وتخريج-أحم زهوة- أحمد عناية-دار الكتاب العربي- بيروت 2010 - ص323

(2) هشام جعيط - مرجع سابق - ص 96

(3) دل ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثاني- مجلد الرابع -13 مرجع سابق -ص 19

سـواء كان سيدنـا المسيح عليه السلام يتحدث عن نفـس الحجر أو غيره، فالحجر الأسود رمـز مقدس للعرب منذ قبل الإسلام، أن الحجارة رمز مقدس لدى الكثير مـن الشعوب البدائيـة، فكما يقول فيليـب سيرنج: « فالحجـارة في نظر البدائيين مثقلة بالمقدس[1]»، فالجحارة بما لها من خاصية الثبات والرسوخ والتحمل اضحي بالنسبة لبعض الشعوب البدائيـة القديمة رموز للآلهة كعبادة الأصنام والانصاب في جزيرة العرب قبل الإسلام التي اعتبرت رمز مقدس للآلهه،

إن تحليـل القيمة الرمزية لعبادة وتقديـس الاحجار، بكونها تجلي لمنطق النفس البشريـة في تجسيـد الاشياء، ويوضـح ميريشيا إلياد: بـأن» تجلي الحجر هو تجل وجـودي ontophanie بامتيـاز: فقبل كل شيء يبقي الحجـر دائما ذاته، لا يتغير ابدا، وهو يضرب الإنسان لأن له من قوة عدم الكسر والاطلاقية "[2]، إن قداسية الحجر الأسـود ليس لطبيعـة الحجرية المادية بقـدر رمزيته الدينية المقدسـة، واندماجه في فضـاء المقدس ومناسك الحـج، إن اكساب الرمزية الدينيـة المقدسة للتجليات الكونيـة سواء كانت صخـرة أو شجرة أو غيرها ، تنبع رمزيتهـا بكونها إدرجت في مجال المقدس، فكما يقول ميريشيا إلياد:»لو أن حجرا مقدسا جرى تبجيله فذلك لانه مقدس وليس لانه حجر»[3] .

لقد كانت الكعبـة حاملة لدلالات قداسية عند العرب قبل دخول الإسلام، ولكن أضيـف إليها معان إسلامية أخرى وعملية تطهـير من معتقدات والأوثان السابقة، ويبـدر لذهـن تسأل مـن الاسبق الرمـز وقداسيـة أم إن القداسية تأتـي بعد عدة اسقاطات ثقافية واجتماعية على الرمز، والحقيقة بأن القداسية موضوع يسمو فوق فهـم وادراك القدرة البشرية، هنا تـبرز مشكلة محددة للبحث اجتماعيا وتاريخيا حول الظاهرة الدينية، فبرزت فكرت المتعالي أو ما فوق الطبيعة أو ما فوق الإنساني

(1) فيليب سيرنج - مرجع سابق - ص 366

(2) مرسيا إلياد - المقدس والمدنس-مرسيا إلياد- مرجع سابق -ص.115-114

(3) نفسه -ص.90

أو الاجتماعـي وطرح السؤال: كيف تتعامل الدراسات مع هذه الفكرة (المتعالي) أو الحقيقة غير المادية أو غير العيانية أو الملموسة[1].

ولكـن برغم ذلك يجب إدراك ان النقطة الهامـة الرابطة بين الرمز وقداسيته هـو الإنسان الواسطة للرسـالات وإعطاء الرموز معناها المميز ، لذلك قال عزوجل في محكـم آياته ﴿إِذْ جَعَلْنَـا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ من مَّقَـام إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّـى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّـرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُـودِ﴾[2]، وقوله عزوجـل ﴿ فقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا من قَوْمِـه مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُـمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاء اللَّه لَأَنـزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِـينَ﴾[3]، لذلك يعترف ميريشيا إلياد بأن هنالـك (تضامن دائم للإنسان مع القداسـة)[4] ، لذلـك من الأهمية بمـكان تطبيق الدراسات علـى تمظهر المقدس اجتماعيـا وتاريخيا من خلال الإنسان وسلوكياتـه وممارسته للدين الذى يؤمن به وطريقة ممارسته.

تتسـم الرموز الدينية في جاهلية العرب بتعـدد الآلهة، ولكن يظل المجال خاص لفعاليـة وثبات الطقس الديني المتمثل بمكة كمجـال ديني يحوي المقدسات الدينية للعرب وفي مقدمتها الكعبة (بيت الله) ، لتظهر لنا أصاله الرموز الدينية تتمثل كلها بالطقـس الديني وشعائـره ومقدساته، لقد كان اختيار مكـة لاقامة قريش كمجال دينـي مقدس، وبالتالي اختيار قبائل رحل لمـكان والاقامة فيه بصورة دائمة، يعتبر قـرار حيويـا ورمزيا يربـط جماعة برمتها في مـكان وتنظيم جماعـي حول مجال مقدس ديني برغم قلـة موارده وامكانيتـه ليصبح المركز الدينـي لجزيرة العرب وحجهم لنكشف لدينا بجلاء دلالات عمق المكان المقدس في الحياة الاجتماعية.

---

(1) حيدر إبراهيم علي- مرجع سابق- ص 43

(2) سورةالبقرة : 125

(3) سورة المؤمنون : 24

(4) ميشيل مسلان- مرجع سابق - ص262

حاولت قريش أن تضفي لمكة البعد الديني أكثر من البعد العسكري، كمركز ديني قيادي لجميع العرب تملك سدانة بيتها العتيق، مما جعلها تقبل بإضفاء ذلك العدد الهائل من الأصنام حول الرمزي الديني العتيق (الكعبة)، وادخل التشدد الديني في عبادتها كأهل الحمس، وبالتالي سوف يضفي كل ذلك أحلاف لقريش ومكانة دينية وتجارية وسياسية.

قاوم اهل مكة الدعوة المحمدية بشتي الطرق المادية والمعنوية، وذلك ليس انكار لها، بقدر أن الدعوة المحمدية تمس مصالح قريش وسيادتها بين القبائل العربية وتجارتها وبالاقتصاد الديني (عوائد الحج والتجارة)، بالاضافة إلى أن الدعوة المحمدية سوف تحدث اختلالا في الوضعية الاجتماعية السائدة في المجتمع القرشي القبلي وعلاقة السيد بالعبد وبين اكابر القوم ومستضعفيها من القبائل الضعيفة الاخري، وأخيراً سوف تكون صيغة توزيع الامتيازات لدعوة المحمدية التي لم ترضي طموح سادات قريش، فكانت عبادة الأصنام والمعتقدات الوثنية سبيل للابقاء والاحتفاظ بالوضع الحالي لصالح سادات قريش وسيطرتها على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والدينية .

الفصل الثاني

بناء الرمز

(عهد التأسيس والنبوة)

ظهــر سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم في ذلــك المجال الديني في مكة، ليقوم بنشر عقيدته الإسلامية وأفكاره حول الخالق ووحدانيته، وزعزعت ونبذ المعتقدات السابقــة، ولكــن لماذا مكــة؟ ولماذا في ذلــك الوقت بــذات؟ ولماذا ظهــرت الدعوة بــين ظهراني العرب برغم عــدم امتلكهم للمقومات الحضــاريــة والقوة العسكرية والوحدة ؟.

لقــد بــدأت الدعــوة في مكــة الا أن التأسيــس الحقيقــي وتوطيــد أســس الأمة ونجاحهــا وانتشارهــا تم في يثرب (المدينة المنورة) من الملاحظة من خلال المسيرة المحمديــة أن الدعوة الإسلاميــة ونشأت الإسلام مرتبط بشــكل مباشر بشخصية الكريزماتيــة للرسول محمد صلى اللّه عليه وسلم في مجال يفتقر أي بصيص من التطــور الحضاري والاقتصــادي، حيث القوى المسيطرة في ذلــك الوقت تتجاذبها إمبراطورتــي الفرس والروم، وبيئــه قبلية تسودها القيم الحربية والثأر والاعتزاز بالنفــس وبالعروبــة، وتعتمد على مــوارد اقتصادية شحيحــة في معيشتها والمجاعة مسلطة على الاغلبية باستمرار[1].

مجال تسودها عبادة الاوثان، واعتبرتهم الحضارات التي حولهم سواء الفارسية والرومانيــة بالبرابــرة قاطنين الخيــم، وأمة يسودها الجهــل والتخلف، ويعبر عنه ككيــان مهمش خــارج التاريخ، فالحيــوان بالنسبة لهم هو رأس المــال ورمز المكانة الاجتماعيــة والــثروة والصراعات والتنافس، إن كل ذلك لا يمكن أن يوحي بظهور

(1) هشام جعيط- مرجع سابق -ص49

شخصيــة كرزماتيــة أو دين جديــد في تلك البقعة التي سوف تكــون من بعد احدى أعظم الامبراطوريات على مر البشرية، والتي تجعلنا ندرك مدى المعجزة الإلهية.

كمــا نجد بأن الدعوة اتخذت مسار محاولة اجتــذاب المناطق الحضرية (مكة- الطائف - يثرب) لانطلاق الدعوة حيث نجحت أخيراً في المدينة المنورة. وأن اتجاه الدعــوة يرتكز على إبراز وحدانية الله وتوضيح أســس العقيدة الإسلامية دون أن يمس بالرموز الدينية للعرب مؤسسة الحج والكعبة والحجر الأسود (رموز الطقس الدينــي الإبراهيمــي) ولكنه قــنن وازال معالم الشــرك والوثنية مــن حولها ورسخ الكعبة قبلة للمسلمين.

إن فقــر بيئة جزيرة العــرب ووحشيتها وكثره مجاهلها وطابعهــا القبلي واتساع مجالهــا الصحــراوي وبعدهــا عــن التمــدن جعلها مجال خصــب لعبــادة الأرواح والأشيــاء التي تنقل الرغبــات للآلهة مع قله معابد جزيرة العــرب ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُــمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُــمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُــمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾[1]، لذلك كما يقول (دومينيك أورفوا) كان التعبير عن الكلام الإلهي بالرموز التوفقية ومنهــا (الاقتراع ، الاحلام) والرموز الطبيعية (كالفراسة ،والطيرة..) ويكون دور الكاهــن مجرد مفســرا لها، ولكن برغم ذلك انني لا اؤيد (دومينيك أورفوا) حول مسأله بإنه كان يكفي أن يربط نبي الإسلام جميع الاجراءات ما قبل الإسلام بالإله الواحــد ليتمكن من استثمارهــا، معلنا انه صاحبها الشرعــي الوحيد، وتكمن وجه النقد بأنه اختزل التجرية المحمدية والنبوة والدور الذي لعبته الكريزما الشخصية للنبــي صلى الله عليــه وسلم والقرآن الكــريم في بناء الأمة والحضــارة الإسلامية وتنظيم المجتمع، فلو انه كان دوره منظم فقط لسلوكيات وأفكار العرب، لظل كذلك دون أن يتجاوز الإسلام حدود الجزيرة العربية نحو العالمية.

(1) سورة الزمر: 3

1. الكتاب المقدس: القرآن الكريم:

الشعــر عند العرب قبــل الإسلام كان مخزون التاريخ والذاكــرة، وأقوى أشكال الأدب والتعبــير قبــل الإسلام، فكما يقول ابــن قتيبة " الشعر معــدن علم العرب، وسفر حكمتها، وديوان اخبارهــا، ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصــام ... وغص عين الحسود "[1]، ففي المجتمعات القديمة كان الشاعر يشكل المصدر الرئيسي للمعرفة المتوارثــة ثقــافيا ، ويعــلل نورثروب فراي Northrop Frye ذلك بقوله "فالنظم بقوالبه وصيغه الصوتية هو اسهل وسيلة لنقل الثقافة الشفوية التي تحظى فيها الذاكرة أو وسيلة الابقاء على التراث حيا "[2].

القرآن نــزل في بيئه ذات فصاحه وبلاغة حتى اضحــي الشعر والبلاغة موضع فخــر العربي وتمتاهيه وكبريائه على الشعوب الاخــري، ومتجذر في بنياته القبلية، فــكان اشعــر القوم هو حكيمها و خطيبهــا والناطق الرسمي عــن القبيلة، وبالتالي تبــوأ الشعر مكانة مرموقة في المجتمع واسند لحاملــه دورا اجتماعيا مهما، وكانت أشهــر الأشعــار يسمونهــا بالمذهبــات أو المعلقات وتعلــق في جوف الكعبــة كرمزية لقيمتهــا وتعاليها قد تصــل كالمقدس، ففي سوق عكاظ كانــت المنافسات الشعرية بــين قبائــل العرب على مــدى شهر محرم الذى حرمــوا فيه القتــال، وذلك فرصة لايجاد مساحــة للتلاقي والتواصل والتجارة وكبح العصبيــة القبلية والتناحر فيما بينهم،فكانــت أحسن القصائــد التي تقال في هذا السوق تكتــب بخط جميل ويعلو قدرهــا بين القبائل وقيل أنها كانت تكتب بالحرير المصري بخيوط من ذهب لذلك سميت بالمذهبات وسميت كذلك بالمعلقات أنها تعلق في جوف الكعبة في مكة يطوف

(1) دومينيك أورفوا - تاريخ الفكر العربي الإسلامي-— ترجمة رندة بعث - المكتبة الشرقية - لبنان - ط 1 - 2010 - ص 34 .

(2) نورثروب فراي - مرجع سابق -ص 68

يقراها ويشاهدها العرب.

لقد امتاز العرب بالشعر والنثر والذي هو لغة الذاكرة والاخبار بالدرجة الأولى لذلك اتهمت قريش سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالشعر، ليس لأن نظم القرآن يشابه الشعر وأنه نزل في بيئة أهل بلاغة شعرية تمجد الشعر والشعراء، فحسب بل للأخبار الذاكرة التي أخبر بها القرآن عن طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿بَلۡ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمِۭ بَلِ ٱفۡتَرَىٰهُ بَلۡ هُوَ شَاعِرٞ فَلۡيَأۡتِنَا بِـَٔايَةٖ كَمَآ أُرۡسِلَ ٱلۡأَوَّلُونَ﴾[1]، فكما يقول الأستاذ الجابري "لقد وجدت قريش في هذا الخطاب (القرآن) مستوى من الفصاحة والبلاغة أرقى كثيراً من سجع الكهان وقصائد الشعراء ورجزهم"[2].

لقد كان القرآن الصراع بين فصاحة وبلاغة العرب في شعرهم وبين وبلاغة وفصاحة القرآن لذلك أول ما اتهم به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بأنه شاعر وبالجنون وذلك لقوة بيان القرآن ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ﴾[3]، فكان الرد القرآني دائما على ادعاءات الكفار ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾[4]، يقول الأستاذ عمار بلحسن «إن القرآن كنص مقدس نزل في مجتمع عربي، للشعر فيه سلطة سامية تتقاطع مع القداسة، فهو المؤسس للتراتب السوسيو- ثقافي للقبائل العربية، وازدهار صبياتها الدموية والرمزية»[5].

فكان القرآن الكريم، الكتاب الديني المقدس، رمز الدعوة المحمدية الذي يتلى آناء الليل وأطراف النهار، تحديا لفصاحة وبلاغة العرب، لقد أضحى القرآن الكريم المفتاح الرئيسي لتفسير الحياة والوجود والكون والوحدانية والإيمان وإعادة

(1) سورة الأنبياء : 5
(2) محمد عابد الجابري - مرجع سابق -ص 194
(3) سورة الصافات : 36
(4) سورة الحاقة: 41
(5) عمار بلحسن - مرجع سابق - ص 572

تفسـير وتأويل الروايات الميثولوجيـة عن الأمم السابقة على أسـاس أن الوعي بها يشـكل انطلاقه لفهم رسالة الإنسان بالأرض، فهـو الوحي الإلهي، كتاب الله، مما سـوف يؤدي إلى التفاف المؤمنين حوله كمصدر الأول للتشريع، لذلك يدعو محمد اركـون عند بحـث الفكر الإسلامـي أن تنطلق من القـرآن وتجربـة المدينة لانهما «ادخـلا شكلا من الحساسيـة والتعبير ومقـولات فكرية ونماذج للعمـل التاريخي ومبادئ لتوجية السلوك الفردي»[1].

فالقرأن إذن كما يقول هشام جعيط « كتاب مقدس، بالمعني الدقيق للكلمة سواء آمن بألوهيته الإنسان – المسلمون وحتى غيرهم....على أن مفهوم الكتاب المقدس أوسـع مـن مفهوم الكتاب الموحى به **Revele** لأن من الأديـان مثل البوذية ما يستبعد فكرة الإله جملة"[2].

تكمـن رمزية وأهمية القرآن الكـريم للمسلمين بقوة بيانـه وحجته واستمرارية وانطلاقه بكونه امتداد للديانـات السماوية السابقة المرسل لجميع البشر ومجموع الاخـلاق االسمحة التي يدعوا لها، وفوق هذا كلـه بكونه كلام الله تعالى للبشرية، كنصـ إلهي مقدس، فكما يقول يوسـف شلحد» القرآن هو التجلي الأعظم للقدسي علـى الأرض»[3]، فالقرآن هو المعجزة الخالـدة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم علـى صدق نبوة من خلال المحتوي الديني والفكري، للقرآن الذي يناقش ويضرب جـذوره في أعمـاق التدين القـديم وقصصـ الخلق والأنبيـاء والأديـان السماوية الرسولية ليتواصل في فضاء جزيرة العرب والشرك العربي ويمتد ليشكل انطلاقه لمستقبـل والأمة الإسلامية والعالم، وبذلـك يخترق زمانه ومكانة، وبذلك كما يقول الأستـاذ هشام جعيط :» يتجـاوز التاريخ، أي الظروف الخارجيـة والزمنية ويبقي

(1) محمد اركون-تاريخية الفكر العربي الإسلامي-ترجمة هاشم صالح-بيروت –مركز الانماء القومي-1986-ص 17

(2) هشام جعيط – الوحي والقرآن والنبوة-دار الطليعة – بيروت – ط 2008 – ص 19-18

(3) يوسف شلحد – مرجع سابق- ص 138

حيا في ندائه إلى البشر كأي أثر فكري وأدبي كبير»[1]

لقـد قدمت الدعوة المحمدية والقرآن نفسيهما كمتـداد ومكمل للخط للتاريخي المقدس للديانات السماوية اليهودية والمسيحية، باعتبار بأن الدين واحد منذ سيدنا آدم عليـه السلام حتـى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، دين يعلن وحدانية الله ويركـز عليها بإلحـاح وصرامة، حيث يدعـوا اليهود والمسيحيين إلى ﴿ قُـلْ يَا أَهْلَ الْكِتَـابِ تَعَالَـوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَـوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُـدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِـذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[2] ، لقـد ناقش وفند القرآن الكريم أشكال التدين لدي الأمم السابقة وضلالها والتي تتعرض مع وحدانية عزوجل من شـرك وأوثان واصنام وبشـر والتدين الكوسمي للطبيعة بجميع أشكالها فهو (رب الشعري) ، ورب السموات والأرض بجنها وإنسها، ورب الشمس والقمر ورب عيسى ومريم عليهما السلام والنبيين والملائكة ورب كل شيء في هذا الكون الذي يسبحد بحمده ويقدسه (لا اله غيره).

جـاء الإسلام ليقطـع الصلة التامة بين التصورات الوثنيـة للألوهية والتي كان يؤمن بها العرب ويبلغ تميزه عن النصرانية المسيحية ويوضح انحرافها عن الرسالة الوحدانيـة التي امروا بتبعها من قبل الرسل، فجاء الرد القاطع حول وحدانية الله وماهيتـه في سورة الاخلاص ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَد، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ ﴾، وبالتالي عمل الإسلام كدين مضاد ضد الوثنية، إما المسيحية واليهوديـة اللتان قامتا ضد الوثنية وحاربتاها، فقـد احتفظ القرآن بعلاقة معهما وهي علاقة التوحيد الا أن الرسول عليه السلام طالبهم بضرورة الرجوع إلى توحيد الخالق الاحد، باعتبارها كلمة الحق المشتركة في الأديان السماوية.

إن لفظ القرآن مشتق من القراءة أول كلمات الوحي والقرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ

(1) هشام جعيط – مرجع سابق- ص 183

(2) سورة آل عمران : 64

الَّــذِي خَلَــقَ ﴾[1] ، وهو كتاب الله الموحى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويختلـف عن الكتــاب المقدس للمسيحــين واليهود بأنه نطق به رجـل واحد[2]، ولم يجمع بمصحف واحد إلا بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم على يد أصحابه كما هــو الحال مع الكتــاب المقدس للمسيحين واليهود الذي كتب بعــد وفاة المسيح عليه الســلام بفترة طويلة، وهذا أمر طبيعي في ظل عدم انقضاء الوحي بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم وعدم استكمال الدعوة وإقرار الصيغة النهائية للأمر الإلهي، فيقول عزوجل : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَــىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيــرٌ ﴾[3]، إلا أن القرآن كان يحفظ في صور الرجال وتكتب اجزاء منه على سعف النخل والحجارة والعظم ، وتبلغ سور القرآن مائة وأربع عشر سورة ونزلت طول مسيرة الدعوة المحمدية المقسمة بين مكة والمدينة.

قام القرآن الكريم بإعادة بناء الأخلاق والتصورات التي كانت سائدة في أساطير المجتمعات القديمة و والتصورات الدينية للأديان السماوية (لأهل الكتاب) وجاهلية العــرب وبين عمــق وأصاله التجربة الدينيــة الإسلامية والقــرآن، حتى نلاحظ أن مجمــل وكل سطر قرآني كما يقول (يوســف زيدان) «يسطع باسم الله ووحدانيته ولا يفــارق أي معنــي من المعاني القرآنية، فسطعت شمــس ونور الله بقوة في النص القرآني»[4]، إن القرآن الكريم هو الرمز الأعظم للمقدس الإسلامي، فاتحة الرموز الدينيــة الإسلامية، ودليل المسلم بعــد انقطاع الوحي الرباني بوفاة الرسول محمد صلــى الله عليه وسلم، وكان علــى المؤمنين بعده أن يقتفوا أثــر تعاليمه[5]، فعندما نشب الصــراع بين عثمان بن عفان والثائرين عليه خرجت إحدى الصحابيات إلى مسجــد النبي شاكية إليه على قبره انقطاع الوحي وغياب شخصه الذي كان يمكن

(1) سورة العلق : 1

(2) دل ديورانت - قصة الحضارة - الجزء الثاني- المجلد الرابع 13 - مرجع سابق - ص 48

(3) سورة البقرة : 106

(4) يوسف زيدان - مرجع سابق ص 145

(5) توماس ارنولد - الخلافة - دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر - ص.124

أن يعيـد الأمـور إلى نصابها[1]، يظهر القرآن نفسـه بوصفه دائما وابدا كلام الله الذي انزله على رسوله محمد وبواسطة الروح الأمين (جبريل عليه السلام)، وبهذه الرمزيـة المقدسة يبرز القرآن، كرمز ونصـ مقدس متعال للمسلمين، ولكنه برغم ذلك سوف يتعرض لنقاشات وجدليـات المتكلمين والفلسفة العقائدية الافلاطونية وفتنة خلق القرآن والتأويلات بين المعني الظاهر والباطن.

أصبـح القـرآن المرجعيـة الدينية والملاذ للأمـة الإسلامية لتسـير أمور دينهم ودنياهـم، بحيث تم تغلغله في البنى الفكرية الدينيـة والحركة السياسية كمرجعية تتخطـي القبيلة والدولة على حد سـواء وأداة فاعلة في الأمـة الإسلامية، فالقرآن نصـ اجتاز مسار الكون والتكوين خلال مسيرة تجـاوزت عشرون سنة من الدعوة المحمديـة[2]، فالقرآن مقارنـة بالكتب المقدسة الاخرى اعتـبر نفسه منذ اللحظة الأولى في العقيدة الإسلامية ككلام منبثق كليا عن الله في الشكل والمضمون[3].

فهو الكتـاب المبلغ بالرسالة الإيمانية الوحدانية والمنظـم لحياة البشر بتعاليمه وتشريعاتـه والاخلاقيات التي يأمـر بها، بالاضافة إلى الاعجـاز الذي اتي به على جميـع الاصعـدة اللغويـة والعلمية والاخباريـة، فكما يقـول الأستـاذ محمد عابد الجابري» وبالدخول في مجال الأنبياء والرسل أصبح القرآن الذي كان ينزل مفرقا ليقـرا على الناس على مكـث، ينمو ويتطور يصبح كتابا موجهـا للاميين (العرب) ليحولهم هم أيضاً إلى أهل كتاب بعد أن عاشوا أمة أمية لا كتاب لها «[4].

لقد أصبح القرآن يردد آناء الليل واطراف النهار وعند كل صلاة عند المسلمين وفي جميـع نواحي الحياة يرتبط المسلم بالقـرآن ويتناقل منذ الصغر من جيل إلى

---

(1) محمد حافظ دياب – «الدين والمغامرة الابداعية: السيرة النبوي نموذجا» - الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث- مركز دراسات الوحدة العربية - 2000 - ط2 - ص 558

(2) محمد عابد الجابري- مرجع سابق -ص 10

(3) هشام جعيط – الوحي والقرآن والنبوة-مرجع سابق – ص 19

(4) نفسه- ص 125

جيـل ككلام مقدس من الله ، وحفر في المخيلة الإسلامية وآثارها بصوره البلاغية والأخلاقيات والغيبيـات التي يصفها من الجنة والنار والملائكة والجن والشياطين والثـواب والعقـاب وقصص الأمم السابقة وغيرهـا، كما تشتـق الأمثال والحكم والاخلاقيـات في الحيـاة اليومية من القرآن الكريم حتى اننـا لنجد بأن كل رسالة يكتبها مسلـم متمسك بدينه تبدأ بتلك الكلمة الفخمة «بسم الله الرحمن الرحيم» والتي تبدأ في كل سور القرآن إلا سورة التوبة[1].

2. رمزية الحدث والمكان واللباس:

كانـت هجرة الرسول عليه السلام مرحلـة حاسمة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فهـي مرحلـة ورمزية مفصلية، ليس لأنها كانت الدعوة تركـزت بعد الهجرة على أمـور الشريعة أكثر من الإيمان والتوحيد في مكـة، لأننا لا يمكننا أن نقسم الدعوة بـكل بساطة بهذا الشكل، ولكن السيرة المحمديـة سيرة إيمانية بالدرجة الأولى في جميع مراحلها تركز الشريعة والعقائد وتفصيلها في المدينة المنورة؛ نظراً للسيرورة التاريخية والأوضاع السائدة المهيئة لتلك المرحلة من الدعوة.

والهجـرة يقصـد بها الخروج مـن أرض إلى أرض، والانتقال مـن مكان لاخر لتحقيق غرض المهاجر ، ولكن الهجرة في الأديان رمزية ومفصلية بين الانتقال من مرحلـة الدين الباطل إلى مرحلة دين الحـق ، كما كانت قصة خروج بني اسرائيل في قصـة موسـى عليه السـلام وسيدنا نـوح والطوفان في القرآن الكـريم والكتاب المقدس المسيحي، وكذلك في قصـة صالح عليه السلام في القـرآن الكريم ﴿فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

(1) قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثاني- المجلد الرابع 13 - مرجع سابق ص - 54

الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾[1]، وقصة لوط عليه السلام (قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ)[2]، وغيرهم من الأنبياء والرسل في التراث الإسلامي والمسيحي.

ففي قصة موسى وهو يقف على ضفة البحر الاحمر، فإن الدال /مرور/ معناه الخلاص (في مقابل العبودية)[3]، فالهجرة أو الانتقال عملية رمزية بالغة الدقة بين صراع وصدام الحق والباطل والظلام والنور والتمييز بينهما، انها ثورة مضادة ضد منهجين مختلفين، حيث وصف فالرز **M.walzer** من خلال كتابه (الخروج والثورة (**Exodus and Revoltion**) الآثار البالغ الذي احدثته دعوة موسي (عليه السلام) بالنسبة لقبائل بني إسرائيل بالنسبة (للخروج، الصحراء ،حلم النزول بأرض جديدة، أين سينعمون بوعد التحرر)، وتكرار ذلك بخروج وهجرة النبي محمد (صلي الله عليه وسلم) حين بشر بدعوته وهاجرإلى المدينة المنورة، فحول شتاتا من القبائل الرحل إلى شعب ملتف حول معتقد، تحكمه بنية سياسية جامعة[4].

ويوضح القرآن الكريم هذه الأمر وبأنها سنته في رسله، فقال تعالى ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذاً لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ، سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾[5]، كما أن بعض جماعات الدعوة الإسلامية اتخاذها مرحلة فاصلة وحاسمة بين الحق والباطل أمثال حركة عثمان بن فودي في بلاد السودان أو الهوسا في القرن التاسع عشر وذلك عندما هاجر

(1) سورة هود : 66

(2) سورة هود: 81

(3) امبرتو ايكو- ص 177-176

(4) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق-ص 153-152

(5) سورة الإسراء: 76-77

سنـــة 1804 من منطقة دغـل إلى غُدُو[1]، كما أصبحت سنة الهجرة 622م بداية التقويم الهجري الإسلامي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب.

يمكننا أن نطرح التسأل عن المعني الضمني الخفي للآيات القرآنية حول قصص الأنبيـاء والتـي كانت بمثابـة الشهادات التاريخيـة، ذات دلالات رمزيـة واغراض ربانيـة، حيث أن مـن الملاحظ بأن قصة نوح عليه السلام نجدها تتكرر بتتابع، في سـورة هود وسورة السجـدة وهي سورة مكية ونزلت في مرحلـة صعبة على الدعوة المحمديـة ﴿وَأُوحِـيَ إِلَى نُـوحٍ أَنَّهُ لَـن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِـكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَـلاَ تَبْتَئِسْ بِمَـا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾[2]،إلى أن يقـول ويقرر عزوجل في اخر السورة ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُـونَ اعْمَلُـواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُـونَ﴾[3]، هل كانت تلك الآيات ذات دلالات ربانيــة لقرب الهجرة كمرحلة مفصليــة بين الحق والباطل والظلام والنور وخاصة بالنظـرإلى الظروف الصعبة التي تمر بها الدعـوة المحمدية، حيث علينا الانتظار فترة قليلة لحدوث المرحلة المفصلية للدعوة المحمدية .

يشير محمد عابد الجابري بأن تكرار الدعوة إلى الصبر خمس مرات في سورة الحجر، لها مغزى ودلالات ربانية بقرب الفرج لذلك عليكم بالصبر[4]، كما يوضح الأستـاذ الجابري، بـإن قصة يوسف كسورة خاتمة لقصـص الأنبياء تشعر بقرب تحـول الدعوة المحمدية من العسر إلى اليسر مـن يوسف المنبوذ المحسود المسجون الذليل إلى يوسف الصديق الأمين العزيز المكانة ذو السلطة[5]، لقد تحولت الهجرة النبويـة من حـدث تاريخـي إلى ذكري ونموذج دينـي مقدس تستعيـده الحركات

(1) للمزيد انظر مساهمة بهيجة الشاذلي، أسس الفكر السياسي عند عثمان بن فودي، ندوة الشيخ عثمان بن فودي- الخرطوم 19-21نوفمبر 1995، منشورات جامعة إفريقيا العالمية و المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، 1996

(2) سورة هود : 36

(3) سورة هود: 121

(4) محمد عابد الجابري- مرجع سابق- ص 236

(5) نفسه- ص 396

الإسلامية؛ لتعبير عن انتقال أفكار وتوجهات الحركة من حال إلى حال.

تعتبر الهجرة النيوية إلى المدينة المنورة مرحلة حاسمة في الدعوة المحمدية، باعتبارها لحظة مؤسساتية تميزت بكثافة التشريعات الدينية وتنظيم حياة المجتمع لما يتناسب مع لتأسيس المدنية بمفهومها الإسلامي من قانون وتشريعات وممارسات اجتماعية وقيم اخلاقية، فيذكر مارسى **Marcais** أن الإسلام " يوطد نفسه منذ ظهوره بوصفه دينا مدنيا في جوهرة"[1]، وبالهجرة ومن خلال مسيرتها في مساندة الدعوة المحمدية.

سوف تكتسب يثرب رمزيتها كمدينة منورة، ومرحلة للقطيعة بالماضي الوثني وبداية عهد جديد، مدينة دخلت عالم المدن ذات القداسة حاملة إحدى أهم مكونات الإرث الإسلامي ورموزه، وفي مقدمتها قبر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والشيخين أبوبكر وعمر، بالإضافة إلى مسجد الرسول الكريم، سوف تصبح المدينة المنورة حاملة لمعاني رمزية تحوي بين جوانبها ونواحيها رموز الدعوة المحمدية التي أصبحت تزار ويتبرك بها كمسجد قباء وقبور اهل البقيع (قبور الصحابة) وقبور الصحابة في غزوة أحد، حتى اضحت مدينة محرمة ذات قداسية، ففي حديث عن الرسول (صلي الله عليه وسلم) قال: "إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوت في صاعها ومدها، بمثلي ما دعاء به إبراهيم لأهل مكة"[2].

إن من أوائل الأعمال التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم عند قدومه للمدينة المنورة هي بناء المسجد، كما أن أول بناء يشيد في البلاد المفتوحة المسجد ،والمسجد كلمة مشتقة من السجود، فالمسجد هو موضع السجود والعبادة، وفي

(1) يوسف شلحد – مرجع سابق - ص 9

(2) انظر صحيح مسلم حول فضل المدينة:ابن مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسلبوري- صحيح مسلم- مكتبة العصرية-بيروت/صيدا-2010-ص493
وكذلك انظر :صحيح البخاري(كتاب فضائل المدينة).

جميع الأديان، تكتسب أماكن العبادة رمزية وخصوصية ، فكما يقول الأستاذ فيليب حتي: " والمعبد هو أول بناء تحاول نفس المتدين أن توجد فيه مسحة من الجلال فوق ما تستدعيه الحاجات المادية في المسكن العادي»[1] ، لقد اتصف مسجد الرسول في البداية بالبساطة، حيث كان يتكون في بداياته من بهو من غير سقف وحوله جدران من اللبن ثم مد الرسول صلى الله عليه وسلم وصنع سقف للمسجد؛ اتقاء أشعة الشمس الحارقة من الجريدة وغطي بالطين، وكانت الأعمدة من جذوع النخل، ثم أضيف إليه المنبر وكان الآذان يتم من فوق سطح المسجد.

المسجد ذلك المكان الروحي الإسلامي الذي تقام فيه الصلاة ، التي كان يشدد عليها الرسول الكريم، ويبين أهمية وفضل أدائها وبخاصة في المسجد، تمثل أماكن العبادة دور هاما كرمز للوحدة والتآزر بين أعضائه ، وكذلك الحال مع المسجد إلا أن في الصلاة في المسجد ترسخ مبدأ المساواة والعدالة ، فالعبد بجوار السيد والغني بجوار الفقير، وكما أن أقل الاشخاص شانا ومكانة اجتماعية يستطيع أن يؤم الناس في الصلاة.

لقد كان الاجتماع والصلاة في جماعة أعظم الأعمال يرمز لتلاحم فصلاة الاستسقاء والجنازة وصلاة العيدين والجمعة وغيرها من الصلاة، علاوة على أنها علاقة بين الله العالي المتعالي وبين عبده، فهي كذلك معاني ورموز للتضامن في الحزن والفرح والمصائب ووحدة المسلمين. فالمسافات بين المصلين وتموضعهم وترتيب الصفوف وحركات الجسد من ركوع وسجود كلها ذات دلالات رمزية ، حيث أن أفعال الشعيرة كما يذكر كريستوف فولف لها دلالات رمزية ترتبط الشعيرة بالجسد لترسم معاني رمزية، وبالتالي يمكن أن يكون الفعل المشعري سبيل لدراسة المجتمع والثقافة[2].

....

(1) فيليب حتي- مرجع سابق –ص321

(2) كريستوف فولف-مرجع سابق-ص 285-291

ويحدد يوسف زيدان حاجة المتدين الدائمة إلى إدراك الحضور الإلهي الدائم الـذي اكدته النبوات والرسـالات الكبري، وبعبارة أخرى يبين بـان المتدين بحاجة مستمـرة إلى الاتصال بـالله والتواصل معه وهو ما يتم علـى نحو عام عبر طقوس ومراسـم العبـادة»[1] ، فكان السجود رمز الخضوع التـام والاستسلام لله ورمزية للمسلـم، فالله يامر الملائكة وابليس بالسجود لآدم ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَـا لِلۡمَلَائِكَةِ اسۡجُدُواۡ لآدَمَ فَسَجَـدُواۡ إِلاَّ إِبۡلِيسَ أَبَى وَاسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ الۡكَافِرِينَ ﴾[2]، والاحاديث النبوية ترشد بأن اقرب ما يكون العبد إلى ربه وهو ساجد.

إن السجود ليست مقصورة على الإسلام، بحق انها ووجدت في الأديان السابقة ابتداء من العبادات والوثنية وتقديس وتعظيم البشر وصولا إلى اليهودية والمسيحية، وبالصـلاة والتي يرشد إليها محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: «العهد الذي بيننا وبينهـم الصلاة فمن تركها فقـد كفر «[3]، وفي حديث اخر يذكر الرسول الكريم « بأنه بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة «[4]. ويمكن للصلاة أن تؤدي في أي مكان طاهر، مما جعل من السجود كرمزية خاصة للمسلمين، بالاضافة إلى أن الطهارة جزء اساس في كثير من الأديان عند ممارسة الطقس الديني أو ملامسته.

يحـدد روجية كايـوا **Roger Caillois** الوظيفة الجوهرية للديـن باكتساب الطهارة وإزالـة الرجاسة"[5]، فتكتسب الطهارة في الإسلام مرتبة عالية قبل الولوج للعالم المقدسـ (فالطهـارة شطر الإيمـان) كما قال رسـول الله صلـى الله عليه وسلم، وذلـك لممارسـة الشعائر وملامسة الاشيـاء المقدسة قال الله تعـالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ

---

(1) يوسف زيدان - مرجع سابق ص 179-178

(2) سورة البقرة: 34

(3) رواه أحمد وأصحاب السنن

(4) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة وأحمد

(5) روجيه كايوا Roger Caillois - مرجع سابق ص 40

اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[1] ، وعند الحديث عن ملامسه القرآن يحدد الطاهرين ﴿ لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾[2]. إن المسجد يعتبر مجال رمزي دينامكي في الإسلام[3]، لما يوحي من حركية وفعالية. والحال كذلك مابقي دور العبادة في الديانات الاخرى.

إن الصلاة إحدى أهم اركان الإسلام، فكان الوضوء الذي هو مقدس من خلال الخروج من التقاليد الشرقية والسامية. عن طريق ممارسات الوضوء والغسل، مما يظهر لنا بوضوح أن الماء يتمتع بصفة رمزية، والتي تفوق بكثير مجرد وظيفتها الصحية[4]، فعبارة :(الماء هو الحياة) تختصر الرمزية العظيمة التي يكتسبها الماء مما جعله في كثير من الحضارات القديمة رمز للحياة والبعث والتجديد.

كما تخضع الرموز الدينية بما هو محرم وما هو مقدس في علاقاتنا مع العالم المحيط والأشياء من حيث المجال كالمساجد والأماكن المقدسة والطعام واللباس وغيره . فالحديث بداخل المسجد يوم الجمعة يعتبر أمر مكروه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت)[5] ، إن المسجد في الإسلام مركز الحياة اليومية ومجمع المجتمع كله بجميع اطيافه، ومنطلق المدينة الإسلامية، وبالتالي كان المسجد مظهر ومصدر الحراك الجماعي في العالم الإسلامي، ولكن برغم ذلك كان للمسجد رمزيته كبيت لله له حرمته وادابه وخصوصيته فالحديث بداخله يختلف عن الحديث في السوق أو الشارع والبيت كمجالات اجتماعية للبشر.

(1) سورة الأحزاب : 33

(2) سورةالواقعة : 79

(3) Abdulkader Tayob - Islam –A short introduction - Oneworld Publication-oxford-England-2003-p159

(4) Malek Chebel - Symbols of Islam -Assouline Publishing-New York - 2000 - P36

(5) انظر البخاري ، ابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري - صحيح البخاري (كتاب الجمعة) - مصدر سابق -ص 190 - وكذلك صحيح مسلم .

يرتبـط المسجد بالأذان للصلاة، فإذا كان المسجد باعتباره أحد الرموز المادية في الإسلام، فإن الأذان الذي يسمع ويصل لمنازل المسلمين ليدعوهم لأداء الصلاة، فنجد بـأن الإذان يحدد طقوسه وقوانينه برمزيـة الحركة واستجابة المصلين نحو التوجـه للصــلاة معا[1]، ويذكر ابن عمر (رضي الله عنــه) بأن الناس في المدينة المنــورة كانوا يذهبون للعبادة والصلاة بـدون اذان، ولكن في يوم من الأيام ناقشوا بعض الاقتراحات للآذان، مثل أن يكون دعوة للصلاة عن طريق ناقوسا مثل ناقوس النصــاري وآخرين اقترحوا البوق مثل اليهود، فقال عمر : أولا تبعثون رجلاً ينادي بالصلاة ؟ فقال رسول الله: «يا بلال قم فناد بالصلاة».

فالمنــبر فقد اتخذه المسلمين بعد أن كثر عددهــم، واشتكوا إلى رسول الله الله عليــه وسلم، إننا لا نــرى وجهك المبارك حينما تعظنا، فوافــق الرسول (صلى الله عليــه وسلــم) لذلــك بنى منبر مرتفع عــن سطح الأرض بثــلاث درجات بدل الجــذع الذي يستند إليه الرسول صلى الله عليــه وسلم، وهنا تحضر قصة (حنين الجــذع)، وقيل بــأن تميم الداري هو من أشار إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيــث رأى مثــل المنبر يصنع في C.H.BECKER بأن المنبر كان في الأصــل مقعــد عالياً أو عرشاً يجلــس عليه الحاكم ولم تكن لــة صبغة دينية[2]، وباتخاذ المسلمين للمنبر سوف يكتسب المنبر المعاني الدينية والسياسية.

سوف يؤدي المنبر ادوار رمزية في المسجد كأحد اقوى الرموز الدينية في الإسلام بارتباطــه بالسلطة والقيادة التي لاتنفصم عن الديــن، وذلك عن طريق ارتباطها برمزيــة الرسول صلى الله عليه وسلم وقداسية يوم الجمعة من خلال تموقع المنبر الرمــزي بجانب المحراب في المسجد أي بين العبــادة والوعظ (الدين - والسلطة) والتــي استمرت كذلــك بعد وفاة الرسول صلــى الله عليه وسلم مــن حيث الأهمية

(1) Abdulkader Tayob- op.cit-p3

(2) C.H.Becker -Orientalische studien.theodor Noldeke ed . C.Bezold- Giessen.1906- vol 1- p 331

والاهتمام[1].

وأخيراً قبل أن نختم حديثنا عن اهم الرموز الدينية الإسلامية في عهد التأسيس والنبـوة، فعلينـا أن نتطـرق إلى إحدى الرمـوز الإسلامية جـدلا في وقتنا الحالي، ونقصد به الحجاب كرمز إسلامي مميز للمرأة المسلمة، واحد أكثر المواضيع اثارة للجدل بين معارض ومؤيد ومحايد حول كيفيته وحدوده ومدى تعارضه مع الحريات وقوانين وتشريعات الدول وصراع الثقافات، وتختلف درجات حرية لبس الحجاب في الدول الإسلامية كإيران والسودان والسعودية وتونس ومصر والدول الاوربية ومنها وفرنسـا التي حضرت مؤخرا لبس الحجـاب في الأماكن العامة وفي المملكة المتحدة كذلـك يحتدم النقاش حول الحجـاب، ولكن عموما هنالك إجماع من علماء الدين الإسلامـي على وجوب الحجاب علـى المرأة، وإن كانوا يختلفـون في هيئته، وهناك بعضـ الدول تمنع أو تقيـد ارتداء غطاء الوجه أو ما يعـرف بالنقاب في المؤسسات العامة كالجامعات والمدارس أو المؤسسات الحكومية[2].

الحجـاب يكتسب معني الإسلام كرمز لمعاني إسلامية في اللباس فهو مصدر رضـى الخالق عزوجـل ومصدر العفة والواقـر والاطمئان والسـتر بالنسبة للمرأة المسلمـة، إن وظيفـة اللباسـ وظيفة أوليـة للوقاية والحماية والسـتر، وبرغم ذلك فاللباسـ قد يحيـل إلى معاني رمزية دينيـة تحيل إلى منتميها، كمـا هو الحال في العديـد مـن الأديان ومنها المسيحيـة واليهودية والبوذية وغيرهـا، الا أن الحجاب والنقـاب بـرز كرمز ديني يتم مناقشتـة بنظرة تاريخية فلسفيـة، وبرغم ان لباس الراهبات فى المسيحية مشابه للبس المسلمات المفروض شرعا، حيث وجد الحجاب

(1) Abdulkader Tayob- op.cit-pp113-114

(2) ناقش عدد من الكتاب الأوربيين الحجاب ومضامينه والصراع بين الحداثة والرموز الدينية : حول الحجاب انظر دراسة Dominic McGoldrick دومينيك ماكغولدريك في كتابه:
Human Rights And Religion: The Islamic Headscarf Debate in Europe-oxford and Portland,Oregon-2006

والبرقع في اليهودية المسيحية[1]، ولكن بروز الحجاب كظاهرة دينية واجتماعية سيشكل منطلق لبروزه كرمز ديني يميز المسلمات.

ترجع بدايات الحجاب الإسلامي من المدينة المنورة حيث لم يفرض في البداية على المسلمات، وكان الرجال ونساء يتبادلان الزيارات ويسيران في الشوارع جنبا إلى جنب، ويصليان معا في المساجد[2]، وتدريجيا حرم عليهن الإسلام السير في الشوارع والطرقات الا في وهن لباسات الحجاب في مرحلة الأولى في سورة الاحزاب كأول آيات الحجاب بقوله عزوجل ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾[3]، وقيل بأن أسباب نزول (آية الحجاب) بأن نساء المؤمنين كن يخرجن بالليل إلى حاجاتهن وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن فنزلت هذه الاية[4]، وتقول أم سلمة انه لما نزلت هذه الآية ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنّ﴾ خرج نساء الانصار كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهن أكسية سود يلبسونها[5]، فغرض الحجاب كما وضح عزوجل بانه أقرب أن يميَّزن بالستر والصيانة، فلا يُتعَرَّض لهن بمكروه أو أذى، والحجاب باللغة ففي لسان العرب: الحِجابُ: السِّتْرُ. حَجَبَ الشيءَ يَحْجُبُه حَجْباً وحِجاباً وحَجَّبَه: سَتَرَه، وقد احْتَجَبَ وتحَجَّبَ إِذا اكْتَنَّ من وراءِ حِجابٍ، وامرأَة مَحْجُوبةٌ: قد سُتِرَتْ بِسِترٍ.

---

(1) في الإصحاح الرابع والعشرين من سفر التكوين: عن (رفقة) أنها رفعت عينيها فرأت إسحاق، فنزلت عن الجمل وقالت للعبد: من هذا الرجل الماشي في الحقل للقائي، فقال العبد: هو سيدي، فأخذت البرقع وتغطت.) يقول بولس آمرا النساء: « فإذا كانت المرأة لا تغطى رأسها، فليقص شعرها! ولكن ما دام من العار على المرأة ان يقص شعرها أو يحلق فلتغط رأسها» (1 كورنثوس 11: 6)

(2) قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثاني- المجلد الرابع 13 - مرجع سابق - ص 136

(3) سورةالأحزاب: 59

(4) الموسوعة القرآنية الميسرة– الأستاذ الدكتور/وهبة الزحيلي- محمد عدنان سالم-محمد بسام رشدي الزين-الدكتور محمد وهبي سليمان –دار الفكر –دمشق-سورية – ط3 - 2004 - ص427

(5) تفسير ابن كثير – ج 6 - مصدر سابق - ص 482

ثم كان التخصيص في المرحلة التالية في سورة النور ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1] ، والخمار هو ما يخمر به أي ما يغطي به الرأس ويسمي كذلك المقانع، وفي اللغة الخمار هو الستر والاخفاء فكل ما ستر شئ فهو خمار، والخِمَارُ للمرأة، وهو النَّصِيفُ، وقيل: الخمار ما تغطي به المرأة رأسها، وجمعه أَخْمِرَةٌ وخُمْرٌ وخُمُرٌ.

شاع الاختلاط في جاهلية العرب، فكانت النساء تمر بالرجال مفسحة بصدرها لا يواريه شي وربما اظهرت عنقها وذوائب شعرها واقرط اذنها، ويذكر الحاحظ في رسائله بأنه لم يكن بين رجال العرب ونسائها حجاب وكانوا يتحدثون وينظر بعضهم بعضا في الجاهلية والإسلام، حتى ضرب الحجاب على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم[2]، فالحجاب رمز ديني سوف يكتسي مع الوقت كظاهرة اجتماعية - دينية في العديد من الدول الإسلامية، ففي عهد المماليك بين (1258 - 1512) أصبح الحجاب رمزية اجتماعية مميزة للنساء في القاهرة.[3]

(1) سورة النور : 31

(2) الجاحظ، ابي عمرو الجاحظ 150—255هـ ، رسائل الحاحظ (رسائل القيان) - ج 2 - تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - مكتبة الخانجي — القاهرة - ص 148

(3) Malek Chebel-op.cit - p106

1. إعادة تأسيس المقدس الديني:

سيقـوم الرسول محمـد صلى الله عليه وسلـم ابتداء من المدينـة بعملية إعادة تأسيـس وتهيئة المجـال المقدس ورموزه ، بطابعه الإسلامـي، فقام الرسول الكريم بتحويـل القبلـة ناحية الكعبة، وبذلك اكتسبت مكة مزيد مـن القداسة في الإسلام بحيث أصبحت مكة كما يقول مارتن لنجر Martin Lings " مكانة ونوعية حيوية ليس فقط بفضل القوة المغناطيسية لزعيمها الروحي ، بل أيضا لأن هذا المجال سيصبح منحـى حركات الصلاة والطقوس، التي تدل على ذوبان تدريجي للروح وصولا إلى سجود الجسم"[1] .

حولـت القبلة في السنة الثانية للهجرة من بيت المقدس إلـى الكـعبة ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّـبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَـا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْـثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾[2] ، عندما تم نقل قبلة الصلاة في المدينة المنـورة جهة المسجد الحرام بـدل من المسجد الأقصى وضح القـرآن الكريم بأنه ليسـت القيمـة بالرمز الديني بحد ذاتـه، بل بالمعني المشحون بذلـك الرمز، فقال تعـالي: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِـينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِـمْ إِذَا عَاهَـدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِـينَ الْبَأْسِ أُولَـئِكَ الَّذِينَ صَدَقُـوا وَأُولَـئِـكَ هُمُ الْمُتَّقُـونَ ﴾[3] ويكرر القرآن الكريم ذلـك المعنى في الطقوس الدينية من صلاة وتضحية ونذر .

إن لتحويـل الكعبـة معـاني رمزيـة بأصباغ الديـن الإسلامي صبغتـه الدينية

(1) Martin Lings –op.cit-p121

(2) سورة البقرة : 144

(3) سورة البقرة: 177

المميــزة لــه، ويعلن ويركــز على لبتحدر الــذي يربط محمد صلــى الله عليه وسلم بإبراهيــم[1] وبالتــالي توجيه الصلاة ناحية الرمز العتيــق للتدين الإبراهيمي، أن تحريك الجسم نحو الرمز المقدســ، عملية لاخضاع الروح، وستكتسب الكعبة قبلة المسلمــين الجديدة معاني بخصوصيــة الإســلام، وبذلك كمــا يقول(مالك شبل Malek Chebel) "اصبحــت مكة والكعبة تعبير للمفتــاح الجغرافي الروحي للمركزية الحيه للإسلام والمسلمين"[2].

ســوف يتم إعادة تأسيس المقدسات والمجال والطقوس بصفتها الإسلامية، ففي حديــث رواه البخــاري ومسلم وغيرهما عــن أبي هريرة رضــي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجــد الرســول صلى الله عليه وسلــم، ومسجد الأقصى" ، ســوف تكتسب تلك المساجد معاني ورموز دينية إسلامية، كصفة مميزة عن باقي المساجد وقداسيتها، فقــال الحافظ ابن حجر في الفتح في شرح هــذا الحديث 3/65: (في هذا الحديث فضيلــة هذه المساجــد ومزيتها على غيرها لكونها مساجــد الأنبياء ولأن الأول قبلة النــاس وإليه حجهم، والثاني كان قبلة الأمم الســالفــة، والثالث أسس على التقوى. لقــد استبــدل الرسول عليه السلام بيــت المقدس بالتوجة للصــلاة ناحية المسجد الحــرام أي الكعبــة في مكة وذلك بعد ستــه عشرا أو سبعة عشــر شهرا من قدومه للمدينــة، ولان مكة مازالت تعبــد الأوثان والأصنام انزعج اليهــود وثارت اتهامات اليهــود والمنافقين للرســول صلى الله عليه وسلم بانه عاد لعبــادة الأوثان ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَــاء مِنَ النَّاسِ مَــا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُــواْ عَلَيْهَا ﴾[3] ، فنزل الله قوله عزوجــل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِــكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَــةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوِهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ

(1) - إلبرت حوراني - تاريخ الشعوب العربية - نوفل - لبنان 2002 - ط2 - ص28

(2) Malek Chebel-op.cit- p 64738

(3) سورة البقرة: 142

لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

سيكـون فتح مكة المرحلـة الحاسمة التي ستهيأ مجال المقدس ورموزه بطابعها الإسلامي، فأزيات المعاني والرموز الوثنية والأصنام وتم تطهير المجال، وابقى على طقوس الحج ومقدساته التي اصبغهـا بطابعها الإسلامي، ففي الحج تبرز علاقة الشعـيرة بالمكان والزمان المقدس (مكة/ شهر ذي الحجة الهجري)، ذلك الاطار التاريخـي والثقافي لممارسة شعائر الحج وقداسية المكان مكة المكرمة ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِـينِ﴾[2] ، فكان الحج وممارساته في مكة عبارة عن تجربة منذ الازمنة الموحلة بالقدم منذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل، كما نرى بأنه برغم اختلاف اجناس الحجاج المسلمين، الا انهم يندمجـون ثقافيا مع بعضهم البعض في منـاخ المـكان وقداسيته وبنياتـه ووظائفه وتاريخه، وتحدث علـى قدر المستطاع محـاكاة دينية/ تاريخية للحج الأول مما يرسخ مبادئ الاستمرارية والثبات ويؤكد عمـق التجربة الدينية، فكما يقول كريستـوف فولف» إن الشعائر تربط بين الماضي والحاضر والمستقبل،أنها تنتج الاتصال وتجعل التغير التاريخي والثقافي ممكنا»[3] .

كما سيظل الحجر الأسود أيضاً رمز مقدس تمتد رمزيته لتبرز التواصل الديني وقـدم التجربـة الدينية، وستزداد قيمتـه وشغف المسلمين لتقبيلـه أو لمسه محاكاة لفعل الرسول الكريم بكونه رمز مقدس، وليس بكونه عنصر مادي، كل ذلك الاقبال والشغف به سيجعل ابن جبير (1145 – 1217) بأن يصفه بقوله» بأن للحجر عند تقبيلـه لدونـة ورطوبة يتنعم بهـا الفم حتى يود اللاثم أن لا يقلـع فمه عنه ، وذلك خاصة من خواص العناية الإلهية، ثم يقول:» وكفى أن النبي صلى الله عليه وسلم... قـال : (الركن يمـين الله في الأرض)»[4] ، إن تلك الجاذبية المقدسـة ستجعل من

(1) سورة البقرة : 144

للمزيد انظر: الموسوعة القرآنية الميسرة-ص23

(2) سورة التين : 3

(3) كريستوف فولف – مرجع سابق – ص 305

(4) Malek Chebel-op.cit- p60

الحجر الأسود أسطورة العنصر الرمزي الفيزيائي المتعالي والمغناطيس المقدس.

ففي سنة 317هـ قام قرامطة البحرين بالاعتداء على البلد الأمين مكة المكرمة وقتلوا الحجيج وانتهكوا حرمة الكعبة المشرفة وانتزعوا الحجر الأسود ونقلوه إلى البحرين ويذكر الرحالة ناصر خسرو سبب ذلك إلى أنهم « زعموا بأن الحجر مغناطيس يجذب إليه الناس من أطراف العالم»، ولكن برغم ذلك يذكر فشل القرامطة بعد انتزعهم للحجر الأسود في مسعاهم وأهدافهم في تحويل الحج لديهم بالحسا فيقول: « لقد لبث الحجر الأسود في الاحساء سنين عديدة، ولم يذهب إليه أحد»[1]، إن هذا الاعتقاد بفعالية الحجر ورمزيتة إنما هو امتداد لأسطورة وتداول لأفكار مثل (حجر الفلاسفة **Philosopher's Stone**) بالنسبة للكميائيين وفاعليته وامتلك الحجر للسر الإلهي [2].

سيغدو المسجد الحرام مكان مقدس لدي المسلمين، ويتوسطه الكعبة التي يطاف حولها سبعت أشواط ويقبل الحجر الأسود أو يلمس إن أمكن تعظيما له ، وخارج المدينة ويوجد موضع الصفا والمروء التي سوف تكتسب معاني ورمزية إسلامية بعد إزاله الرموز الوثنية منها فقال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[3] ، وقيل بأنها نزلت لما كره المسلمون ذلك لأن أهل الجاهلية كانوا يطوفون بهما وعليهما صنمان يمسحونهما هما أساف ونائلة وكان أساف على الصفا ونائلة على المروة، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لأجل الصنمين فأذن اللّه فيه وأخبر أنه من شعائر اللّه .

كما سيتم أزالت الالتباس حول مقام إبراهيم لأنهم كانوا يتحرجون عن الصلاة

(1) مصدر: ناصر خسرو (القرن 11م) - ى سفر نامه- ترجمة د.يحيي الخشاب –الهيئة المصرية العامة للكتاب- 1993 - ص 161-160

(2) CARL G.JUNG- op.cit- P.210

(3) سورة البقرة : 158

فيــه، فالذي يصلي خلف المقام يكون الحجر بينه وبين الكعبة، لذلك كان المسلمون يتحرجــون أن يكون بينهم وبين الكعبــة شيء فيخلون من الصلاة ذلك المكان الذي فيه مقام إبراهيم، ولذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لرسول الله صلــى الله عليــه وسلم: ألا نتخذ من مقام إبراهيم مصلــى؟ فنزلت الآية الكريمة: ﴿ وَاتَّخِـذُواْ مِن مَّقَـامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّـى ﴾. وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد أمرنا أن نتخــذ من مقــام إبراهيم مصلــى.. فكأنه جل جلاله أقر وجــود مكان إبراهيم في مكانــه فاصلا بين المصلين خلفه وبين الكعبة، وذلــك استكمال لشعائر وطقوس التدين الإبراهيمــي، حيث سيعطينا الله تعالى حيثية هذا الادمــاج بقــوله تعـالي: ﴿فِيهِ آيَـاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾[1].

كمــا اكتسى جبل عرفات مزيد من الأهمية والرمزية الدينية بالنسبة للمسلمين كاحــدي اهم شعائر الحج (الحج عرفــه) وفيه وقف الرسول صلى الله عليه وسلم، ملقــي اخر خطبة له وهي خطبة الــوداع واعلانه عن ربه بتمــام رسالته واستكمال الدين الإسلامي وشرائعه وذلك في قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُـمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْــلاَمَ دِيناً ﴾[2]، سوف تغدو الرموز الدينية العتيقة المتمثله في شعائر (الحج والعمرة) منذ جاهلية العرب رموز دينية إسلامية، إلا أن الكعبة سوف تحتل مكانة مركزية في العالم الإسلامي وذلك ليس لانها تحتل رمزية مركزيــة كقطب العالم في المأثور الإسلامي فحسب، بــل الأكثر من ذلك لرمزيتها وتأثيرها في الشعور اللاوعى لدى المسلمين، كمجمع عالمي المسلمين قاطبة فهو بيت الله الحــرام، وأول حرم اقيم للناس والذي يفرض الهيبة والخوف والرجاء ليخرج المسلم من بعد طوافه بها وإتمام مناسك الحج بصدق، نقي من الذنوب كيوم ولدته أمــه، فيقــول الرحالة الإنجليزي داوتي **Doughty** يصــف قافلة رحلة الحج إلى مكة

(1) سورة آل عمران: 97

(2) سورة المائدة: 3

ومتاعبهـا بقولـه" لا حدود لمتاعب الحج، إن الديـن هو وعد بقدوم الأشياء الجيدة بالنسبة للفقراء والكثيرون منهم هم اشخاص نصف معوزين "[1]،

وبالتـالي الحج هـي عملية تطهـير لنفس المسلـم والانتقال مـن شخص مثقل بالخطايـا والدنس إلى حالة الطهر والنقاء. بالتاكيد كان الحج علاقة الإنسان بين المقدس والمدنس وطقوسـ التطهير، وبهذا أصبحت مكة ليس فقط مركز للعالم بل العالم بأسره بالنسبة للمسلمين[2].

(1) داوتي Doughty - رحلات داوتي في الجزيرة العربية-نرجمة عدنان حسن- مراجعة وتعليق/الشيخ ناصر عليوي-دار الوراق للنشر المحدودة 2009 - ط1 - ص 50

(2) Malek Chebel-op.cit - p64

الفصل الثالث

الرمز الإسلامي
بين التدين الشعبي والرسمي

عندمـا اتـي الرسول صلـى الله عليه وسلم كانـت بلاد العرب صحـراء مقفرة تتنازعهـا العصبية القبلية المتفرقة، وتتعالي بها نداءات التفاخر بالانساب وتنتشر بهـا عبادة الأصنـام الوثنية، ولكل خلال قرن من الزمان مـن دعوته أضحت بلاد العرب قوة متماسكة ، وأمة ذات كتاب ، فانتشر الإسلام وتقوى حتى وصل بعد قرن مـن وفاته إلى جبال البرنـه في الاندلس(اسبانيا) وحدود الصـين، وأنشئت دولة عظيمة حطمت مجد الفرس والروم، فكما يقول الأستاذ محمد عابد الجابري « إن الذين يتتبعون السيرة النبوية المحمدية من خلال ذلك(معاناة الدعوة) ومن خلال مسـار القـرآن وبالارتباط معه لابد أن يدركوا مهمـا كان دينهم أو ميولهم العقدية والإيديولوجية والسياسية، انه إذا كان التاريخ هو يصنع الرجال فان الرجل محمد بـن عبدالله نبي الإسلام هو وحده صنع التاريخ»[1]، لذلك لا نستغرب عندما يضع مايكل هارت **Michael H.Hart** كتابه (الخالدون المائة **The 100: A Ranking of the Most Influential**) محمـد صلى الله عليه وسلم علـى رأس القائمة المئة من صناع التاريخ والبشرية[2].

سـوف يخلـف وفاة الرسـول الكـريم 632م دون أن يعـين أحد يخلفـه في حكم المسلمـين فراغ دينيا وسياسيا، مما سوف يؤدي إلى بروز الصراع والشرار الكامن تحت الرماد، صراع العصبية والدين والسلطة، صراع من يخلف الرسول صلى الله

(1) محمد عابد الجابري – مرجع سابق ،-ص 378

(2) H.Hart Michael- The 100: A Ranking of the Most Influential- citadel press-kensington publishing corp-NY 1992- PP.3-10

عليه وسلم، وكيفية اختياره؟ وماهيه مواصفاته؟ ومتى يكون فاقد لأهلية الخلافة؟ فكانت أزمة الخلافة التي ظلت تشتعل تحت الرماد في عهد أبوبكر وعمر رضي الله عنهما دون أن تخمد في النفوس، فكان بدايات الفتنة بمقتل الخليفة الراشد الثالث عثمــان بن عفان رضي الله عنه سنة 656م، لتجرنا إلى صراع دموي كرس بدايات للاختلاف وتقاتل المسلمين بعضهم مع بعض بما يسمي في الكلاسيكيات الإسلامية بالفتنة الكبري.

فانتشــرت المذاهــب الإسلامية ابتداء مــن الفتنة الكبري لتبرز لنــا فرق دينية مرتبطــة بتلك الفــترة التاريخيــة المضطربــة في التاريــخ الإسلامي وهــي مرحلة مفصليــة، كرست علاقات الاختلاف والتجــاوز والاستقلال عن الدولة الإسلامية ورفض مؤسسات الدولة الدينية والاجتماعية والسياسية، والتقوقع والانكماش على الذات بعد جزر ومــد بينها وبين السلطة السياسية القائمة، لتكرس مبدأ الطائفية الدينية، مما جعــل العالم الإسلامي يمزق إلى مذاهب وعقائد متعددة تحت مظلة دين واحد، وكل يرى بأنه الصيغة والتعبير الحقيقى للإسلام، واوافق الرأي الأستاذ محمــد عمارة، بأن اللبنه الأولى والسبب الرئيســى والاهم لنشأة الفرق والاحزاب السياسيــة كانت الإمامة أو الخلافة لأنها كانــت نقطة صدام بين الدين والعصبية بعد وفاة الرسول عليه السلام[1].

سوف تبرز خلال العهود الإسلامية التي سوف تلى وفاة الرسول تحولات جذرية في جميــع المستويات من البساطة إلى التعقيد والفخامــة وبروز الدولة المؤسساتية، فنجد بأنه بدأ في عهد الخلفاء الامويين انفصال خليفة المؤمنين عن العالم الخارجي بــدء معاوية بن سفيان بوضع حاجب له وبنيت المدن المنفصله عن العالم الخارجي والتي أصبحت الصفة المميزة للسلطة عبر العالم الإسلامي.

---

(1) محمد عمارة –الخلافة ونشأة الاحزاب الإسلامية - ج 1 - المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت 1977- ص6

فبعـد اتســاع الامبراطورية الإسلاميــة وامتزاجها مــع الأمم والشعوب الاخري وثقافتهــا كالفلسغة اليونانيــة والمسيحية والغوسطية والقوميــة الفارسية وشيوعية المزدكيــه الاباحيــة، اضحي العــالم الإسلامي يضم ثقافات عــدة ، فبرزت الأفكار الفلسفية اليونانية والفارسية، وبــرزت روح القومية لدي الشعوب المفتوحة وخاصة في بــلاد فارســ، وادخل علــى الدين الممارســات والمعتقدات والأفــكار الوثنية التي حاربهــا الإسلام وتأليه البشر، والتي أصبح نشاطها عنيفا وخاصة مع بروز الدولة العباسيــة، فاخــذت المجادلات حول القــرآن الكــريم تتخذ طابعا عنيقــا وبصورة علانيــة، وجهر شاعر فارسي بأن شعره أعلى منزلة من القرآن نفسه، فكان جزاؤه قطع رأسه 784م[1].

ونتيجــة لتلــك الصراعات والفتــوح الإسلاميــة والاحتكاك بالثقافــات الاخرى الفارسيــة والرومانيــة ، وكانت احــدى محصلات ذلك بروز مجموعــة من الرموز الدينيــة للمسلمين ضمن إطــار التدين الشعبــي وهو التدين والمعتقــد والممارسات الآميــة للمجتمع المخالــف للتدين الرسمي الــذي أقرتها والآيــات القرآنية وأقرها الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يمكننا أن نصف تلك الحالة ونستشهد بمقوله الإمــام ابــي حامد الغزالي حينما قال: "بعد انقضاء عهــد الرسول صلى الله عليه وسلــم وانقطــاع الوحي وتواري النــور المصطفوي، اختلفــت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفــرد كل ذي رأي برأيــه وكــدر شرب اللوم شــوب الأهوية وتزعــزت أبنية المتقين واضطربــت عزائــم الزاهديــن وغلبت الجهــالات وكثف حجابها وكــثرت العادات وتملكت أربابها"[2] .

(1) قصة الحضارة-دل وايريل ديورانت-ج-2مجلد-13-4 مرجع سابق - ص - 202

(2) إحياء علوم الدين-ابو حامد الغزالي-بيروت –دار القلم الطبعة الأولى –الجزء 5 – ص67

1. المسجد : الوحدانية والفن الديني:

كان المسجد من أوائل الأعمال التي قام به الرسول صلى الله عليه وسلم عند وصوله المدينة المنورة كانت بناء المسجد، الذي اضحي ذو رمزية لوحدة المسلمين والإسلام ويلعب أدوار معقدة، في الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي كانت تدور حوله، ولقد اخذت المساجد أشكال عدة في البناء حسب طبيعة البلاد والتأثيرات الحضارية والثقافية لكل منطقة، إلا أن الرمز المشترك بينهم التقيد بتحريم الصور والتماثيل في المساجد التي تعتبر بيوت الله، وذات قداسية ورمزية عالية، فالعمارة الإسلامية العربية تأثر بالمؤثرات الثقافية للامم السابقة البزينطي الروماني والفارسي الساساني، أما في الصين فيكاد المسجد يحاكي تماما طراز الهيكل البوذي كرمز يعبر عن المعتقد الديني والهوية الثقافية.

لقد كان ظهور الإسلام ثورة في الانتقال من وعى التجسيد الوثني المادي والتعددية إلى رؤية أعمق وأشمل نحو الوحدانية والسمو فوق إدراك فوق طبيعي والانفصال عن الأرضي المادي ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[1]، وفي حديث روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال الله تعالى (أعددت لعبادي الصالحين مال عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر واقرءوا إن شئتم)[2]، كما انه مع الإسلام الغيت الوساطة الايقونية الوثنية والكهنوتية والتزلف إليها، بحيث صارع الإسلام فوضوية العبادة و التعددية واشراك غير الله بالعبادة، فكما يقول هوستن سميث **Huston Smith** " إن إبداع القرآن كان في ازالة الأصنام من المشهد الديني وتركيز فكرة الألوهية في إله واحد فرد غير مرئي لكل إنسان[3].

(1) سورة الأنعام: 103

(2) البخاري، ابي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري – مصدر سابق-ص 660

(3) سميث، هوستن سميث Huston Smith – مرجع سابق - ص 485

لذلك كان الخطاب الإسلامي التوحيدي موجها بالأساس في البداية نحو الإيمان بالله الواحد الصمد[1]، وتأكيد وحدانية الله وتعاليه والبعد عن الشرك، فكان القرآن الكريم الذي نزل على فصحى العرب بآياته البلاغية وأخباره وقصصه وملائكته والحياة الاخري بمجملها بديلا للصور والأصنام والانصاب وغيرها ذلك بانه اختزال معانيه وآياته في صور ذهنية ورموز غير مادية مرئية، مع تشديد والتنبية على عدم القدرة الكاملة على الإدراك والتصوير ضمن الاسقاطات والتمثيلات البشرية، فيقول عبد الكبير الخطيبي كتابه **la Maghreb pluriel** "الإسلام ميتافيزيقا الكلم،إنه تفادى التجسيم والتصوير وينفتح على العلامة كبصمة وأثر لله"[2]، ولكن مع ذلك برز مع الإسلام الابداع الجمالي في العمارة والفن والخط الإسلامي،مما جعل الأستاذ فيليب حتى يقول" إن الفن العربي الإسلامي تجلى أحسن ما يكون في العمارة الدينية"[3].

تميز الفن الإسلامي المعماري بالخصوصية والاتجاة نحو الاقتصار على الأشكال المجردة الهندسية والنباتية والذي ساهم في تأسيسه الرؤيا الكلية للدين الإسلامي والمسلمين حول الإنسان والكون والحياة، وبالخط العربي اكتسب المعمار الإسلامي طابعه المميز، فمع الدين الإسلامي نشأت أمة لها شخصيتها المميزة ومدركة لذاتها بشكل أكبر،حيث أدي تحريم الصور البشرية والحيوانية وخاصة في داخل المساجد جعل المسلمين يبتكرون الأشكال الهندسية في التزيين ابتداء من القرآن الكريم وصولا إلى الأماكن المقدسة، فنجد بأن المساجد الإسلامية تخلو من الصور والخاصة لحيوان أو إنسان لتفاق معظم علماء المسلمين حول حرمة ذلك، ولكن النبات والاشكال الهندسية فقد ادخلت في الفن الإسلامي في بناء المسجد، اما في المنازل والقصور وبعض الكتب فوجدت الصور، فكان الفن الإسلامي الديني

---

(1) ،﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،اللَّهُ الصَّمَد،لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ،وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص (مكية)

(2) عمار بلحسن- مرجع سابق- ص 566

(3) فيليب حتي- مرجع سابق –ص321

في البناء بما يتناسب مع المسلمين وحاجتهم الدينية.

حرم الإسلام التمثيل التصويري البشري والحيواني واقامة التماثيل؛ لأنه رآها مـن قبيل عبـادة الأوثان، حيث صدرت جملة من الاحاديـث تحرم الصور ومنها" أن أشـد النـاس عذابا عنـد الله يوم القيامة المصورون" وحديـث اخر : ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم" ، وفي حديث نبـوي أخـر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صـورة " ، وفي حديث آخر: " الذيـن يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهـم :أحيـوا ما خلقتـم"[1] ، وبما أن العرب كانـوا من البـدو ذو العصبية القبلية ومن بيئة فقـيرة صحراوية تكاد تخلو من الفنون التصويرية وتنظيمات الحضارية والإداريـة، لذلـك عندما تم الفتح الإسلامـي لجأوا إلى الأشـكال والتعابير الفنية البيزنطيـة والساسانيـة الفارسية بما يلائـم طبيعتهم ودينهم، ومـن ذلك نقوش قبـة الصخرة في بيـت المقدس وعمارة مسجد الوليد الثـاني في دمشق والتي كانت بيزنطية خالصة[2] .

وبرغم ذلـك كله قام الفن الإسلامي على احترام المبـادئ الإسلامية في البناء والابتعـاد عن التصويـر وبشدة وخاصــة في المساجد والاكتفـاء الأقواس والأعمدة المزركشة بالنقوش الهندسية والنباتية والتي اتخذت طبيعة خاصة مميزة مع مرور الوقت بما يعـرف (بالفن المعماري أو الزخرفة الإسلاميـة العربية أو الاربيسك)، كمـا اتخـاذ أشـكال الكنائس الارمنيـة في بناء المساجـد، واستخدام مـواد البناء كالقرميـد والذي كان متبعا في بلاد اشور وبابل القديمـة[3] ، فكان تحريم تصوير

(1) مسلم ، أبي الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري – مصدر سابق- ص 816 وحول تحريم التماثيل، حديث رواه مسلم وغيره عن أبي الهياج الأسدي قال :قال لي علي بن أبي طالب :ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبرا مشرفا إلا سويته".

(2) دل ديورانت - قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثاني- المجلد الرابع 13 - مرجع سابق- ص 239

(3) قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثاني- المجلد الرابع 13 - مرجع سابق- ص 239

الادمـي والحيواني دافعا لبروز وتميز الفن الزخرفـة (الاربيسك)، فكما يقول دل ديورانـت" فكأن الفنانين المسلمـين ارادوا ان يعوضوا هذا التحريم فاخترعوا هذا الفيضـ الغامر من الأشكال غير البشريـة أو الحيوانية"[1]، ولكن برغم ذلك ظل التصوير والرسم ونحت التماثيل بارز في الحضارة الإسلامية في القصور والحدائق والأواني وغيرها.

فنجـد العديـد من قصـور وحدائق وجـدران أمـراء وخلفاء المسلمـين تزينت بالصـور والتماثيل كنوع من الهيبة والفخامـة والعظمة والمجد في البناء والتصميم وتنافس الحـكام وسلالتهم على تثبيت انجازاتهم واثارهـم وما جري عليه الناس في ذلـك الوقت، بالإضافة إلى تأثيرات الثقافية للبلاد المفتوحة، حيث وجدت صور علـى جدران قصير عمرة، كما أقام المنصور فوق قبـة قصره ببغداد تمثال فارس بيده رمح وأنشأ الأمين حراقات على نهر دجلة في أشكال الأسود والنسور والحيتان، وكذلـك فعـل المقتدر في قصره مـن تماثيل فرسـان وطيور[2]، ولكـن بقي تصوير الأنبيـاء والصالحين وآل البيت والسيدة العذراء عليها السلام مكروة بشدة ويصل لمرتبة التحريم لدي أهل السنة والجماعة[3].

لذلـك رأى الإسلام في ايجاد صيغة مقبولة من خلال الأشكال الطبيعية والدين الإسلامي فبرز الفن الإسلامـي بزخارفة وفنه المعماري، والذي ابتداء في الأماكن المقدسة والقـرآن، فكما يقول الأستاذ عبدالوهاب المؤدب في هذا الصدد" ما يميز جذريـا الرسم الاوروبي عـن الرسم الإسلامي اضافة إلى اختـلاف الأداة، هو أن هذا الاخير لم ير الخيال الديني والشخصيات التي يضعها في مشهده... لا تتشكل

(1) نفسه- ص -244

(2) شوقي أبو خليل- الحضارة العربية الإسلامية – دار الفكر –بيروت/دمشق -1996-ص 580-579

(3) افرزت الفتنة الكبري العديد من المذاهب الدينية الإسلامية وعلى رأسهم الشيعة التي رات في معركة كربلاء ومعاناة آل البيت في الميتاتاريخ الإسلامية جعلها تقدر وتجل آل البيت وتبرز مذهب ورؤيا إسلامية خاصة بهم حول الدين والحياة ومنها تصوير ورسم آل البيت ومدى جوازه.

الميثولوجيا الإسلامية كأجسام ووجوه إلا في الصورة الذهنية، كامتداد للحرف والصوت . ففي هذا النقص يبرهن على الإله الغائب واللامرئي الذي يحكم الميتافيزيقا في الإسلام"[1]، الا أن السويسري (كارل جيرستينر Karl Gerstner) يصف الفن الإسلامي كلوحة إسلامية من الفسيفساء، وبأنه شعر بميل إسلامي طبيعي نحو تجريد الأفكار بعيدا عن الفن الغير طبيعي، وذكر بأنه ما نعتبره في ذلك الفن واقعي هو ليس كذلك ولكنه ظل للواقع[2].

وجدت الصور والتماثيل في العهود الإسلامية برغم تضارب الآراء حول شرعيتها ولكن في المسجد كان التحريم القاطع لتواجد مثل تلك الآشياء في المساجد ليكون الفن التشكيلي والشارات النباتية والآيات القرآنية بارزه في ملامحة كرموز تعبر عن الإسلام وشخصية كوجه مختلف تماما عن الكنائس والمعابد الوثنية حيث نجد المسجد والمحراب، كما يقول روجيه غارودي: «.شكلا جماليا ومعماريا رمزيا وعظيما، ... فضاء تنسج فيه كل فنون الإنسان، حيث تهيمن العلامة ويعظم الخط كسيميائيات تقود إلى الأحد المتعالي والمقدس"[3].

برزت الآيات القرآنية وبخطوط واشكال عدة لتزيين المسجد كرموز معمارية إسلامية وأشهرها الخط الكوفي، فكما يقول دل ديورانت " ويكاد فن العمارة الإسلامية كمعظم فنون العمارة في عصر الايمان ان يكون كله فنا دينيا خالصا"[4]، وأهم مايميز عمارة المسجد المئذنة وعلوها كرموز دينية تطل من بعيد لترشد الناس عليها ويعلو اسم الله عاليا ليؤذن المؤذن بالناس(الله اكبر)، ويعلن الرسالة المحمدية للملأ واستمرارية، إن الأذان من المئذنة عبر الأجيال جعلها تتخذ رمزية إسلامية مرتبطة بقوة بالمشهد الإسلامي كأحد الرموز الإسلامية، والراجح ويوضح

---

(1) عمار بلحسن- مرجع سابق- ص 568

(2) Tanja Al Hariri Wendel-op.cit- p.95

(3) عمار بلحسن – مرجع سابق- ص 568

(4) قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثاني- المجلد الرابع -13 مرجع سابق- ص 240-

دل ديورانـت بان المسلمين في بلاد الشام قد أخذوا فكرة المئذئة من الزاجورات – الصرح – البابلي وبرج الجرس في الكنائس المسيحية، واخذ الهنود المسلمون الشكل الاسطـواني من بلاد الهند ،وتأثر مسلمو افريقية في تخطيطها بمنارة الاسكندرية ذات الاركان الاربعة (مكعبة)»[1]،

ففــي عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم لم تكن هنالك مآذن، بقدر ما كان بحاجــة إلى مكان عالٍ يرفع فيه المؤذن صوته للإعــلام بالصلاة. بل كان بلال بن ربــاح يصعد لسطح المسجد ويؤذن، ولكــن مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، نشأت الحاجــة إلى المئذنة، واستخدام المئذنة في الأمــور الدينية ويجمع مؤرخوا المسلمين على أن المساجد التي بنيت في الجزيرة العربية وسواها من الأمصار التي دخلت في دين الله كانت بلا مآذن، ويقال بأن أول من بني مئذنة في الإسلام هو معاوية بن أبي سفيــان[2]، بينما يرحج الأستاذ مالك شبا بناء المئذنه (المنارة) للمسجد في عهد الخلفــاء الراشدين، وربما تحت تأثير الحضــارات والعمارة الرومانية وحصونها، بحيث استخدمت المآذن لغرض إعلان الناس لصلاة بعد أن كان الاذان من قبل يتم من اعالي السطوح والتلال والجبال، ولكن مع ذلك حدد المئذنه ضوابط شرعية في البنــاء من حيث الارتفاع وحرية وحرمة الاخريــن، وبذلك وبأضافة المئذنة اكتسب المسجــد مزيد من الرمزيــة الدينية التي تعبر عن العلاقــة الروحية العمودية التي تربط المسجد بالسماء وعالم الاكوان. [3]

ويذكر جوناثان بلوم **Jonathan M. Bloom** بانه لم يكن للمساجد الأولى التي شُيدت في القــرن السابــع الميلادي مــآذن، وهنـاك اعتقــاد يقول بأنــه تم (اختراعها) في نهايات القرن الثامن أو بدايات القرن التاسع الميلادي، كما توجد نظريات متنوعة حول أصل المئذنة، فثمة من يقول بأنها تقليدٌ لأبراج الكنائس، بينما يرى آخرون في

(1) قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثاني- المجلد الرابع 13 - مرجع سابق - ص 243

(2) للمزيد انظر: ثروت عكاشة، مرجع سابق - ص 120

(3) -Malek Chebel-op.cit- p670

أبــراج الحراسة أو المنارات أو أبراج الإضاءة أو أبــراج النصر أمثلةً تم احتذاؤها. وبــان المئذن لم يكن هدفها في البداية الدعوة للصــلاة، وبأنها كانت رمزًا لحضور المسجد وبالتــالي رمزًا للإسلام. ولم تصبح المآذن مكانًا يدعى للصلاة منه إلا في زمنٍ لاحق[1].

لقــد ارتبط المسجـد بالمنارة كرمــز ونمط معمــاري لا ينفصل عــن المسجد في كل جــزء مــن العــالم الإسلامي، بحيث كمــا يقول عبد القــادر طيــوب Abdulkader Tayob "اصبحــت المنــارة وصعودها للسمــاء كانها تشير إلى شئ خــارج عن العالم المادي"[2]، المئذنة (منارة) وتطورها وازدهارها عبر العصور الإسلامية، تجسيد ورمزيــة لعلو كلمــة الله بالاضافة إلى ما يقوله بلوم Bloom كاشارات ودلالات رمزية لعظمة وقوة الحاكم[3]، ولقد اتخذت بعض المنارات أشكال عدة تحدد نمط وهوية البــلاد الثقافي في إطــار الهوية الإسلاميــة وثقافة البلد، كمــا الحاصل في الصين وبلاد المغرب الإسلامي على سبيل المثال، اما المئذنة الحلزونية في سامراء، فيذكر الباحث المتخص بالإسلاميــات(ج .ب .روكس) بأن المئذن الإسلامية ذات الابراج الحلزونيــة مع درابزين لولبي بان تلك العمارات ذات تأثيرات صوفية التي انتشرت في ذلــك الوقت حيــث تجذب وتحمل الزوبعــة المؤمن نحو الله[4]، وكمــا اسلفنا أن خاصيــة الــدوران والزوبعة خاصية صوفيــة تكتسب رمزيتهــا واطروحاتها من المد الصــوفي الذي يعطى علاقــة أهمية للتواصــل مع الله عن طريق التجــرد والعبادة والزهــد والابتعاد عن مغريات الدنيا، والتي سوف تقــوده إلى الارتفاع والذوبان في

(1) جوناثان بلوم أستاذ جامعي في كلية بوسطن. أستاذ كرسي لمادة الفنون الإسلامية والآسيوية- مقابلة مع جوناثان بلوم Jonathan M. Bloom اجراها إرن غيوفرتشين Interview: Eren Güvercin. بعنوان An Ancient Game of Architectural 'tit for tat' - المصدر موقع قنطرة: 2010 Qantara.de http://www.qantara.de

(2) Abdulkader Tayob- op.cit-p11

(3) Ibid-p13

(4) سيرنج، فيليب – مرجع سابق- ص 496

الذات الإلهية، استندادا إلى الحديث القدسي الشهير الذي رواة البخاري[1].

كما اكتسبت بعض المنـارة رمزية خاصة ومنها المنارة الشرقية للمسجد الأموي والتـي تسمي منارة عيسي عليه السلام، وذلك استنـادا إلى حديث الرسول (صلى الله عليـه وسلـم) في حديثه عن خـروج الدجال ورواه العديد مـن روات الاحاديث ومنهم الإمام مسلم وابن ماجه وغيره حيث يبين الرسول الكريم في مجمل قوله عن الدجـال وقيامـه في الفساد في الأرض وسـروره « ... فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل في المنارة البيضاء شرقي دمشق»[2].

إذا أتينا إلى مكونات المسجد الداخلية فنجد المنبر والمحراب كأحد أقوى مكونات المسجد رمزية، حيث أن المنبر ارتبط تاريخياً بالسلطة والقيادة التي لاتنفصم عن الديـن، وذلك عن طريق ارتباطها برمزية الرسول صلى الله عليه وسلم، وقداسية يـوم الجمعة، من خلال تموقـع المنبر الرمزي بجانب المحـراب في المسجد أي بين العبادة والوعظ (الدين - والسلطة) والتي استمرت كذلك بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث الأهمية والاهتمام[3]، لقد ارتبط المحراب كرمز معماري دينـي للقبلة في المسجـد، وبذلك يمكن أن نطلق عليه اصطلاحـا علامة القبلة في جدار المسجد وعادة ما يكون المحراب في وسط جدار المسجد.

ففـي السنة الثانية للهجـرة أمر الرسول صلى الله عليه وسلـم بنقل القبلة نحو المسجـد الحرام وكانت جهة الجدار الجنوبي، بعـد أن كانت نحو المسجد الأقصى

(1) عن أَبِي هُرَيْرَةَ قال (قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ إِنَّ اللهَ قَالَ مَنْ عَادَى لي وَليًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدي بشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه وَمَا يَزَالُ عَبْدي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافل حَتَّى أُحبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصرُ به وَيَدَهُ الَّتي يَبْطشُ بهَا وَرجْلَهُ الَّتي يَمْشي بهَا وَإِنْ سَأَلَني لَأُعْطيَنَّهُ وَلَئنْ اسْتَعَاذَني لَأُعيذَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعلُهُ تَرَدُّدي عَنْ نَفْس الْمُؤْمن يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ).

(2) مسلم، أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري 261هـ - مصدر سابق- ص 1096-1097

(3) Abdulkader Tayob- op.cit-pp113-114

والـذي كان على جهة الجـدار الشمالي، وذلك امتثالا لامـر الله تعالى ورغبه نبيه الكـريم فيقول عزوجل﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّـبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّـكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَـوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِـدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُـواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[1]، ولم يكن المحـراب مجوفـا بل كان مسطحا، ولكـن في عهد الوليد بـن عبدالملك جدد عمارة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم سنه 88هـ وفيها أدخلت عمارة المحراب المجوف، وكان ذلـك إيذانـا بانتشـاره في المساجد والذي أحيـط حوله المؤثـرات الإسلامية المعماريـة وتزينـة بالرخام والمرمـر والأعمدة والآيـات القرآنيـة[2]، وتذكر بعض الدراسـات بأن بدايـات الأولى لتواجد المحـراب كان في مسجد عثمـان بن عفان، وبرغم ذلك فإن شكل المحراب تم ظهوره تدريجيا في العصور الأولى الإسلامية[3].

جـاء ذكر المحراب في القـرآن الكريم في سورة آل عمران ﴿كلَّمَـا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّـا الْمِحْـرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَـكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَـرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَـيْرِ حِسَابٍ﴾[4] ، كأحد أقدم الرمـوز المعمارية الدينية، والمحـراب خلـوة وعـالم وصومعـة المتعبد حيث تـبرز الحضور الايمـاني ، لذلك فالمحـراب في الإسلام تكمـن رمزيته العليا بأنه يتجه ناحيـة القبلة إلى مكة كاحد الرمـوز الدينيـة التي تمثل البعـث الحقيقي، فنشأت المحـراب مرتبطة في محاولة علمـاء الديـن والمعماريين وغيرهم من تحديد الخطي الدقيـق للقبلة بعد خلافات عـدة بـين المسلمين حول تحديـد القبلة والاتجاة الصحيحة لهـا[5]، كما حدث في جامع الزيتونة بتونس والقرويين في فاس وغيرها .

(1) سورة البقرة : 144

(2) عيسى الحسن - موسوعة الحضارات-ص 630-629

(3) Malek Chebel-op.cit- p72

(4) سورة آل عمران : 37

(5) Malek Chebel-op.cit- p72

استحـدث الأمويين المحراب الذي أصبح ظاهرة عامة في كل المساجد حتى بولغ في تزينـه، ولكن من الضروة العلم بأن المحراب الإسلامي بمعانية ووظائفه يختلف عن المحراب في الديانة المسيحية أو المذبح المسيحي الذي يعتبر من اقدس الأماكن في الديانة المسيحيـة في المعبد وتمارس به العقيدة الدينية الصارمة[1]، استنادا للقـرآن الكريم وقصة مريم عليها السلام، كل ذلك جعل المسلمين يبالغوا في تزيين المحـراب، فنجد بـأن المرينيون (القرن الثالث عشر الميـلادي) في المغرب الأقصى والاوسـط قاموا بتشيـد الكثير من المساجد، حيث تميزت بالدقة وكثرة التوريقات والمقرنصات خصوصا حول المحراب مثل جامع العباد بالقرب من تلمسان[2].

لقـد شكل المحـراب والمنبر في المسجد قـوة رمزية للسلطـة الدينية ، وذلك عن طريق للمعاني الرمزية وتموقعهما بين سلطة الوعظ الدينية نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المحراب الذي يعتبر قبلة وصومعة المتعبد، ويذكر فيليب سيرنج بأن القوس الموضع على المحراب ويتزيين بالمؤثرات الإسلامية في المساجد والجوامع انمـا لا يدل فقط على اتجاة مكة، وإنما يرمز للقبـة السماوية المستندة على أعمدة الأرضية كصورة لكون والإلهام الإلهي وعلامة على حضور الله في مصلاه»[3].

كمـا أدخـل عبد الملك بن مـروان القبة في بنـاء المسجد يقصد منهـا قبة تفوق كنسيـة القيامة روعة وجمالا واصبحت رمز دينـي للمسلمين ليس لقدمها فقط بل لمعانيهـا أيضاً[4]، وتكتسب القبة رمزية قديمة كرمز مرتبط بالسماء والفلك وتأثر الإنسـان بحركة الاجـرام السماوية وبخاصة الشمس والقمـر وتتابع الليل والنهار، فالسومريـين اعتقدوا بأن الأرض هضبة تعلوها القبـة السماوية، وصورت الشمس والقمـر في الحضـارات القديمة وهما يعبران السماء فـوق عربات تدخل من بوابة

(1) Ibid - p72

(2) إبراهيم حركات- المغرب عبر التاريخ -الجزء الثاني- دار الرشاد الحديثة-الدار البيضاء-2000-ص 136

(3) فيليب - سيرنج – مرجع سابق- ص 418

(4) فيليب حتي- مرجع سابق- ص329

مشــرق الشمســ وتخرج من مغربهــا[1]، فالقباب فن معمــاري مارسته وتواجد في الحضارات القديمة.

أمــا القبة في الحضارة الرومانيــة فاكتست بالمؤثرات المسيحيــة، وانتقل أثرها في فــن العمارة الإسلامية فامتزج تلك التأثــيرات لتخلق لنا فن العمارة الإسلامية فالقبــة ترمز للجمال الإلهــي[2]، وتعبر القباب اجمالا بالكــون وأول نموذج واضح للقباب تواجد في قبة الصخرة الذي ابتناه عبدالملك بن مروان خلال الفترة 688م – 692م فوق صخرة المعراج وهي الصخرة التي قيل بأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عراج منهــا إلى السماء العليا (حادثة الإسراء والمعراج)، تلك الحادثة التي افرزت رموز دينية إسلامية واكسبت رموز دينية قديمة معاني إسلامية خاصه بــه، كحائط البراق والتــي تسمية اليهود المبكي والمسجــد الأقصى وصخرة مسجد قبــة الصخرة، ففي اخر خلافة عبدالملك أو طــول خلافة ابنة الوليد (86 – 96هـ) رأت الحضــارة الإسلامية بضــرورة استقلاليتها عن الحضارات السابقة في عملية تعريب الدواوين والعملة بل وأكثر من ذلك ،أخذت الحضارة الإسلامية في التكون عبر بــروز الفن المعماري الإسلامي الكبير في مواقع رموزه وامجاده في القدس كما في المدينة[3].

لقد كانــت حادثة الإسراء والمعــراج ذات دلالات رمزية فقال تعــالى: ﴿سُبْحَانَ الّــذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَــهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السّمِيــعُ البَصِيرُ﴾[4]، حيث كان بالإمكان أن يعلن الرسول صلــى الله عليه وسلــم بأنه عرج من مكة إلى السماء العليــا دون المسجد الأقصى، ولكن عملية الإسراء إلى المسجد الأقصى (بيت المقدس – أورشليم) موطن الأنبياء

(1) عيسى الحسن – مرجع سابق- ص 532-531

(2) نفسه - ص 283

(3) هشام جعيط – مرجع سابق-ص 34

(4) سورة الإسراء : 1

تأخذ أبعاد ودلالات على كون الدعوة الإسلامية المحمدية امتداد للديانات السماوية اليهودية والمسيحية.

وبغض النظر عن أهمية الضخرة ومعناه الرمزي للمسلمين ، فإن قيام عبد الملك بن مروان بهذا العمل كان لدوافع سياسية في المقام الأول، في أثناء الخضم والتجاذب السياسي والتصارع بين عبد الملك بن مروان وخصمه عبد الله بن الزبير الذي يسيطر على مكة ، حيث كان يجمع الاتباع والمؤيديين في موسم الحج ، فحاول عبد الملك بن مروان أن يعيد الذاكرة والرمزية لذكرى الاسراء والمعراج بإنشاء مسجد قبة الصخرة وحائط البراق التي يسميه اليهود المبكي في مواجهة الزبير.

إن المسجد كرمز ديني لعب دورا مهما في تشكيل الوعي الديني للمجتمعات الإسلامية، حيث يوضح الأستاذ (عبد الباسط عبد المعطي) بأن المسجد بتصميمه وتنظيمه وموقع المنبر والمحراب ورؤية المصلين بعضهم ببعض ومنهجية الصلاة كل ذلك جعل المسجد اطار للتفاعل الإنساني[1] ، بل والأكثر من ذلك أن المسجد أصبح عصب للحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، لتناقل الاخبار والاجتماع والاعلان، وحوليه يبرز السوق وطالبات المحتاجين، والتضامن الاجتماعي والحركية، وسمح ذات مرة لاحد سفراء اليونان أن يدخل المسجد فلما شاهده التفت إلى رفاقه وقال لهم:» لقد قلت لاعضاء مجلس الشيوخ في بلادى ان سلطان العرب سيزول عما قريب ،أما الان وانا ارى كيف يشيدون عمائرهم فقد علمت علم اليقين أن سلطانهم سيدوم أحقابا طوالا«[2].

وإذا كنا نتكلم عن المسجد وارتباطه بالصلاة، فعلينا أن نتطرق إلى موضوع سجادة الصلاة كأحدى الأشكال الرمزية المرتبطة بالمسلمين، فنجد بأن طهارة

---

(1) عبدالباسط عبدالمعطي –» الوعي الديني والحياة اليومية: دراسة ميدانية على عينه من شرائح طبقية في قرى مصرية«- الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث- مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت-ط 2 - 2000 - ص390

(2) قصة الحضارة-دل وايريل ديورانت -ج 2 - مجلد 4 - 13 - مرجع سابق - ص 159

الأرض للصــلاة في الإسلام، سوف تكسبت سجادة الصلاة معاني رمزية مرتبطة بشــكل خاص بالصلاة وأماكن العبادة والتي تشــترط طهارة الكاملة لاداء فريضة الصــلاة ، ومع سجادة الصــلاة وبروزها في المجتمعات الإسلامية، نري تأثير تلك الصورة وانعكاسها بصورة العابد المنعزل بعبادته في الخلاء عند العديد من صناع السينمــا[1]، فالصلوات الخمس التي فرضهــا الله عزوجل على المسلمين وضرورة طهــارة البــدن والملبس والمكان لجــواز الصلاة، جعلت من سجــادة الصلاة احدي مستلزمــات وضروريــات المسلم في أوقات صلاة السفــر والأماكن الخلوة والصلاة المنفردة . فالقاعدة طهارة كاملة لانه لقاء وصلة بين العبد وربه.

لقد كانت بدايــات بناء المساجد تتسم بالبساطة وتكاد تكون خالية من النواحي الزخرفيــة الجمالية، وجــاء التطور في الدقة والارتفاع، ومــع مرور الوقت وربما في القــرون الاخيرة، كان بدايات اضافة النجمة والهــلال باعتبارها كرموز للإسلام ابتــداء من عهد الدولة العثمانية والتي اتخذت منهــا رموز لدولتها، فقام المسلمون بوضع الهلال ونجمة على مآذن مساجدهم لتفرق عن كنائس النصاري وصلبانهم في أعــالي الكنائس، كرمز ديني خاص بهم، وخاصة مع ازدياد العلاقات مع الدول الأوروبية ورعاياها.

2 - رمزية اللباس والألوان والأشكال الدينية:

حــاول المسلمــين الابتعــاد عن التصويــر الإنســاني والحيواني في الفــن الديني والأبتعاد عن تصوير المقدس الإلهي بكل أبعادها وإبراز وحدانية الله الازلية، لذلك جعل المسلمين يبدعون في خلق صور وأشكال خارج نطاق المحرم فاتقنوا وتفننوا في إبراز مهارتهم والجانب الديني لعقيدتهم وهويتهم ، وتحدد الأستاذة آمال عربيد (خمســ رموز أساسية استخدمت في الفن الإسلامــي بشكل مكثف ومنها المصباح

(1) Abdulkader Tayob – op.cit-p60

الــذي يعتبر من أهم الرمــوز الفنية الإسلامية، الذي يرمــز إلى النور الساطع من قلــوب المؤمنــين وكان ظهوره في بداية القــرآن السادس الهجــري مرسوم في بعض محاريــب المساجـد في مصر والعراق وإيــران وذلك استندنا إلى الآيــة القــرآنــية ﴿اللّه نُــورُ السَّمَــاوَات وَالأرض مَثَلُ نُوره كَمشْكَاة فيهَا مصْبَــاحٌ الْمصْبَاحُ في زُجَاجَة الزُّجَاجَــةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرّيٌّ﴾[1]، ومازالــت المصابيح أو القناديل تستخدم لرمزية دخــول الشهر الفضيل شهر الصوم ليعم النور والسكينة على المؤمنيين حيث تنتشر تلك الرمزية بخاصة في مصر والتي ترتبط بالمسحراتي .

أما الرمز الإسلامي الثاني فكانت النجمة والذي تقوله آمال عربيد: إن المسلمين استوحــه مــن النجــم أو الكوكب الدري وهو عبــارة عن نجمة مشعــة وحوليها عدة نجــوم صغيرة والنجمة ترمز إلى الإله الواحد الذي ينشر نوره في الجهات الأربعة للكون، ومع مرور الوقت برز الهلال كرمز إسلامي في الفن الإسلامي حيث رافقت النجمة الهلال كرمزية إسلامية، كما أن النباتات نالت نصيب وافر من الزخرفات الإسلامية بوريقاته متداخله مع الآيات القرآنية وتمجد الخالق الأوحد ، أما الرمز الخامس شجرة السرو وأوراقها والتي ميزت الفن العثماني والإيراني[2].

يكتســب الهلال والنجمة رمزية إسلامية ، برغم أنه لا أساس شرعي أو دليل في الميتاتاريــخ الدعوة المحمديــة ما يدل على إخضاع الهــلال والنجمة كرمز إسلامي خاص بالمسلمين، حيث يعتبر الهلال والنجمة من الرموز المختلف عليها، فلقد وجد رمــز الهلال في الحضارات القديمــة سواء الفارسية أو حضارة بــلاد الرافدين أو الآراميــة، فالهلال رمز قمري ويمتلك الاستدارة ذاتها التــي يمتلكها الشمس ومن الأرجــح أن استخــدام شــكل الهلال كصفة مميــزة للقمر لتفريقها عــن استدارة الشمــس، فالهــلال رمز قمــري، فعندما يرسم الهــلال فالمقصود بــه (الإله) في

---

(1) سورة النور : 35

(2) أمال عربيد - «الرموز الخمسة في الزخرفة الإسلامية»- مجلة الكويت 318 — بتاريخ 24/ابريل/2010 - ص68-66

الحضارات القديمة، وفي حضارة بلاد الرافدين اكتسب شكل الهلال رمزية وشعار للالهة وخاصة الإله عشتار به الحرب والحب والخصب، كما وجد شكل الهلال في الفن الروماني الاغريقي الهيليني حيث يدل وجود هلال في شعر أو خلف رأس امرأة في نحت أو رسم يدل على الإلة الأغريقي والروماني للقمر (ارتميس - ديانا **Artemis - diana**)[1].

كما تقول إحدى الأساطير تقول إن الهلال أنقذ المدينة من الغزو المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد، فاتخذه الأباطرة شعارا [2]، ومن خلال الدراسات الابيغرافية **Epigraphia** [3]، تتواجد في عملات الساسانية أشكال واضحة للهلال والنجمة.

برز الهلال ونجمة مع بروز الدولة العثمانية في القرن 14 فانتشر بين الشعوب رمز مميز للإسلام وشعار لكثير من الدول الإسلامية حاليا، وخاصة أن المسلمين يتخذون من التقويم الهجري الذي يعتمد على الأشهر القمرية[4]، وربما كان التساهل والقبول بأتخذ شكل الهلال استناد على قول الله عز وجل: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾[5]، حيث نقل ابن كثير رحمه الله في معنى قوله، فقال هي مواقيت للناس: "يعلمون بها حل دينهم وعدة نسائهم ووقت حجهم.. جعلها الله مواقيت لصوم المسلمين وإفطارهم وعِدَّة نسائهم ومحل دَيْنهم"[6]. ونزل آية يسألونك في معاذ بن جبل وثعليه بن غنم الأنصاريين اللذين

---

(1) فيليب سيرنج - مرجع سابق- ص 384

(2) إبراهيم غرايبة- مقال بعنوان: «الهلال والنجوم: رموز قديمة.. ومعان أكبر من الجدل»- جريدة العرب القطرية- بتاريخ 2008-9-1

(3) الايبويغرافيا EPIGRAPHIA : علم دراسة الآثار من خلال المباني والعملة والتماثيل والاواني والادوات التي خلفها الأولين

(4) Miranda Bruce-op.cit-p180

(5) سورة البقرة: 189

(6) تفسير ابن كثير- مصدر سابق

سألا عن تقلبات الهلال صغرا وكبرا [1].

لقد ذكر الهلال والقمر كثير في القرآن لمعرفة الأيام ومواقيت الصلاة والصوم الارشـاد،، ومع وصـول الدولة العثمانية وربمـا تحت التأثـيرات الثقافات القديمة الفارسيـة والرافدايـة وغيرها ونزوحهم مـن آسيا الصغـري واعتناقهم الإسلام وبروزهـم كقـوة عظمي، كان سبيل لذلـك لامتزاج المعني الرمـزي للقمر والنجمة لدى العثمانيـين، فانتشرت المساجد والمآذن في العاصمة العثمانية الجديدة كرموز واضحـة للإسلام عوضـ اجراس الكنائس، وخاصة مع انتشـار الكنائس ومحاولة المسلمـين التفريق بينهمـا، ومع توسع الدولة العثمانيـة في العالم الإسلامي العربي ابتداءا من عهد سليم الأول (1512 – 1520)، برز الهلال والنجمة كرموز إسلامية في العـالم الإسلامي العربي، وكثير من الدول الإسلاميـة مازالت تستخدم الهلال والنجمـة رموز لدولتهـا، حيث اتخذ الصليب المذهب رمزا دينيـا لكافة مؤسسات المسيحيـة، وفي مقابله اتخذ المسلمون شكل الهلال كرمز خاص بهم، حتى انتشرت ظاهرة في السنوات الأخيرة لتعليق الهلال المضيء أو الملون بديلا عن شجرة الميلاد في أعياد المسلمين.

تكمن تأثيرات الألوان بأنها تخلق اقصى تأثير واهتزاز للعين حسب درجاته[2]، فاختيـار الألوان وإعطائها دلالات رمزية مسأله ثقافية وليست فطرية حيث تختلف مـن ثقافة لاخـري، فكما يقـول ميشيل مسلان "اللـون في حد ذاتـه محايد وهو لا يأخـذ دلالة رمزية إلا على إثر عمليـات عقلية واعية ولا واعية"[3]، ويكتسب اللون الأسود لون ذو رمزية خاصة في الثقافة والتاريخ الإسلامي فارتبط العباسيين بلون السـواد كشعـار ورايه لدولتهـم التي تأسسـت في بغداد في القـرن الثامن الميلادي (750م) مخالفـة للدولة الأموية، واستنادا إلى راية الرسول صلى الله عليه وسلم،

---

(1) الموسوعة القرآنية الميسرة –مرجع سابق- ص 30

(2) Martin Lings –op.cit-P30

(3) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص268

فقــال ابــن اسحاق "وكان أمام الرسول الله صلــى الله عليه وسلم رايتان سوداوتان أحدهمــا مع علي بن أبي طالب يقال لها: العقــاب، والأخرى مع بعض الأنصار[1]، لذلك أطلق الصنيــون اسم (التاشي) على البعثات الإسلامية، وأضيف إليها اسم (أصحاب الملابس البيضاء) أثنــاء الحكم الأموي، وأطلق اسم (أصحاب الملابس السوداء) أثناء الحكم العباسي.

وبرغم ذلك هنالك اختلاف حول طبيعة لون راية الرسول صلى الله عليه وسلم في حروبه ضد الكفار، ومنهم من قال بأن راية الرسول عليه السلام في حروبه ضد الكفار كانت بيضاء وآخر قال خضراء وآخرين رجحوا اللون الأسود للراية، والغالب بــأن العباسيين اختاروا الرايــة المخالفة للراية الأمويين، فنجد بــأن انصار الدولة الأمويــة قام بثــورات اتخذت من الرايات البيض شعارا لهــا، أما اختيار العباسيين للرايــات الســوداء شعارا لهم، فلها علاقــة بكتب الملاحم (أي النبــوءات المنظومة شعرا) ونشروا التنبوات حول الأقوال بأن راية الرسول صلى الله عليه وسلم سوداء أي رمــز العدل والحق، وبشــروا بأن زوال ملك بني أمية علــى يد رجل ذى الاعلام السود والذي يخرج من المشرق ويزيل عرش بني أمية[2].

كمــا اكتسب اللون الأسود في العراق وفارســ ولبنان معني للحزن والثورة منذ مقتــل الإمام الحسين بن علــي في كربلاء 680م، فالأسود رمــز ومعني شيعي يعبر ويقصــد بأنه بعد الظلمة سوف تأتي علامة الصباح، استخدام الأسود كرمز ديني بكــثرة لدى الشيعــة، لقد بدات ممارسة تقاليد وطقوس الحــداد الشيعي الذي بدأ يتطــور نحــو الأمد الطويل منذ معركــة كربلاء سنة 680م من خــلال إحياء ذكرى

(1) ابن هشام - السيرة النبوية- -علق عليها د.عمر عبدالسلام تدمري - دار الكتاب العربي - 2008 - بيروت - 361

(2) عبدالعزيز الدوري- العصر العباسي الأول-دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي- دكتور/ عبدالعزيز الدوري- الأعمال الكاملة -3مركز دراسات الوحدة العربية- ص 44-68

شهدائــه،[1] ، فأكتسب اللون الأسود رمزية الثــورة والحزن في آن واحد، من خلال إعادة الذاكــرة الجماعية للتشيع من خلال ذكرى مأساة الإمام علي بن ابي طالب والحســن والحسين وآل البيت رضي الله عنهم، وبالتالي يقابل ويحيل اللون الأسود شعار ورمز للشيعة، وأصبح بالتالي لباسهم كرمزية ميتالغوية، تقول أن اللون الأسود رمــز خاص لهم وإبراز لمعاناة ورمز التشيع لآل البيت، لينتظم المذهب الشيعي عبر تاريخه كمذهب ديني - سياسي يساند آل البيت من آل علي، حيث لم يكتسي معنى آل البيت في علي بن أبى طالب ونسله إلا بعد استحواذ العباسيين في السلطة، فكان بعضــ التابعين يرجعون آل البيت لهم أمثــال مجاهد وقتادة والزمخشري والكلبي، وذهــب بعضهم بالقول بان آل البيت كمــا يقول زيد بن أرقم انهم من تحرم عليهم الصدقة وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، وذهب أخرون أمثال عطاء وعكرمة وابن العباس إلى أنهم زوجات النبي صلى الله عليه وسلم[2] .

كما قيل بأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اتخذ من اللون الاخضر أيضاً راية له، ومنــذ ذلك الحين اكتســب اللون الاخضر كرمز للإسلام ، لذلك الاشراف اتخذوا مــن اللون الاخضر شعار لهــم[3]، فأصبح اللون الأخضــر ذو رمزية تدل في ثقافة الإسلامية على الخير، واستخدم كلون مميز لبعض رايات الدول عبر العصور مثل الجزائــر والمملكة العربية السعودية وليبيا وباكستان وغيرها. ويفضل لون الاخضر في الحجاب لدي النساء في بعض دول شمال افريقيا ومصر، وإذا اتينا إلى اللباس فإن علينا التطرق إلى قبعة الرأس أو القلنسوة التي ارتبطت كأحدي الرموز الدينية المميــزه للمسلمين وبخاصة أثناء الصلاة، مع أنها في الأصل تعبير ثقافي للمجالات وطبيعتها البيئة، كملثمين الطوارق، والعمامة وقلنسوات المغول والطربوش ،أما عن

(1) The Martyrs of Karbala Shii Symbols and Rituals in Modern Iran - Kamran Scot AGHAIE- University of Washington press- seattle and londan-2004-P10

(2) عيسى الحسن- موسوعة الحضارات- ص 108

(3) Malak Chebel –op.cit- p116

أصـل وتاريخ القلنسوة أو قبعـة الرأس فإن أصلها غير واضح، فاختلفت مسمياتها وطريقـة ومـواد صنعها وشكلها من بـلاد إسلامي للاخر، ولكن مـع الاستعمار في القرن التاسع عشـر وطغيان الملابس الاوربية أصبحت الملابس تقليدية الإسلامية مؤشر لحيوية الدين[1].

ونتطـرق إلى المسبـاح أو السبحـة التي تستخـدم في بعض المجتمعـات كوجاهة اجتماعيـة وكهواية لجمع المقتنيـات، إلا أنها برغم ذلك تاخـذ ابعاد دينية رمزية فالخرزات تبلغ تسع وتسعين خرزة أو ثلاثة وثلاثون خرزة يتم تكرارها ثلاث مرات اثناء التسبيح والذكر وذلك لتمثـل أسماء الله الحسنى، ولقد استخدامت السبحة في العبادة وممارساتها منذ القدم في جميع البلاد الإسلامية، فنجدها تلتصق بيد المسلـم كسلسلـة ورمزية بين العبد وربه من خلال علاقة رقميـة ونشاط تأملي[2]. فالتسبيـح لغويا تكتسب معني الصـلاة والدعاء فقال تعالى في سورة الصافات في قصـة نبـي الله يونس عليه السلام ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[3]، وبالتالي فهي تكتسب في ممارستهـا الصفة الروحانية الحركية والتأملية والرقمية.

برمزيـة السبحة وعلاقة الاتصال الدائم مع الله عـن طريق التسبيح ،اعتبرت مصـدر لتأمين الوقاية مـن الشيطان لدى البعض، فيصـف الأستاذ الطيب صالح في روايتـه أحـد الأجداد بقوله: ".. وهـو يفتخر خاصة بمسبحتـه لأنها من خشب الصندل، يداعب حباتها، ويمسح بها وجهه ويستنشق رائحتها. وكان إذا غضب من أحد أحفاده، ضربه بها على رأسه، يقول إن ذلك يطرد الشيطان"[4].

بالرغم من أن أصل السبحة مجهول، إلا أنه غالبا ما ربطت السبحة بالمتصوفة

(1) Malak Chebel-op.cit - p106

(2) Ibid – p102816

(3) سورة الصافات : 143-144

(4) الطيب صالح- موسم الهجرة إلى الشمال – دار الجيل –بيروت- ص 90

الذيـن اتخذوا السبحة نموذج ورمـز لعلاقة مباشرة بينه وبين ربـه لايقطعها بأي مـكان، وكلمة "السبحة" اشتقت في جانبها اللغـوي والديني من لفظة " التسبيح، ويذكـر الأسـتـاذ فيليب حتى بـأن السبحـة رمز دينـي ادخله المتصوفـة في العالم الإسلامـي وبأنها هنديـة الأصل، كما يحدد طريقة وصولهـا للمتصوفة عن طريق البيـع النصرانيـة الشرقية، وليس من الهنـد مباشرة، وأثناء الحـروب الصليبية اتصـل امرها بالعـالم الغربي الكاثوليكي، وبأن أول ظهـور لها في الأدب العربي في شعر أبي نواس (المتوفي نحو810):

أنت يا ابن الربيع ألزمتني النسك وعـودتـــنيه والخـــير عـــادة
فـارعوى باطلي واقصر حبـــلي وتبـــــدلت عـــفة وزهـــادة
المسـابـيح في ذراعـــي والمصـــحف فـــي لِبَّتي مكـــان القـــلادة

اعتـبرت السبحـة قـوة رمزية واتصـال وعلاقة متصلـة مباشـرة لا تنقطع مع خالقـة[1]، فعندما سأل أحدهم المتصوف المشهـور ببغداد الجنيد (المتوفي 910) معاتبا عندما كان جالس متعبدا وفي يده سبحة، فقال له" أنت شرفك تأخذ بيدك سبحـة؟" فاجـاب: " طريق بـه وصلت إلى ربـي لا افارقة"، والسبحــة أو المسباح انتشــرت لدي المتصوفة في القرون الأولى الإسلامية وربما بتأثيرات ثقافية واصول بعيدة هندو - ايرانية[2]، حيث تستخدم السبحة أو المسباح لدي البوذية والهندوس لأهدافهـم التعبديـة الدينية الخاصــة ويمكن مـا مقارنة بين السبحــة الإسلامية والكاثوليكيــة واليهوديــة[3]، الا أن لكل واحدة منها عدد خرزات مختلف من حيث أغراضها وأورادها ورمزيتها الخاصة به، وربما أن الصفة المميزة والمشتركة بينهم انها انتشرت ضمن حركات الرهبنة والتصوف والزهد ومحاولة الانعتاق من العالم

(1) فيليب حتى- تاريخ العرب- ص 510

(2) Malak Chebel –op.cit p102

(3) Tanja Al Hariri Wendel-op.cit-- p.87

المادي نحو العالم المقدس العلوي.

انتشـر استخـدام السبحـة أو المسباح بين عامـة المسلمين ليعـبر كأحد الرموز الإسلامية ارتبطـا بالمسلم والدعاء وصله وخلوه تأملية مباشرة بين العبد وربه عن طريـق التسبيح وذكر الاوراد والشهادة وضمـن دورة الصلاة والعبادة في أي وقت اتباعـا لقـول الله تعالى: ﴿الَّذِيـنَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِـنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْـرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِـنُّ الْقُلُوبُ﴾[1]، ولقد تميزت في البداية في البساطة فكان المسلمون يسبحون بالحصـا ونـوى التمر والعظـام وغيرها، وقيل بأن أبي هريـرة رضي الله عنه كان لديـه حبـل معقود ألـف عقدة ولا ينـام الليل حتى يسبـح بهذه العقد عـدة مرات، ثـم طورت السبحة إلى نحـو السبحة المتنقلة البسيطـة في الصنع سواء بالاخشاب والحجـارة وغيره، إلى أن أصبحت أكـثر تعقيد وتبرز المكانة الاجتماعية لصاحبها فأدخـل في صناعتها الاحجـار الكريمة والفضة والذهـب، وحاليا تم ارجاع صفات علاجية للقيمة الوظيفية لبعض أنواع من للمسابح، وذلك لعلاج تخدر اليد واخري لتصفية الدم وغيره[2].

3 - رموز التدين الشعبي في المجتمعات الإسلامية:

تتعرض الأديان برغم أصالتها، إلى تداخل بعض المعتقدات والخرافات المترسبة في المجتمـع، والتي تعمل على إطفاء خوف ورهبـة الإنسان المستمرة، فالكف والعين احـدي تلـك الرموز التي ربمـا يرجعهـا أصلهـا إلى الديانات والمعتقـدات الوثنية في الشعـوب القديمـة، إن ذلـك الامتـداد الثقافي للأفـكار الوثنية يحـدث عندما يختلـط الدين بالأسطوري ويتداخلها ليبرز ترسبـات الثقافية المتجذرة في المجتمع ليكـون الدين الشعبي لعامـة النـاس، كما الحال مع الكف والعـين، فنجد عين الإله

(1) سورة الرعد: 28

(2) الكعبي ، قاسم - «المسبحة.. أداة للعبادة والزينة وعدد خرزاتها يحدد وظيفتها»- جريدة الشرق الاوسط- الثلاثاء 03 ذو الحجة 1431 هـ 9 نوفمبر 2010 العدد 11669

حورس (Ujdat) .

وربمــا كما تقــول اليزابيــث هيلفمان "ان عــين حورس ورمزيتهــا مستمده من البدايــات الأولى (للعبــادة) لدوائــر الشمســ[1] ، حيــث انتشرت بشــكل واسع في اغلــب الفن الفرعوني المصري، فالخلفيات الثقافية عن العين وأوهام عامة الناس والخوف من العين والحسد خلق رمزية العين وتجسيدها بشكل مادي، خلقت رمزية للعــين استمــدت أصولها من المعتقــدات الوثنية والأساطــير الفرعونية، فكما يقول نيوبري»مصــر وثيقة من جلد رقيق الانجيل مكتوب فيها فوق هيرودوت، وفوق ذلك القرآن، وتحت الجميع لا تزال الكتابة القديمة مقروءة بوضوح وجلاء«.

أمــا كف الخمســة فهي أيضاً من الرمــوز القديمة والتــي استخدمت للحماية مــن العين والحسد عند اليهود والمسلمين على حد ســواء[2] ، فكثير نسمع في عالمنا العربــي الإسلامــي عبارات (خمســة وخميسة) (خمسة على الــذي لا يصلي على النبــي) ، حيــث استخدام الكف ضــد دفع دراء العــين والحسد ، وهــو ذو امتدادت ثقافيــة، والحال كذلك برمزية بمــا يسمونه (كف فاطمة) وترجع تسمية الكف إلى السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقد تم ربــط الكــف بالدين الإسلامي باعتقادهــم بأن اصابع الكف ترمــز إلى الأركان الإسلام الخمسة[3] .

كمــا يبرز الأستاذ واستر مــارك في كتابة الوثنية في الحضــارة الإسلامية بأن الكــف والعين المرسومــة والمنقوسة والمعلقــة في صدور والمنازل وكذلــك المخمسات المزخرفــة لــدي العرب في بيوتهم وقصورهــم وأعمدتهم ماهــي إلا تأثيرات وثنية تتعلــق بالسحر في الفن العربي ضد الحسد والعــين فالرقم خمسه يرمز إلى الكف

(1) Elizabeth S.Helfman-op.cit- p.88
(2) Miranda Bruce – op.cit -p.116
(3) Ibid -p.180

الممدودة لتبعد عن الإنسان كيد الحسود وترد الشعاع الصادر عن عينه[1]، إن تلك الامتـدادت الثقافية لتلك الرموز واستمراريـة المعتقد بفعليتها وتداولها بين الناس وربطهـا بالدين، إنما يرجع إلى الارتباط بين السحـر والدين منذ القدم في نفوس البشـر، ويفسر ذلك (روشيـه) لان كلاهما يرجعان إلى عـالم غير منظور، لذلك كان عليهمـا أن يسلـكا الطريق الرمزي لابقاء الإنسان علـى اتصال واحتكاك بهذ العالم[2]، فكانت قصة موسى عليه السلام وسحرة فرعون أنما هي تمثيل للصراع بين الدين الحق والسحر (عمل الشيطان)[3].

سـوف تفرز الخلفيـات الثقافية والميل الإنساني لاكسـاب القداسة على الأشياء وبروز الصراعـات والأزمات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية،والفهم السلبـي العفوي للاحكام الشرعيـة، نمط من التدين الشعبـي العفوي بين الناس، يلامـس المبـادئ الاساسيـة للديـن الرسمـي حسب النصـ المقدسـ ولكنه يدخل بجانبـه بعض الممارسات المترسبة في عقـول ونفوس البشر لكي يطفئ بها التقلبات السيكيولوجيـة للنفسـ البشريـة ،ذلـك الدين الشعبـي المتسامح ومـا يطلق عليه الأستاذ سابينو أكوافيفا بـ(المظاهر البرية في الدين).

ففي الإسلام يوجد إلى جانب التدين الرسمي المتمحور والمنضبط وفق التعاليم القرآنيـة ،شكل من التدين الشعبي تشده صلات مميزة بالمقدس ، ومنها ما يتصل بطقوسـ الأولـياء ،ممـن تـزار أضرحتهم بغرضـ التبرك، برغـم حرمة ذلك في

(1) يوسف شلحت – مرجع سابق - ص 202

(2) عبدالغني عماد- مرجع سابق- ص176-

(3) قال تعالى ﴿وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾البقرة : 102

ديـن يتميـز بالتوحيد الخالص[1]، وهكـذا وبرغم معارضه ذلـك التوجه للتعاليم الإسلاميـة حول عدم شرعيـة اتخاذ الاضرحـة والقبور مكان للعبـادة والتقديس اتسعـت دائـرة الأماكـن المقدسة التي توحى قـبر ولي أو صـوفي أو شخص من آل البيت في العالم الإسلامي.

إن الرمز متأصل في النفس البشرية منذ القدم، ﴿ ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً ﴾[2]، فبعد موت أصحاب الكهف قال فريق من المطَّلِعين عليهم: ابنوا على باب الكهف بناءً يحجبهم، واتركوهم وشأنهـم، ربهـم أعلم بحالهم، وقـال أصحاب الكلمة والنفوذ فيهـم: لنتخذنَّ على مكانهـم مسجـدًا للعبادة، وكان ذلك جزء في شرعهم، الا أن رسول الله صلى الله عليـه وسلم نهى عن اتخاذ قبور الأنبياء والصالحـين مساجد، ولعن مَن فَعَلَ ذلك في آخـر وصاياه لأمته، كما أنه نهى عن البناء على القبور مطلقًا، وعن تجصيصها والكتابة عليها؛ لأن ذلك من الغلو الذي قد يؤدي إلى عبادة مَن فيها[3].

لذلـك أدرك الخليفـة عمـر بن الخطاب رضـي الله عنة، خطـورة ذلك الأمر، عندمـا قطع صلح الحديبيـة (شجرة الراضـوان) بعد انها أصبحـت رمز ومزار للمسلمـين لتـبرك فخاف ان تكون بدايـة لالهاء الناس عن البيـت الحرام والعودة للوثنية والجاهلية وبروز البدع وكذلك الحال عندما قبل الحجر الأسود وقوله: ولولا أني رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقبلك ما قبلتك ".

عندما بـدأت الخلافات والفتنة تنهش جسد الأمة الإسلاميـة، بدأ يطفو على الواجهة بشدة نماذج من التدين الشعبي، فاصبح المكان الذي توفي فيه الإمام علي بـن أبي طالب مـزاراً مقدساً لدى شيعتـه التي تعظمه وأصبـح ضريحة رمز ديني

(1) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق-ص 167

(2) سورة الكهف: 21

(3) الموسوعة القرآنية الميسرة –مرجع سابق- ص 296

ومـكان يحـج إليه، لتكتمـل معالم قصة التشيـع في كربلاء عند مقتـل الحسين بن علـي680م كفرقة دينية لها رموزها الخاصـة واتخذوا للإمام الحسين رضى الله عنـة ضريح عظيمـا تخليدا لذكراه لـدى الشيعة ويمثلون في عاشـوراء في كل عام مأساة قتله والنكبة التي اصابت آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويمجدون ذكـرى على وولديه الحسن والحسـين، واكتساء السواد رمـز خاص بهم ومشاهد النجف وكربلاء والكوفة واضرحتها، كما يقول كارمن سكات kamran scot "إن قصة كربلاء تبدأ بمعركة كربلاء"[1].

سـوف يبرز لنا التشيع رموز دينية إسلاميـة ذات صبغة مذهبية قبور وأضرحة مقدسـة لأولياء وإئمة الشيعة من آل البيـت، يتم زيارتها والحج إليها والتبرك بها والبـكاء وغيره، كنـوع من إعـادة تشكيل وبنـاء وإشعال الذاكـرة الجماعية، حتى أضحى الإمام الرضا ثامن الائمة الشيعة الذى يقع ضريحه في مشهد شمالى فارس هو بمثابة (مجد العالم الشيعي)[2]»، كما يقول عبدالقادر طيوب Abdulkader Tayob «أصبحـت الرموز الإسلامية تبنـي واقع جديد للمسلمين في العـالم الحديث»، لإن السيرة التاريخية والتواتر في مسيرة الائمة الشيعة جعل من الرموز الدينية الشيعة امتـداد للتاريخ الإسلامي بجميع تجلياته حيث كان التاريخ بالنسبة للشيعة يضيف باستمرار مدلولات ورمزية جديدة ضمن بنية الزمن.

كمـا أن بوفاة الرسـول صلى الله عليه وسلـم ، وانقضاء الجيـل الفريد، وبروز الصراعـات والفـتن بين المسلمـين ، سوف ينتهي كل ذلك إلى بـروز حركة رد فعل لانعتـاق والبحث عـن الصورة النقيـة والخالصة للإيمان بالله عـن طريق الزهد

---

(1) Scot,kamran - The Martyrs of Karbala: Shii Symbols and Rituals in modern Iran – Seattle and Londan University of Washington press- 2004-p8

(2) الإمام علي بن موسى الرضا: هو ابن الإمام موسى الكاظم الإمام الثامن من أئمة الشيعة الإمامية كنيته أبو الحسن، ولقبه الرضا. ولد في 11 ذو القعدة، 148 هـ في المدينة، وكانت وفاته آخر صفر 203، وعمره 55 عاماً، ومرقده الشريف في مدينة مشهد في إيران. ويعرف مكان دفنه بالروضة الرضوية .

والتقشف وتصفية النفس وسلوك الروح بين العبد وربه والتي تتقارب مع الرهبانة المسيحية بعد ازدياد الرغبة الدنيوية والبذخ على حساب الاخرة ، ومع مرور الوقت تطورت وازدادت نفوذ المتصوفة واتباعه كاحدي الآليات المحركة في المجتمع تحسب له السلطة السياسية والدينية الرسمية الف حساب، مع بروز الصراع بينهما.

كما حدث مع الدولة المرينية بالمغرب ومن تلاها والدور البارز للاضرحة والزوايا، الا أن نصل إلى نجد ان نصل إلى قول كثير من الباحثين أن الدولة السعدية قامت على اكتاف الزوايا والمتصوفة[1]، كما وكذلك أدرك نظام الملك أشهر وزير الدولة السلجوقية الأهمية الرمزية للمساجد والزوايا والتكايا والرباطات، فقام بالاكثار والاهتمام في الانفاق عليها وبنائها والاغداق على الأولياء والصلحاء، ولما عاتبه سيده ملك شاة اثر بعض المغرضين والحاقدين على نظام الملك كان رده على السلطان بعد ان بين سيئاته وعيوبه» أقمت لك جيشا يسمي (جيش الليل) إذا نامت جيوشك ليلا قامت جيوش الليل على أقدامها صفوفا بين يدى ربهم، فأرسلوا دموعهم، وأطلقوا ألسنتهم ومدوا إلى الله أكفهم للدعاء لك ولجيوشك، فأنت في خفارتهم تعيشون، وبدعائهم تبيتون، وببركاتهم تمطرون وترزقون..»[2].

إن الممارسات الصوفية يمكن أن نطلق عليه دين العوام في مقابل الدين الرسمي النصي، كل ذلك سوف يؤدي إلى تقديس وعبادة الأولياء والموتي على الرغم من تحريم السنة الإسلامية لذلك، لذلك حارب الوهابية في القرن الثامن عشر البدع التي انتشرت في الجزيرة العربية وقاموا بمنع الناس زيارة القبور والاضرحة بل وهدم بعضها وتسويتها بالأرض، حتى أضحت الاضرحة والزوايا رموز مقدسة في العالم الإسلامي لعامة الناس، فكما يقول الأستاذ يوسف شلحد: «فإن التقوي

(1) بعض الباحثين يصر بان الدولة السعدية لم تقم على اكتاف الزوايا والمتصوفة بل على اكتاف العلماء، للمزيد –انظر: بوشنتوف، لطفي - العالم والسلطان - مطبعة فضالة المحمدية- 2004- سلسلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الأطروحات والرسائل)

(2) جرجي زيدان - تاريخ التمدن الإسلامي -ج -3 منشورات دار الهلال- ص224

الشعبيــة آلت إلى انزال القداســة إلى الأرض، وأقامت في كل مكان تقريبا مقامات ومـزارات لاولياء السماء على شكل رباط، قبة، زاوية ومزار »[1].

لقــد ازدهــرت الاضرحة والزوايا ضمن فهــم الناس واستعابهــم للدين بشكله المبسط (الدين الشعبي) أي الوعي الديني الاجتماعي، وليس الدين الرسمي المنزل كرسالــة سماويــة ضمن الميتاتاريخيــة النبوية، بالاضافة لما تقدمــه تلك الاضرحة والزوايــا مــن رمزية وخدمات دينيــة واقتصاديــة واجتماعية، وتلعــب التشكيلات الاجتماعيــة وصراعاتهــا والتضاريــس والموقــع دور فعــال في ازدهارهــا بعيدا عن السلطة السياسية والدينية الرسمية للدولة، وبالتي اضحت الاضرحة والزوايا ملاذ ورمــز ديني يلجــأ إليه الفئة الدنيا من المجتمع بشــكل أساسي لقضاء حاجاته ومن جهة أخــرى تؤمن لمسؤولي الاضرحة والزوايا الاتباع لاغراض (دينية – سياسية – اقتصادية).

لقــد أصبحت قبر الأولياء والصالحين أصبحت مــزارات دينية يتبارك ويتوسل بهــا برغم حرمه ذلــك الشئ، ولكــن العلاقة التي نشــأت بين شخصيــة الوالي أو الرجــل الصالح وقبره اضفت القداسة علــى المكان، واضحي مزاره تجسيد رمزي للشخصيــة مقدسة تنتج روابط وترتب نظــم المجتمع وعلاقاته بعضهم ببعض ومع السلطــة، فكان قــبر الوالي ملجــأ للضعفاء المجتمــع طلب للشفاء ورفــع المظلمات والرزق والتوفيق وغيرها من الأمور .

فذكــر شابــرول احد اهــم العلماء الفرنسيــين في الحملة الفرنسيــة على مصر (1798 – 1801) في كتابــه دراســة عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين – عن أن عدد كبير من المسلمين من أهل مصر يقدسون عديدا من الأولياء الموتي. وكذلك ما ذكره إدوارد وليم لين في بدايات القرن التاسع عشر في كتابة المصريون المحدثون،

---

(1) يوسف شلحد – مرجع سابق - ط 1 - 1996 - ص 129

بـأن المصريين يزوروان اضرحة الأولياء ويعتقدون في بركتهم ،وفي أوقات الحروب والمحـن اتجاة الناس يلذون للاضرحة طلبا لرفع البلاء فتوسعوا في بنائها بدعوى انهـا تنفيذ لـرؤى في منامهم مثلما جرى على ضريح السيـدة سكينة بحي الخليفة بالقاهرة والذي يرجع تاريخ بنائه إلى عهد عبدالرحمن كتخدا عام 1173م[1].

كمـا لاحظ سيد عويس كثرة قبور الأوليـاء والمزارات والزوايا والطرق الصوفية في القـري وأحيـاء المن الفقيرة المحرومـة وندرتها وغيابها في المـدن الكبري حيث تتمركـز السلطـة الدينية الرسمية وسلطـة الدولة ، ويذكر سيـد عويس من خلال دراستـه وتحليلـة لضريح الإمـام الشافعي في مصـر بأن مضمـون الرسائل التي يوجههـا أنها تهدف إلى تحقيق الآمـال والطلبات أو تخفيـف الآلآم والمظالم وهذه الظاهرة كما يؤكد سيد عويس ليست أحد رواسب الماضي السحيق ،بل هي محاولة لتجاوز الاغـتراب أو العجز بسبب الأوضاع السائدةحيـث إن حالات القهر والظلم التـي يتعرض لهـا الفقراء ولا يجدون في المجتمع ومؤسساتـه وجماعته وافراده من يرفع عنهم ذلك ،هـي التي تدفعهم اللجوء إلى مثل هذه الحلول ،وليس هذا اللجوء مجـرد تقليد أو عادة تنتقل من جيل إلى آخر دون أن يكون لها مبررات في الأوضاع الاجتماعيـة السائـدة فيقـول«إن ارسـال الرسائـل إلى ضريح الإمـام الشافعي لا يمكـن أن يكـون من صنع الأفراد، وانما هو نتيجة لحيـاة المجتمع» فيصف المستوي الاقتصادي العام لمرسلى الرسائل بأنه أقل مستوي يمكن أن يتصور في المجتمع[2].

ومنذ فترة قريبة ندد علماء دين مغاربة بـ«مناسك الحج» التي يؤديها المئات من مرتـادي ضريح «سيدي شاشـكال» بالقرب من مدينة آسفي التي تطل على المحيط الأطلسـي، قبل عيـد الأضحى؛ من طـواف وصعود لجبل «عرفـة» وترديد عبارات

---

(1) عمار علي حسن- مرجع سابق-ص 168

(2) سيد عويس، - من ملامح المجتمع المصري المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل إلي ضريح الامام الشافعي –منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - 1965 - ص 139 - 244

التلبيــة وتقــديم القرابين والتهــاني المتبادلة بحج مــبرور. واعتبر العلمــاء أن هذه «الطقوس» تعد من تصرفات الجاهلية وافتراء كبيرا على الإسلام وابتداعا خطيرا في الدين، فيما أرجع أخصائي نفسي أسباب قيام هؤلاء الناس بمثل هذه الطقوس إلى رغبتهم في حمل لقب «حاج»؛ من أجل الحصول على «بريستيج» اجتماعي معين دون تحمل مشاق السفر إلى الكعبة بالديار المقدسة، وهو ما جعل الكثيرين يسمونه «حــج الفقير».وتــؤم هذا الضريح الموجــود على بعد حوالي أربعــين كيلومترا شمال مدينة آسفي، أعداد كبيرة من مرتاديه وزواره، حيث يطوفون حول الضريح كل عام خــلال يوم عرفة بأقدام حافية سبعة أشواط، وهم يهرولون وينادون بشكل جماعي "لبيك اللهم لبيك" في صورة مشابهة لما يقوم له الحجاج في الكعبة المشرفة[1].

لذلــك يشــكل الديــن الشعبــي أداة مــن أدوات الشعب في سعيه لحــل مشكلاته المستعصيــة ومنها الطرق الصوفية التي انتشــرت انتشاراً واسع في المجتمع العربي التقليدي والمعاصر ونشأت نتيجة لحاجات اجتماعية واقتصادية وسياسية ،اقتضت الاندمــاج في جماعات منظمة تمكن أعضائها من تجــاوز عجزهم، وكرد فعل على التزمت بصدد النصوص والتضييق على العقل والاغراق في البذخ وهيمنة المؤسسة الرسميــة[2]، لذلك عبرت زيارة المزارات والاضرحة عن هروب من العالم الدنيوي وحنين ديني بالرغبة في الخلاص والطهر ومجال اجتماعي لمشاكل المجتمع وخاصة

(1) الخميس 13 ذو الحجة 1429هـ - 11 ديسمبر 2008م - موقع العربية الاخبارية

- http://www.alarabiya.net/articles/2008/12/11/61795.html

وللمزيد كذلك انظر مساهمة الأستاذ علي فهمي حول ملاحظاته حول ضريح الولي الشهير ابي الحسن الشاذلي في مساهمة بعنوان "دين الحرافيش في مصر المحروسة:دراسة في سيولوجيا الفهم الشعبي للدين" بكتاب (الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث - ص 404) وكذلك انظر حسين أحمد أمين حول ملاحاظه حول ضريح الولي الصوفي عبدالرحيم القنائي(أمين ، حسين أحمد - دليل المسلم الحزين إلى مقتضي السلوك في القرن العشرين- بيروت ، القاهرة- دار الشروق- 1983 - ص 98).

(2) عاطف العقلة غضيبات- الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي: دراسة سوسيولوجية»- الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث-مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 2 - 2000 - ص 150 - 149

الفئة الضعيفة بشكل عام، ولكن برغم ذلك استخلاص سابينو أكوافينا بأن التضاد الحـاد بـين الشعب والشرائح العليا ليس ملائما دائما، منـذ أن تبين أن الطبقات العليا تتشارك بشكل عام مع الطبقات «الوضيعة» في الرموز وفي اللغات نفسها[1] .

....

(1) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق-ص 167

مقاربات ختامية

حاولنا من خلال هذا الكتاب اطلاق بداية استهلالية **Inception** تحفزنا لفهم العالم الــذي نعيشــ فيه، وتساعدنا على طــرح تساؤلات نقدية بلازميــة، وتساعدنا في فهم الآخــر بطريقة أفضل، وبناء حضارة التسامح والتعددية، فالرمز الديني يتموضع في اللاوعي البشري بعد أن يكون قد شحن بمعاني ودلالات خاصة وبالتالي يخضع الرمز الديني لقراءة مزدوجة سلبا أو ايجابا حسب الخلفية الذهنية والاستعدادت الثقافية والتاريخية للمتلقي، ولكن عندما نفقد وتنعدم القراءة ، يفقد الرمز الديني أي قيمة ومعنــي وطابعه المقدس بالنسبة للمتلقي، كما أن الرموز الدينية تساعد المجتمع على الاستمرار والتوازن الداخلي للمنظومة الدينية وتلاحم افرادها.

إن الرمــوز الدينية هي فضاء المقدس الذي يثير الخــوف والرجاء ويبعث للثقة والاحترام والسكــون والطمأنينة في النفس البشرية، فتحــدد الانتماءات والهويات والأفــكار المختلفة، وترســخ المعتقد الديني من خلال تناقله جيــل بعد جيل، إلا أن الدخــول إلى فضاء المقدس ومحاولة تدنيسه كالدخول في النار والتي سوف تجلب عواقب وخيمه تكرس الصراع والطائفية والعنف ونبذ الحوار الحضاري .

فقــد تتعرض الرموز الدينيــة للعنف والتنديس والتمييــز[1]، نتيجة الاستغلال

(1) يذكر الونشريسي في احدى النوازل التي اثيرت في عصر دولة المرابطين دارت حول نصراني بمراكش اعتنق الإسلام ثم ما لبث ان ارتد ثانيه الي المسيحية،فظهرعليه علاماتها «ورفع الي السلطان من امره ما اوجب الكشف عن حاله ففتشت داره فالقي فيها بيت شبه الكنيسة فيها حنيه الي جهة الشرق وفيها قنديل وشموع وكتب وعصى على راسها عمود مصلب ولوح على اربع قوائم، ولما تم استشاره احد العارفين باحوال وعبادات النصاري حول تلك الاشياء ذكر باها تخص عبادة النصاري ،لذلك سيق النصراني الي القاضي موسي بن حماد في مراكش الذي اتهمه بالزندقة(الونشريسي،ابو العباس-المعيار المعرب ـنشر وزارة الاوقاف المغربية 1981- جزء 2-ص 250-249)

الأيديولوجـي والصراعـات فالعنصـر المادي للرمـز أضحى سبيل لكسـب الأتباع والمؤيدين وجذب السلطة الدينية ، من بناء للرموز الدينية والاهتمام بها كالمساجد والزوايا والاضرحة والأماكن المقدسة أو قد تكون الرموز الدينية عرضه للانتهاك والتخريـب، وهنـا لا ينتهك الرمز لذاته بقـدر أن الذي ينتهـك الرابطة والمشاعر الدينيـة وقداستها لـدى المجموعة، فاستخـدم معاوية القـرآن في صراعه مع علي بـن ابي طالب في معركة صفـين، فكانت القرآن أول الرموز الدينية الإسلامية التي ادخلـت في الصراع بين المسلمين، وإحرق الزنج المسجد الجامع سنة 258هـ/871م في عهد الخليفة العباسي الموفق واحرقوا وقتلوا وسبوا النساء والأطفال حيث يقال أنهـم قتلوا مـا يقارب من 300000 نفس[1]، وكذلك الحـال في المسيحية والحروب الصليبية باستغلال الدين ورموزه في صراعهم مع المسلمين.

كمـا تعرضت الرمـوز الدينية لانتهـاكات عبر تاريخها، كما حـدث في فلسطين واحـراق المسجد الأقصى 1969 من قبل أحـد الصهاينة المتعصبين ويدعى دنيس مايـكل، حيث أحدثـت هذه الجريمة المدبـرة دوياً في العالم وفجـرت ثورة غاضبة خاصـة في أرجـاء العالم الإسلامي، وكثـير ما تتعرض الكنائـس والمساجد والكتب المقدسة وغيرها مـن المقدسات، لانتهاك التي تكرس الطائفية وصراع الثقافات، برغـم اننا اعتقدنا بأن تلك الانتهاكات على المقدسـات من الماضي، ولكن للاسف مـازال ذلك الصـراع قائما، حيث تكرس الرموز الدينية للاستغـال والصراعات والاستغلال الايديوجي في اثارة الفتن.

كمـا يمكـن أن تكون الرموز الدينية هـدف للتمييز الطائفي وصـراع الثقافات، حصـل ذلـك كثير عبر التاريخ، كمـا أن الرمـوز الدينية قد تستغـل لتكون عنصر وعلامة مميزة لتجزئ مضمون الدين(النص المؤسس) على شكل وحدات مذهبية وايديولوجيـة وتتخذ من الألـوان والأماكن واللباس رموز دينيـة خاصة بتلك الفئة

(1) عبدالعزيز الدوري ، مرجع سابق- ص 71

كما الحال لدى الشيعة والسنة على سبيل المثال، كما أصبح بعض الدلالات الرمزية رموز للسلطة الشرعية والملك، فقال تعالي ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِه أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1]، تلك الآية ورمزية الآثار المقدسة سوف تجعل (السره النبوية - بردة النبي) ذات دلالات رمزية للملك والسلطة الشرعية، فنري السلطان العثماني سليم الأول يأخذ سرة النبوية من آخر الخلفاء العباسيين، ليعلن نفسة خليفة للمسلمين ملك القطرين وخادم الحرمين الشريفين.

إن الرمزية الدينية استمرار لإطار شرح الواقع[2]، كما تطورت الرموز الدينية لتكون علامة فارق نشاهدها ممسرحة في صفحات الحياة، وتحدد الانتماءات والأهداف والخلفيات الثقافية لصاحبها سواء كانت سياسية أو اقتصادية، « فنجد تطور الأصنام والتماثيل والحيوانات والاشجار، من طوطميات باعتبارها شعارا أو رمزا للآلهة إلى تمائم وشعارات في وقتنا الحالي اتخذتها الأمم والاحزاب السياسية شعارات لها كالاسد والنسر والصقر أو الايل الذي تتخذه الجمعيات التي تعمل على الإخاء بين الناس، والحمامة والسمكة والحمل في رمزية للعقيدة المسيحية إبان نشوئها[3].»

يمثل الأدب والفن مجالين خصبيا لابداع والتمثيل والاستعارات والتشبيهات الكنائية، وبذلك كان الفن الهندسي للعمارة المقدسة امتداد وتطوير للرمزية والفكر الديني وعلاقتها في المجال والطبيعة، لكن برغم ذلك كان تحذير الأديان السماوية من تصوير وتمثيل المقدس سواء كان الإله الخالق عزوجل أو الأنبياء أو الملائكة في صورة فنية كنقوش أو تماثيل، خوفا من تقديسها وتعظيمها على حساب الآلوهية الخالصة والدين القويم.

(1) سورة البقرة : 248

(2) Abdulkader Tayob- op.cit-p159

(3) دل ديورانت - قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الأول- مرجع سابق-ص 107

لقـد قمنا بدراسـة سريعة على رمزيـة للالوان، لهدف أبرز الـدلالات الرمزية للألـوان ومـدي تلاقيهـا واختلافها بـين الثقافات والأديـان المختلفـة، حيث يبين (ج.دورانـد) "أن التحليـل الأدبـي والتحليـل النفسي لرمزية الألـوان يلتقيان من أجـل توضيح بنية أصيلة شـكل من الاصالة الجوهرية وكذلـك يجمعان الشهادات التاريخية المقدمة من جانب تقاليد دينية مختلفة"[1].

لقـد قمنا بدراسـة أشكال ورموز التديـن في حضارات الشـرق الأدنى القديم ، فظهـرت الآلهـة باشكال وصفات ورمزيات مختلفة ، ولكـن برغم ذلك فإن التدين التوحيدي كان غائرا في العقل والنفس البشرية التي تميل دائما إلى التوحيد، والتي تطلـب جراء ذلك الوحدة وراء التنوع[2]، ويؤكد الاستاذ عماد صباغ على أن بداية التدين والعبادة التوحيدية وجدت منذ القدم ، الا إن عدم الادراك العامي الشعبي لابعـاد اللوحة الدينية والعنصر الخفي بها ، واقتصار المؤمن بالطقس الديني مما ادي إلى بـروز الوثنية علـى انها «شكل العبادة الذي يتماهـى فيه الرمز (الرب – الشفيـع) المخلوق أصـلا، مع الخالق الأوحـد المنزه ، ويحتل مكانـه بالتدريج، إلى درجة إلغائه بصورة شبه كاملة ، من اللوحة الدينية الشعبية»[3].

ان فكـرة الإلـه الأوحد المتعـالي وان اختلفت تعابيرها أو صيغهـا نشأت حتى في اقـدم الشعوب بدائية، فقد استنتـج ويلهيلم شميدت **Wilhelm Schmidts** في موسوعته ذات الاثنـي عشـر مجلـدا المسمـاة **Ursprung Der Gotteside**ان كل قبيلـة بدائية حتى تأليفـه لذلك الكتاب (1912 – 1955) بانهـا كانت تؤمن بإله خالق متعال يعمل في الكـون مـن خلال مندوبيه أو نوابـه إنسان[4]، تشير الآثـار التاريخية بان اخناتون اسـس دينا توحيديا ولكن ضمن ذلك الاثر التاريخي يوجد اثار الذاكرة المقدس في

(1) ميشيل مسلان- مرجع سابق- ص 269

(2) جيب / عادل العوا – علم مرجع سابق ص 79

(3) عماد صباغ - الاحناف-عماد صباغ-دار الحصاد-سوريا- ط1 1998 - ص 20 – 21

(4) هوستن سميث Huston Smith – مرجع سابق -ص 555

تراث الأديان السماوية لشخصيات قامت بدعوة التوحيدة كأنبياء ورسل صالحين. فالتوحيد كما ذكـره كودورث[1] وغيره من مؤيدى مفهوم الأديان الطبيعية، توضح بأن التوحيدية تجمع جميع الأديان بما في ذلك الالحاد نفسه ، وما يجمع بين الأديان لابد أن يكون حقيقة[2].

ورغـم من تعدد الآلهة في حضارات الشرق الأدنــى القديم والعالم الا أن ففكرة التوحيـد أي الخالـق الواحد كانت حاضـرة في ثقافة العصـور القديمة ونلاحظة بوضـوح في ثورة الملك الثائر اخناتون في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، الذي اقام ثـورة دينية على العبـادات والآلهة والطقوس القديمة بوصفهـا بأنها عبادات وثنية خاطئـة ورفضـ تجسيـد الإله، وأن ليسـ للعالم إلا إلـه واحد هو (أتـون) وإعلان صراحـة في قصائدة الحماسيـة مبدأه والذي يدعوه في قصائـده بقولة: أيها الإله الأوحـد الذي ليس لغـيره سلطان كسلطانـة[3]، ومعني كلمة اخناتـون الجميل مع قرصـ الشمس[4]، لذلك قام اخناتون بأمر ان تمحى جميع نقوش اسماء الآلهة الا اسم اتون وحرم عبادة أي دين غير دين التوحيد باتون، وامر ان تغلق جميع المعابد والهيـاكل القديمة، غادر طيبة بوصفها مدينة نجسه وسكن في مدينة سماها (افق آتون)، وأمر إلا يصور آتون بأي صورة، لانه كان يؤمن بانه ليس لآتون صورة يمكن تجسيدها، وغير اسمه من امنحتب الرابع إلى اخناتون(اخن - اتون) .

كما يوضـح الاب سهيل قاشا بأن برغم تعدد الآلهة في بلادد الرافدين فانه من الواضح من خلال ملحمة جلجامش وملحمة الخلق اينوما ايليش والأسماء الخمسين لمـردوخ، حاولـت الأسطورة أن تضع وتوحد الآلهة في إله واحـد، وأن الآلهة الأخرى

---

(1) رالف كودورث — فيلسوف واحد العلماء الرائدين والمتخصص بالعبرية في جامعة كامبردج - صاحب كتاب النظام الفكري الحقيقي للكون - 1678 م.

(2) يان أسمان Jan Assmann **- مرجع سابق- ص 185**

(3) دل ديورانت - قصة الحضارة- دل ديورانت- الجزء الثاني- المجلد الأول - مرجع سابق - ص 172

(4) عيسى الحسن - مرجع سابق — ص 32

ليسـوا سوى صـور الإله مـردوخ[1]، ففكرة الإلـه الواحد فكرة ليسـت طارئه على البشريـة، ويمكننـا أن نتسأل لماذا بتقهقر ويغيب ويموت الإلـه الأكبر في الأساطير القديمة ؟ ويترك الخلق والحياة الدينية لصالحه آلهة أقل منه شأنا؟ .وهل يستحق أن يعبد آله يموت أو يغيب؟

لقد حاول أندرو لانغ تفسير ذلك والتسأل عن سببية تقهقر كبار الآلهة وزوالهم النهاني فلاحظ بأن المخيلة الاسطورية اسهمت مساهمة جذرية في تقهقر فكرة الإله الاكـبر، الا ان المخيلة الاسطورية كما يبين ميريشيـا إلياد لم تكن العامل الأساسي حيث يوضح بان الإله البدائي الاكبر تحول إله متبطل (Deus Otiosus) وبات الناس يعتقـدون انه انسحـب إلى السماوات العليا وصار لا يأبه لشؤون البشر وفي النهاية طـواه النسيان أي انه بكلام اخر (مات) ، لا لان ثمه اساطير تروى وقائع موته، بل لانـه غاب عن الحياة الدينية غيابا تاما، وبالتالي غـاب ذكره حتى من الأساطير، فنسيان الإله الاكبر بهذا الشكل يعني موته، وبالتالي كان غياب الإله الأكبر سوف يؤدي إلى ولادة مجمع للألهة أكثر حيوية ودراماتيكية برغم أن مرتبته ادني[2] .

لقـد خلقت الأسطـورة في مقابل الإله الأكبر آلهه مثقلـة بمزايا متعددة واحيانا متناقضـة بهدف ان تصـل إلى الكمال والكليـة كضرورة لترقيتها مؤقتـا أو بشكل دائم إلى مصاف آلهة كبيرة[3] ، فكما اشرنا سابقا لقد كان الاساس للآله الأكبر، وتدريجيـا وحسب السياق التاريخـي تم تغيبه واعطاء السببيـة والمبررات لتغيبية، لذلـك اعلن مـوت أو عجـز أو انسحاب الإله الاكـبر عن طريـق الأساطير وغيابه وتحيـده عن الحياة الاجتماعية والدينية لمصلحـة الآلهة الأقل مرتبة وإدخال أوجه أخـرى للدين تتسم بالتعددية وتلائم نـزوات ورغبات وتطلعات وأهداف وحاجيات الإنسـان التي تحققت عبر الانجازات المادية والثقافية من بناء المجتمع والحضارة

(1) سهيل قاشا- مرجع سابق -ص 116

(2) ميريشيا إلياد - البحث عن التاريخ والمعني في الدين- مرجع سابق- ص 126

(3) مرسيا إلياد - تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية - جزء الأول- مرجع سابق - ص 399

ومــن الإنسان الملتقــط لغذائه ثم تطور للصيــد ثم الانتقــال إلى مرحلتي الزراعة والرعي وتربية الماشية مرور باختراع الكتابة وبناء المدن والتحضر .

فـنري غزارة كلمة الهـوى وربطها في الإنســان ومحاولته الانعتــاق عن تعاليم الديــن وعبادة الله الواحد فنراهــا في عدة مواضع من القــرآن الكريم ومنها قوله تعــالي : ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَـى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَـلَ عَلَـى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَـن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَـلَا تَذَكَّرُونَ﴾[1] ، فنرى في افريقيــا على سبيل المثال بأن الدين الافريقي التقليدي مرتبط بحاجيات المجتمع، وبــأن التمييز بين الله والمقدسات أو الآلهة والاجداد الأقل مرتبة ليس دائما تمييزا واضحــا بيد أن الشــيء الهام هو كيف يرتبطــون بحاجات المجتمــع[2]، لقد بدأنا نلمســ أن الإله الاكبر بدء يتقهقر ويغيب عن التجربــة البشرية لمصلحة الآلهة اقل منه مرتبة وشأن، وبدأنا نرى الآلهة بأشكال وتجسدات بشرية وحيوانية وكونية.

مــع العولمة والتقدم العلمي والصناعي وبــروز العلمنة بدأنا نسمع أصوات تنادى بضــرورة بنــاء المعرفــة على أســس لا تستند فيــه إلى المرجعية الدينيــة القدسية، والمرجعيــات الدينية والعوالم الرمزية الدينيــة[3]، وبأن العاطفة الدينية ذهبه إلى الضعف والاضمحلال ، حيث يؤكد غويو ودوركايم وكونت وماكس ويبر وغيرهم بأن العاطفــة الدينية ذهبه من القوة إلى الضعــف ومتجهة ناحية الاضمحلال، وعقلنة العــالم الحديث، بينمــا ذهب سباتيــه **Sabatier** إلى نقض هذا القانــون والقول بأن الديــن باستقلالية عن سائر الوظائف الاجتماعية سائر نحو التطور والنماء ويؤكد نظريته بتطور الديني للبشرية[4] . فالإنسان بحاجه دائمة للدين ، كما اثبت الدين فعاليته وتغلغله في النفس البشرية على مر العصور البشرية، كما أكد مليتون ينجر

---

(1) سورة الجاثية: 23

(2) حنا عبود - مرجع سابق - ص 16

(3) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق - ص 154-153

(4) يوسف شلحت ، مرجع سابق - ص 208-206

M. Yinger بافترضيــات وظيفية للدين وبــأن أي مجتمع يحتاج إلى نظام رموز وقيم، ليكون بوسعه الاستمــرار والحفاظ على توازنه الداخلي، وبأن الدين مازال صالحا إلى الآن، ولم تبد عليه علامات التواري، بل فقط شهد تكيفا مع مستجدات التغيير الاجتماعي الجارية[1].

كمــا كرست العولمة والايديولوجيــات المضادة للحوار الحضــاري صورة مشوهه للعــالم الإسلامين فصورة وارتبط الإسلام في المخيلــة الغربية من خلال الصحف والفضائيــات والأفلام السينمائيــة بشكل خاص، بذلك العربــي الشرير أو المهرج وبالمسلــم الإرهابي، الذي يصور في الصحــف وفي الأفلام السينمائية والفضائيات كإرهابــي ملتحــي ذو الثوب القصير الــذي يقرأ القرآن ثم يذهــب ليقتل أو يفجر، وصــورة المــرأة المتحجة كإرهابية ومتخلفة والمكبوتــه والراغبة في الانعتاق من قيود حجابها، وبرزت الصــور المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم، فأصبحت المساجد والقــرآن واللباس المسلم والرمــوز الإسلامية وشخصيتها، عرضــه لذلك الهجوم والتمييــز الطائفــي. لقد تعرض الرموز الإسلامية لتشويــه، ولكن لا انكار بأننا كنا طرف في عكس تلك الصورة ولو بجزء بسيط منها .

....

(1) أكوافيفا، سابينو/ باتشي إنزو- مرجع سابق -2011 - ص 156



الرمــوز الدينيــة ذات فعالية وقــوة، والتعرض لتلك الرمــوز لا يولد سوى العنف ونبــذ الحــوار والكراهية وصراع للثقافــات ، فعلينا أن نتقبل ونحــترم ثقافة الآخر وننشــر مبــدأ التسماح الدينــي أو يمكننا الاصــرار على الطائفيــة والعنف ومقوله صــراع الثقافات والحضارات، كما ادعــى صمويل هنتنجوتن في كتابه المثير للجدل (صــراع الحضــارات 1993 The Clash of Civilizations) والــذي نشــره في البداية في مقــال في مجلــة Foreign Affairs سنه 1992 وتحدث عــن صراع الحضارات وبخاصة الإسلام والغرب، وكانت أحد تنبؤاتها أن ثقافات الأمم سوف تذوب في نهاية الأمر في عالمية يسيطر عليها الغرب.

إن مبدأ التسامح والتعايش السلمي مبدأ يحض عليه الإسلام فخليفة المسلمين عمــر بن الخطاب رضــي الله عنه يرفض دخول كنيســة ارشليم والصلاة فيها من

البطريرك صفرونيوس؛ حتى لا تكون إيذان بتحولها إلى مسجد، وكما طالب الخلفاء الراشدين من قوادهم بالمحافظة وعدم التعرض للمقدسات والرموز الدينية للشعوب المفتوحة، إن المقدسات الدينية هي رموز وشيفرة دينية مقدسة، وخارطه لكلمات ومعاني قديمة متقاطعة مبعثرة في لوحة كبيرة تسمي العالم الدنيوي.

- تمت -

المصادر والمراجع

أولا - لائحة المصادر باللغة العربية:

1. **ابن الاثير** (555 - 630هـ)

- الكامل في التاريخ - بيت الأفكار الدولية - السعودية

2. **ابن حوقل (ابي القاسم ابن حوقل النصيبي)**

- صورة الأرض 1،2 - دار صادر- بيروت - ط2

3. **ابن كثير**

- تفسير القران الكريم - المكتبة العصرية صيدا/بيروت – 2009

4. **ابن كثير**

- البداية والنهاية - المكتبة العصرية - صيدا/ بيروت - ط1 - 2009

5. **ابن الكلبي (ابي المنذر هشام بن محمد بن السائب)**

- الأصنام - تحقيق /الاستاذ أحمد زكي باشا – مطبعة دار الكتاب المصرية - القاهرة 1995

6. **ابن منظور**

- لسان العرب - مج6 - دار صادر - بيروت - ط3 - 1994

7. **ابن هشام**

- **السيرة النبوية - علق عليها - د.عمر عبدالسلام تدمري - دار الكتاب العربي - 2008 –بيروت**

8. **البخاري (ابي عبدالله محمد بن إسماعيل)**

- صحيح **البخاري** – تحقيق وتخريج – أحم زهوة – أحمد عناية – دار **الكتاب العربي - بيروت 2010**

9. **الجاحظ، ابي عمرو** (150—255هـ)

- **رسائل الحاحظ (رسائل القيان) - ج2 - تحقيق وشرح عبدالسلام هارون - مكتبة الخانجي – القاهرة**

10. **الأزرقي**

- **أخبار مكة - بيروت – ج1 - ص 124 ،**

11. **الشنقيطي (الشيخ أحمد الأمين)**

- **شرح المعلقات العشر - حققه وأتم شرحه: محمد عبدالقادر الفاضلي** – المكتبة العصرية – صيدا/بيروت – **2005**

12. **الطبري (أبي جعفر بن جرير)**

- **تاريخ الأمم والملوك - المكتبة العصرية - صيدا/ بيروت- ط-1 2009**

13. **الفيروزابادي (مجد الدين الفيروزابادي)**

- **قاموس المحيط - مراجعة وإشراف الدكتور/محمد الاسكندراني** – دار **الكتاب** العربي – بيروت – **2008**

14. **مؤلف مجهول**

- ملحمة كلكامش Gilgamish – طه باقر - دار الوراق – لندن – ط2 – 2009

15. **المسعودي (ابي الحسن بن علي المسعودي)**

- مروج الذهب ومعادن الجوهر - مراجعة كمال حسن مرعي- المكتبة العصرية - صيدا/بيروت - 2008

16. **مسلم (أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري)**

- صحيح مسلم - مكتبة العصرية - بيروت/صيدا - 2010

17. **ناصر خسرو (القرن 11م)**

- سفر نامه - ترجمة د.يحيي الخشاب – الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1993

18. **الونشريسي (ابو العباس)**

- المعيار المعرب – ج 2 - نشر وزارة الاوقاف المغربية 1981

ثانيا - لائحة المصادر الأجنبية المترجمة:

1. داوتي Doughty

- رحلات داوتي في الجزيرة العربية - ترجمة عدنان حسن - مراجعة وتعليق/الشيخ ناصر عليوي - دار الوراق للنشر المحدودة 2009 - ط1

2. هيرودوت

- تاريخ هيرودوت - ترجمة عبدالإله الملاح - اصدارات المجمع الثقافي - أبوظبي - ط2 - 2007

ثالثا - لائحة المراجع باللغة العربية:

1. أبو خليل (شوقي)

- الحضارة العربية الإسلامية - دار الفكر –بيروت/دمشق - 1996

2. أبو دبسة (فداء حسين)/ غيث (خلود بدر)

- الفنون ما بين الحضارات القديمة والحديثة – دار الاعصار العلمي للنشر والتوزيع - الأردن - ط1 - 2011

3. أمهز (محمود)

- في تاريخ الشرق الأدنى القديم - دار النهضة العربية - بيروت - ط2 - 2011

4. اركون (محمد)

- تاريخية الفكر العربي الإسلامي - ترجمة هاشم صالح - بيروت – مركز الانماء القومي - 1986

5. أمين (حسين أحمد)

- دليل المسلم الحزين الي مقتضي السلوك في القرن العشرين - بيروت /القاهرة - دار الشروق - 1983

6. بلحسن (عمار)

- "الديني والدنيوي: حول الإسلام والإبداع الأدبي والفني"، الدين في المجتمع العربي - مجموعة أبحاث - مركز الدراسات العربية - بيروت - ط2 - 2000

7. بوشنتوف (لطفي)

- العالم والسلطان - مطبعة فضالة المحمدية - 2004 - سلسلة منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الأطروحات والرسائل.

8. التهانوي (محمد علي)

- كشاف اصطلاحات العلوم والفنون - جزء 1 — ترجمة وتقديم د.رفيق العجم - مكتبة لبنان ناشرون - ط1 - 1996

9. التير (مصطفي عمر)

- " الدين والعقلانية ونمط تحديث التفكير العربي: ملاحظات مبدائية" ،الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث - مركز دراسات الوحدة العربية - ط2 - 2000

10. الجابري (محمد عابد)

- فهم القرآن الكريم - القسم الثالث - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 1 - 2009

11. الجبوري (علي ياسين)

- قاموس اللغة الأكادية/ العربية - هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) - ط1

12. **جعيط (هشام)**

- في السيرة النبوية 1 - الوحي والقرآن والنبوة – دار الطليعة – بيروت - ط4 - 2008
- في السيرة النبوية 2 - تاريخية الدعوة المحمدية في مكة – دار الطليعة – بيروت - 2007

13. **حركات (إبراهيم)**

- المغرب عبر التاريخ - الجزء الثاني - دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء - 2000

14. **حاطوم (نور الدين)**

- تاريخ العصر الوسيط في أوروبة – جزء 1 - دار الفكر - 1982

15. **الحسن (أدريس سالم)**

- "الدين ايديولوجيا" - الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث- مركز دراسات الوحدة العربية - ط2 - 2000

16. **الحسن (عيسى)**

- موسوعة الحضارات - الاهلية للنشر والتوزيع - الاردن - ط1 - 2007

17. **حسن (عمار علي)**

- التنشئة السياسية للطرق الصوفية في مصر - دار العين للنشر - القاهرة 2009

18. **حنون (نائل)**

- عقائد الحياة والخصب في الحضارة العراقية القديمة - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - ط1 - 2002

19. **حوراني (ألبرت)**

- تاريخ الشعوب العربية - نقل للعربية :كمال خولي – نوفل - ط2 - 2002

20. **حيدر إبراهيم علي**

- "الأسس الاجتماعية للظاهرة الدينية: ملاحظات في علم اجتماع الدين"، الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث – مركز دراسات الوحدة العربية – بيروت - ط2 - 2000

21. **الدوري (عبدالعزيز)**

- العصر العباسي الأول - دراسة في التاريخ السياسي والاداري والمالي - الأعمال الكاملة 3 - مركز دراسات الوحدة العربية –ط2 - 2009

22. **دياب (محمد حافظ)**

- " الدين والمغامرة الابداعية:السيرة النبوي نموذجا " - الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط2 - 2000

23. **الرفاعي (أنور)**

- الإسلام في حضارته ونظمه - دار الفكر - دمشق - 2008

24. زيدان (جرجي)

- تاريخ التمدن الإسلامي - ج 3 - منشورات دار الهلال

25. زيدان (يوسف)

- اللاهوت العربي - دار الشروق - القاهرة - ط2 – 2010
- عزازيل - دار الشروق - القاهرة - ط7 - 2009

26. سليم (أحمد أمين)

- في تاريخ الشرق الأدنى القديم،مصر .سورية القديمة - دار النهضة العربية - بيروت 1989
- دراسات في حضارات الشرق الأدنى القديم ،مصر - العراق ايران – دار النهضة العربية - بيروت - 1992

27. السواح (فراس)

- مدخل إلى نصوص الشرق القديم - دار علاء الدين – دمشق/ سوريا - ط1 - 2006
- مغامرة العقل الأولى - دراسة في الأسطورة - سورية وبلاد الرافدين - ط11 - دار علاء الدين 1996
- دين الإنسان - منشورات دار علاء الدين - دمشق - ط4 - 2002

28. الشاذلي (بهيجة)

- "أسس الفكر السياسي عند عثمان بن فودي"، ندوة الشيخ عثمان بن فودي - الخرطوم 19 - 21 نوفمبر 1995، منشورات جامعة

إفريقيا العالمية و المنظمة الإسلامية للتربية و لعلوم والثقافة – 1996

29. الشبستري(محمد مجتهد)

- قراءة بشرية للدين - تعريب أحمد القبانجي، الانتشار العربي - بيروت - ط1 - 2009

30. شلحت (يوسف)

- نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني - تقديم خليل أحمد خليل - دار الفارابي - بيروت - ط1 - 2003

31. شلحد (يوسف)

- بنى المقدس عند العرب - تعريب - د.خليل أحمد خليل - دار الطليعة –بيروت - ط1 - 1996

32. صالح (الطيب)

- موسم الهجرة إلى الشمال – دار الجيل – بيروت

33. صباغ (عماد)

- الاحناف - دار الحصاد - سوريا - ط1 - 1998

34. عبود (حنا)

- الميثولوجيا العالمية - سلسلة دراسات (4) - اتحاد الكتاب العرب - دمشق - 2009

35. عبدالمعطي (عبدالباسط)

- " الوعي الديني والحياة اليومية: دراسة ميدانية على عينه من شرائح طبقية في قرى مصرية" - الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط2 - 2000

36. عكاشة (ثروت)

- القيم الجمالية في العمارة الإسلامية - دار الشروق - القاهرة - 1994

37. العوا (عادل)

- علم الأديان - منشورات عويدات –بيروت/باريس - ط1 - 1977

38. عويس (سيد)

- من ملامح المجتمع المصري المعاصر :ظاهرة ارسال الرسائل إلي ضريح الإمام الشافعي – منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية - 1965
- الخلود في التراث الثقافي - الهيئة المصرية للكتاب - 1999

39. علي (جواد)

- أصنام الكتابات - شركة دار الوراق للنشر المحدود - ط1 - 2007

40. عماد (عبدالغني)

- سيوسيولوجيا الثقافة - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط2 - 2008

41. **عمارة (محمد)**

- الخلافة ونشأة الاحزاب الإسلامية - ج1 - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت - 1977

42. **غضيبات (عاطف العقلة)**

- "الدين والتغير الاجتماعي في المجتمع العربي الإسلامي: دراسة سوسيولوجية" - الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط2 - 2000

43. **فهمي (علي)**

- " دين الحرافيش في مصر المحروسة: دراسة سوسيولوجيا الفهم الشعبي للدين " - الدين في المجتمع العربي- مجموعة ابحاث - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط2 - 2000

44. **قاشا (سهيل)**

- تاريخ الفكر في العراق القديم - التنوير للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت بالتعاون مع مكتبة السائح - طرابلس - ط1 - 2010

45. **الماجدي (خزعل)**

- بخور الآلهة – الاهلية للنشر والتوزيع - الاردن - ط1 - 1988
- المعتقدات الكنعانية - دار الشروق - عمان - ط1 - 2001
- متون سومر - الاهلية - الاردن - ط1 – 1998
- ميثولوجيا الخلود - الاهلية للنشر والتوزيع ،الاردن - ط1 - 2002

46. ماهر (سعاد)

- دراسات في الحضارة الإسلامية - مج1 - (الفنون الزخرفية) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - 1985

47. مجموعة مؤلفين (وهبة الزحيلي - محمد عدنان سالم - محمد بسام رشدي الزين - محمد وهبي سليمان)

- الموسوعة القرآنية الميسرة – دار الفكر – دمشق/ سورية –الطبعة الثالثة - 2004

48. المدني (محمد نمر)

- زرادشتية النور والظلمة - دار دمشق - ط1 - 2010

49. المغلوث (سامي بن عبدالله بن أحمد)

- أطلس الأديان - العبيكان - ط2 - 2009

50. النشار (علي سامي)

- نشأة الدين :النظريات التطورية والمؤلهة - الاسكندرية - دار نشر الثقافة - 1949

51. الهرماسي (عبدالباقي)

- "علم الاجتماع الديني - :المجال - المكاسب - التساؤلات"، الدين في المجتمع العربي - مجموعة ابحاث – مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت – ط2 - 2000

52. الهواري (عادل مختار)

- "الأصـول الاجتماعية التاريخية للظاهرة الدينية: نموذج المسيحية في أوروبـا"، الديـن في المجتمـع العربـي - مجموعـة ابحـاث - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط2 - 2000

رابعا - لائحة المراجع الأجنبية المترجمة:

1. ارنولد (توماس)

• الخلافة - دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر

2. أسمان (يان Jan Assmann)

• موسى المصري: حل لغز أثار الذاكرة - ترجمة حسام عباس الحيدري - منشورات الجمل - ط1 - بيروت 2009

3. أكوافيفا(سابينو(Sabino Acquaviva / باتشي)إنزو Enzo Pace)

• علم الاجتماع الديني - ترجمة،د.عز الدين عناية - هيئة ابوظبي للثقافة (كلمة) - ط1 - 2011

4. امسترونغ (كارين Karen Armstrong)

• تاريخ الأسطورة - ترجمة وجيه قانصو - الدار العربية للناشرين/ مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم - ط1 - 2008

5. الكسندر ستيبتشفيتش Aleksander stipcevi

• تاريخ الكتاب - القسم الأول – ترجمة د.محمد الارناؤوط –عالم المعرفة 169 - يناير 1993

6. **إلياد (ميرتشيا Mircea Eliade)**

- البحث عن التاريخ والمعنى في الدين– ترجمة وتقديم : د.سعود المولى –المنظمة العربية للترجمة - توزيع مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت 2007 - ط1
- المقدس والمدنس - ترجمة عبدالهادي عباس - دار دمشق –ط1 - 1988
- تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية –ج 1 - 3 - ترجمة عبد الهادي عباس - دار دمشق - ط2 - 2006
- العود الابدي - ترجمة نهاد خياطة - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق - ط1 - 1987

7. **أورفوا (دومينيك)**

- تاريخ الفكر العربي الإسلامي - ترجمة رندة بعث - المكتبة الشرقية - لبنان - ط1 - 2010

8. **إيكو (أمبرتو Umberto Eco)**

- العلامة - تحليل المفهوم وتاريخه - ترجمة سعيد بنكراد - راجع النص سعيد الغانمي - منشورات كلمة والمركز الثقافي العربي - ط1 - 2007

9. **بارو (جان كلود) / بيغو (غيوم)**

- التاريخ الكامل للعالم - ترجمة لحسن عيساني - دار الفارابي - بيروت - بالتعاون مع مؤسسة محمد بن راشد ال مكتوم - دبي ط1 - 2008

.10 **براون (دان براون Don Brown)**

- الرمز المفقود - ترجمة زينة جابر إدريس - الدار العربية للعلوم ةناشرون/ مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم - ط1 – 2010

.11 **بلاي (هيرمان Herman Pelij)**

- ألوان شيطانية ومقدسة (اللون والمعني في العصور الوسطي وما بعدها) - ترجمة د.صديق محمد جوهر - هيئة أبوظبي للثقافة والتراث(كلمة) - ط 1 - 2010

.12 **جعفري بارندر**

- المعتقدات الدينية لدي الشعوب - ترجمة د/إمام عبد الفتاح إمام – مراجعة د/ عبد الغفور مكاوي - علم المعرفة - عدد173

.13 **جوفروا (إيريك Eric Geoffory)**

- التصوف(طريق الإسلام الجزنية) –ترجمة عبدالحق الزموري - مراجعة أبويعرب المرزوقي - أبوظبي للثقافة والتراث(كلمة) - أبوظبي

.14 **جيب**

- علم الأديان - منشورات عويدات –بيروت/باريس - ط1 - 1977

.15 **جيرار (رينيه Rene . Girard)**

- العنف والمقدس - ترجمة سميرة ريشا – المنظمة العربية للترجمة / مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط1 - 2009

16. دورتيه (جان فرنسوا Jean Francois Dortier)

- معجم العلوم الإنسانية - ترجمة د.جورج كتوره - كلمة ومجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - ط1 - 2009

17. ديورانت (دل وايريل)

- قصة الحضارة - ترجمة فؤاد اندراوس - دار الجيل / بيروت بالتعاون مع المنظمة العربية للثقافة والعلوم/تونس

18. سميث (هوستن Huston Smith)

- أديان العالم - تعريب وحواشي سعد رستم - دار الجسور الثقافية - حلب - ط3 - 2007

19. سيرنج (فيليب)

- الرموز في (الفن –الأديان - الحياة) - ترجمة عبدالهادي عباس - دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع – ط2 - 2009

20. غيريز (كليفورد Geertz Clifford)

- تأويل الثقافات - ترجمة د.محمد بدوي - مراجعة الأب بولس وهبه - المنظمة العربية للترجمة وبدعم من مؤسسة محمد بن راشد أل مكتوم - ط1 - بيروت - 2009

21. فراي (نورثروب Northrop Frye)

- المدونة الكبري –الكتاب المقدس والادب - ترجمة سعيد الغانمي - كلمة ومنشورات الجمل - ط1 - 2009

22. **فولف كريستوف**

- **علم الاناسة (التاريخ والثقافة والفلسفة)**Anthropologie Geschichte Kultur Philosophie – **نقل: البروفيسور أبو يعرب المرزوقي - مؤسسة كلمة بالتعاون مع الدار المتوسطية للنشر – ط1 - 2009**

23. **فرنان (جان بيير)/ ناكيه (بيير فيدال)**

- **الأسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة - ترجمة حنان قصاب حسن - الاهالي للطباعة والنشر - ط1 – 1999**

24. **كاريذرس (مايكل)**

- **لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة - علم المعرفة - عدد 229 - ترجمة شوقي جلال - ص 52**

25. **كايوا (روجيه Roger Caillois)**

- الإنسان والمقدس – ترجمة سميرة ريشا – المنظمة العربية للترجمة – توزيع مركز دراسات الوحدة العربية – ط1 – بيروت **2010**

26. **لي (ريتشارد) / بيجنت (مايكل) / لنكولن (هنري)**

- **الإرث المسيحي – ترجمة محمد الواكد - مراجعة د.حسن الباش - دار صفحات للدراسات والنشر - ط1 - 2009**

27. **ليثابي (وليام ريتشارد William R.Lethaby)**

- **العمارة والأسطورة الروحانيات - ترجمة د.طه الدوري - مراجعة سامر ابو هواش - هيئة ابوظبي للثقافة والتراث (كلمة)ط1 - 2011**

28. مسلان (ميشيل)

- علم الأديان – مساهمة في التأسيس –ترجمة عز الدين عناية - هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) / المركز الثقافي العربي - ط1 - 2009

29. هرو (برت إم)

- كتاب الموتى الفرعوني - ترجمة عن الهيروغليفية: السير واليس بدج - نقله للعربية: د.فيليب عطيه

30. هوبز (توماس Tomas Hobbes)

- اللقياثان Leviathan - ترجمة ديانا حرب /بشرى صعب - هيئة ابوظبي للثقافة والتراث (كلمة) ابوظبي بالتعاون مع دار الفارابي/ بيروت— ط1 - 2011

31. هينليس (جون Jone R.Hinnells)

- معجم الأديان Dictionary of Religions - مراجعة وتقديم: عبدالرحمن عبدالله الشيخ - المركز القومي للترجمة - القاهرة

خامسا - المجلات والدوريات والمقالات:

1. عربيد (أمال)

- "الرموز الخمسة في الزخرفة الإسلامية" - مجلة الكويت - العدد 318— بتاريخ 24/ابريل/2010

2. غرايبة (إبراهيم)

- "الهلال والنجوم: رموز قديمة.. ومعان أكبر من الجدل" - جريدة العرب القطرية - بتاريخ 1 - 9 - 2008

3. الكعبي (قاسم)

- "المسبحة.. أداة للعبادة والزينة وعدد خرزاتها يحدد وظيفتها" - جريدة الشرق الاوسط - العدد 11669 - الثلاثاء 03 ذو الحجة 1431 هـ 9 نوفمبر 2010

سادسا - مواقع الكترونية :

1. **موقع العربية الاخبارية:**

http://www.alarabiya.net/articles/2008/12/11/61795.html

2. **موقع قنطرة:** Qantara.de 2010

http://www.qantara.de

قابلة مع جوناثان بلوم Jonathan M. Bloom اجراها إرن غيوفرتشين Interview: Eren Güvercin. بعنوان tit for tat' An Ancient Game of Architectural' –

سابعا - الدراسات الأجنبية:

1 - Bruce , Miranda

Signs & Symbols -Mitford - DK Publishing-2008

2 - C.H.Becker

Orientalische studien.theodor Noldeke ed . C.Bezold- Giessen.1906- vol 1

3 - Chebel , Malek

Symbols of Islam -Assouline Publishing-New York- 2000

- Di Falco, Monsignor And Others4

Symbols of Catholicism-Assouline Publishing –New York-2000

5 - E.Durkheim

The Elementary Forms Of The Religious life -TRANSLED BY JOSEPH WARD SWAIN-THE FREE PRESS N.Y1965

6 - Eliade, Mircea

-Images and Symbols studies in Religious symbolism - Translated by Philip Mairet- Princeton University press-Princeton ,New Jersey

The Quest History Meaning in Religion – Midway Reprint-USE-

7- Fraim, John

Battle of Symbols: Global dynamics of advertising, Entertainment and Media - -2003-Am klosterplatz ch8840-Einsiedeln-Switzerland

8- Peterson , Theodore and others(Jay W. Jensen ,William L .Rivers - Holt ,Rinehart and Winston) –

The Mass Media And Modern Society-, Inc -USA- 1966

9- H.Hart Michael

The 100: A Ranking of the Most Influential- citadel press-kensington publishing Corp-NY 1992

10- Helfman, Elizabeth S.

Signs And Symbols Around The World – Lothrop Lee & Shepard Co-New York

11- Hill, Jonathan

The History of Christianity -Lion Hudson 2009-Oxford

12- Hultgard, Anders

Religious symbols and their functions-'' Man as symbol of God''- -Almqvist & Wiksell international-stockholm/Sweden-1979

13- J.Frazer

Golden Bough: A Study in Magic and Religion -Macmillan, London, - 1971-

14- Jung, Carl G – And Others

Man And His Symbols - A WINDFALL BOOK-DOUBLEDAY & Company Inc-1976-GARDEN CITY-NEW YORK

15- Lehner, Ernst

Symbols Signs & Signets -DOVER PUBLICATIONS INC.NEW YORK-1950-

16- Lings, Martin

Symbol & Archetype- A study Of The Meaning Of Existence- Inerprint Limited- -1991

17- Malinowski , Bronislaw

Magic, Science and Religion and other essays selected and with an introd by Robert Redfield-Boston ,M.A- beacon press-1948

18- Mendelssohn, Moses

Jerusalem: Or on Religious Power and Judaism - translated by Allan Arkush - Brandeis university press-published by university press of new England Hanover and London-1983

19 - McGoldrick, Dominic McGoldrick

Human Rights And Religion: The Islamic Headscarf Debate in Europe-Oxford and Portland,Oregon-2006

20- Scot, Kamran

The Martyrs of Karbala Shii Symbols and Rituals in Modern Iran - University of Washington press- seattle and londan-2004

21- Tayob, Abdulkader

Islam – A short introduction - Oneworld Publication-oxford-England-2003

22- Thompson , Ian

Religion - Longman, London- 1986

23- Troeltsch

The Social teaching of the Christian Churches- vol 1 - Westminster John Knox Press-1992

24- Wolf, Eric

Europe and the People without History USA-UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS

25- Wendel , Tanja Al Hariri

Symbols Of Islam -Sterling Publishing Co.Inc-New York-2002

السيرة الذاتية للمؤلف

بلال موسى بلال العلي

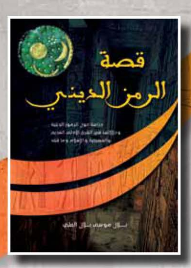
- باحث إماراتي .
- مواليد الكويت 1976

- **الشهادات :**

- حاص على درجة الماجستير في الأداب تخصص/ تاريخ اجتماعي جامعة محمد الخامس –الرباط / المملكة المغربية. عام 2009
- حاصل على درجة بكالوريس في الأداب تخصص/ تاريخ حديث ومعاصر جامعة بيروت العربية / لبنان عام 1999
- يعد رسالة الدكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر عن دولة الإمارات العربية المتحدة في المملكة المغربية جامعة سيدي محمد بن عبدالله / كلية الآداب والعلوم الإنسانية (سايس/ فاس)

- **مؤلفاتة:**

الإمامة الإباضية والاستعمار (2010) إصدارات مركز الدراسات والوثائق- رأس الخيمة



هذا الكتاب

رحلة في تاريخ الأديان والدلالات الرمزية لها ، نحاول أن نفهم الأحجية الرمزية، والعالم والحياة وتنوعه بصورة أقرب وأوضح، وندرك تصورات الأمم السابقة ورؤيتهم للمقدس ، لذلك يناقش الكتاب الفكر الديني ورموزه المادية انطلاقاً من حضارات الشرق الأدنى القديم والانتقال التاريخي التدريجي للفكر الديني بمعانيه ورموزه ضمن ذلك المجال الضيق إلى ظهور المسيحية وصولاً إلى الإسلام خاتمة الأديان السماوية العالمية والعقلانية، كل ذلك عن طريق تحليل الرمزية التي جعلت الصورة تنطق بالفكرة والمعاني من خلال دراسة الرمز الديني من داخل منظومة الفكر الذي نشأ فيه ومقاربتها بالأديان الأخرى.

بعد أحداث ١١ ستمبر بدأنا نتلمس تزايد الاعتداءات على الرموز الدينية، والذي كرس التنافر والعنف وبروز التمييز الطائفي على حساب الحوار والتعايش السلمي بين الشعوب والحضارات، لذلك فالكتاب محاولة لفهم الآخر والحوار، وإبراز المعنى الكامن للرموز وفعاليتها في المجتمعات.

ناقشنا في هذا الكتاب الرمز الديني المادي الذي من خلاله ستدركون مع الوقت أن تلك الأشياء الرمزية المقدسة عالم حقيقي أخر، وستدركون بأن الرموز حية تتحرك في خلايا الحياة وتحفز النفس البشرية للمتدين وتقوى مناعته، وبأن الرموز المسرحة في صفحات الحياة، إنما هي كلمات إيحائية، بل إن الرمز الديني بالفعل هو أحجية المقدس الديني الأكثر إثارة، وأخيراً فالكتاب مجرد كتاب علمي نتج من هم معرفي، ربما قد لا يتعدى كونه هذا ، فهو محاولة لاعادة بناء وترميم الذاكرة والرموز الغائرة في النفس البشرية والمتناثرة في صفحات الحياة، وإبراز فعالية الرموز في المجتمعات، ولكن برغم طول الحديث فالكتاب لا يعبر عن الحقيقة الكاملة المختبئة وراء الرمز الديني المقدس.